يطبع لأول مرة محققاً

إتحاف السادة المتقين

للسيد الإمام

محمد بن محمد بن محمد المرتضى الحسيني الزبيدي

بشرح

إحياء علوم الدين

لحجة الإسلام الإمام

محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي

تحقيق

أشرف محمد أحمد

راجعه ودققه

عثمان أيوب البوريني

محمد سميح الشيخ حسين

2024

المجلد الرابع والعشرون وفيه كتاب الرجاء والخوف

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الرجاء والخوف

- بيان حقيقة الرجاء
- بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه
- بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حالُ الرجاء ويغلب
- بيان حقيقة الخوف
- بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف
- بيان أقسام الخوف بالإضافة إلىٰ ما يُخاف منه
- بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه
- بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما
- بيان الدواء الذي به يُستجلَب حال الخوف
- بيان معنىٰ سوء الخاتمة
- بيان أحوال الملائكة والأنبياء عليهم السلام في الخوف
- بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف

٣٣ - كتاب الرجـاء والخـوف (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وسلم.

الله ناصر كل صابر.

الحمد لله الواصل الحمد بالنعم، والنعم بالشكر، والرجاء بالخوف، والخوف بالرجاء والذِّكر، أحمده علىٰ آلائه كما أحمده علىٰ بلائه، وأستعينه علىٰ هذه النفوس البطء عمَّا أُمِرتْ به، السِّراع إلىٰ ما نُهيتْ عنه، وأستغفره ممَّا أحاط به علمُه وأحصاه كتابه، علمٌ غير قاصر، وكتاب غير مغادر، وأؤمن به إيمانَ مَن عاين الغيوبَ ووقف علىٰ الموعود إيمانًا نفىٰ إخلاصُه الشركَ، ويقينُه الشكَّ. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، شهادتين تصعِّدان القولَ وترفعان العمل، لا يخفُّ ميزان يوضَعان فيه، ولا يثقل ميزانٌ يُرفعان منه، وعلىٰ آله الأطهار وصحابته الأئمة الأبرار وعلىٰ مَن تبعهم بإحسان إلىٰ ما بعد يوم القرار.

أما بعد، فهذا شرح كتاب «الرجاء والخوف»، وهو الثالث من الربع الرابع، والثالث والثلاثون من كتاب الإحياء للإمام الهُمام حُجة الإسلام أبي حامد

(١) انظر الكلام عن الرجاء والخوف في: قوت القلوب ٢/ ٥٨٦ - ٦٧٩. الرسالة القشيرية ص ٢٣٤ - ٢٥٢، وشرحها إحكام الدلالة ١/ ٤٢٨ - ٤٦٢.

محمد بن محمد بن محمد الغزالي، أفاض الله علينا من لطائف علومه، وأذاقنا حلاوة فهومه، وأجزل قِراه، وجعل جنة الفردوس مأواه. جلوتُ فيه عن عرائس حقائقه المخدَّرة ونفائس رقائقه المضنونة المستَرة، وسلكت فيه منهاج الإيضاح لعباراته والإفصاح عن مرمىٰ إشاراته، ممتطيًا عزائم الاعتقاد والانتصاف، متجنبًا عن التطويل والاعتساف، راجيًا من المولىٰ الكريم الإعانة والتوفيق والهداية إلىٰ سواء الطريق، إنه لا رب غيره، ولا خير إلا خيره، الكافي الكفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) رجاءِ كل خائف من العذاب الأليم (**الحمد لله المرجو لطفه**) أي رفقه ورأفته (**وثوابه**) أي جزاؤه، ويُستعمل[1] في الشر والخير، لكن [الأكثر] المتعارَف في الخير، واستعماله في الشر استعارة كاستعارة البشارة فيه (**المخوف مكره**) وهو إرداف النعم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب[2] (**وعقابه**) وهو الإيلام الذي يُتعقَّب به جُرم سابق[3]. وفي «المرجو» و«المخوف» براعة الاستهلال، وبين الثواب والعقاب حُسن المقابلة (**الذي عمر قلوبَ أوليائه برَوْح رجائه**) الرَّوح بالفتح: ما تلذُّ به النفسُ، أصله من الريح (**حتىٰ ساقهم بلطائف آلائه إلىٰ النزول**) أي الاستقرار (**بفِنائه**) أي ساحة حضرته وهي جنة القُرب (**والعدول**) أي الصرف (**عن دار بلائه**) أي امتحانه (**التي هي مستقَرُّ أعدائه**) وهي نار البعد، وبين الأولياء والأعداء حُسن المقابلة (**وصرف بسياط التخويف وزجرِه العنيف**) أي الشديد (**وجوهَ المعرضين عن حضرته إلىٰ دار ثوابه وكرامته**) وهي الجنة، فإنها تسمَّىٰ: دار الثواب، ودار الكرامة (**وصدَّهم**) أي منعهم (**عن التعرُّض للائمته**) وهي الملامة، اسم من اللوم (**والتهدُّف**) وهو التعرُّض للهدف (**لسخطه ونقمته**) أي غضبه وانتقامه (**قودًا**) أي جذبًا (**لأصناف**

(١) المفردات للراغب ص ٨٣.

(٢) ذكره ابن عربي في الفتوحات المكية ٢/ ١٤٥، ٥٨٧.

(٣) ذكره البقاعي في نظم الدرر ٣/ ١٣٦.

الخلق) علىٰ تبايُنهم وكثرتهم **(بسلاسل القهر والعنف)** تارةً **(وأزِمَّة الرفق واللطف)** أخرىٰ **(إلىٰ جنَّته)** والأزِمَّة جمع زمام وهو ما يُقاد به. وفيه إيماء إلىٰ الخبر الوارد: «عجبَ ربُّنا من قوم يُقادون بالسلاسل إلىٰ الجنة»، وقد تقدم **(والصلاة)** والسلام **(علىٰ)** سيدنا **(محمد سيد أنبيائه وخير خليقته)** أي مخلوقاته **(وعلىٰ آله وأصحابه وعِترته)** العِترة: نسل الإنسان، وقيل: أقارب الرجل الأدنون[١].

(أما بعد، فإن الرجاء والخوف جناحان) أي بمنزلتهما للطائر **(بهما يطير المقرَّبون)** إلىٰ الحضرة، الذين تم سلوكُهم **(إلىٰ كل مقام محمود)** وفيه إشارة إلىٰ أنهما حالان، وقد يكون المقام حالاً، وبالعكس، كما سيأتي. ونقل القشيري عن أبي علي الروذباري قال: الخوف والرجاء هما كجناحَي الطائر، إذا استويا استوىٰ الطير وتم طيرانُه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حدِّ الموت[٢]. وفي قوله «مقام محمود» إشارة لِما سيأتي له أن الرجاء مقام محمود، كما أن ضده مذموم **(ومطيَّتان)** أي بمنزلتهما، والمطيَّة: ما يُمتطَىٰ ظهرها، أي يُركَب **(بهما يُقطَع من طرق الآخرة كل عَقَبة)** وهي الثَّنِيَّة بين الجبلين **(كؤود)** أي صعبة المرتقَىٰ والمنحدَر **(فلا يقود)** أي لا يسوق **(إلىٰ قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء)** أي الأطراف **(ثقيل الأعباء)** أي الأحمال **(محفوفًا بمكاره القلوب ومَشاقِّ الجوارح والأعضاء إلا أزِمَّة الرجاء، ولا يصدُّ عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفًا بلطائف الشهوات وعجائب اللذَّات إلا سياط التخويف وسَطَوات التعنيف)** وفي الفقرتين تلميح إلىٰ حديث: «حُفَّت

---

(١) ذكره المناوي في التوقيف ص ٢٣٦، وهو مأخوذ عن نص الفيومي في المصباح المنير ص ٣٩١ باختصار، وعبارته: «العترة: نسل الإنسان، قال الأزهري: وروىٰ ثعلب عن ابن الأعرابي أن العترة: ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه، ولا تعرف العرب من العترة غير ذلك، ويقال: رهطه الأدنون، ويقال: أقرباؤه، ومنه قول أبي بكر: نحن عترة رسول الله ﷺ التي خرج منها وبيضته التي تفقأت عنه. وعليه قول ابن السكيت: العترة والرهط بمعنىٰ، ورهط الرجل: قومه وقبيلته الأقربون».

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٢٨.

الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات» **(فلا بد إذًا من بيان حقائقهما)** أي الرجاء والخوف **(وفضيلتهما وسبيل التوصُّل إلىٰ الجمع بينهما مع تَضادِّهما وتعانُدهما)** وليس المراد بالتَّضاد هنا أنهما ممَّا يستحيل اجتماعهما في موضع واحد، وإنما يتعاقبان كالسواد والبياض، فسيأتي للمصنف قريبًا أن الخوف ليس بضد للرجاء، بل هو رفيق له، وإنما المراد به هنا معنىٰ التعانُد والتصاعُب، وإلا لَما أمكن الجمع بينهما **(ونحن نجمع ذِكرهما في كتاب واحد)** إذ لا بد للمؤمن من اجتماعهما وعدم انفكاك أحدهما، وهذا بخلاف غير المصنِّف كالقشيري وصاحب القوت، فإنهما ذكرا كل واحد منهما في باب مستقلٍّ **(يشتمل)** ذلك الكتاب **(علىٰ شطرين، الشطر الأول: في الرجاء)** وإنما قدَّمه إيماءً إلىٰ أن الوصول به أرجَىٰ للسالك، كما لا يخفَىٰ **(والشطر الثاني: في الخوف. أما الشطر الأول فيشتمل علىٰ بيان حقيقة الرجاء، وبيان فضيلة الرجاء، وبيان دواء الرجاء، والطريق الذي يُجتلَب به الرجاء)** وإنما قدَّم القشيريُّ باب الخوف علىٰ باب الرجاء وتبعه صاحب «عين العلم» لأن الخوف حال أهل الابتداء، بخلاف الرجاء فإنه حال أهل الانتهاء، ولكلٍّ وجهةٌ.

بيـان حقيقـــة الرجـاء

(**اعلمْ**) وفَّقك الله تعالىٰ (**أن الرجاء**) بالمد لغةً: الأمل، وهو (**من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين**) وهو المقام الرابع من مقامات اليقين. والسالك والطالب واحد، إلا أنه خُصَّ السلوك بطلب طريق الحق، فالطالب أعمُّ، وهو واجب؛ لأنه من عقود الإيمان بكمال الله تعالىٰ. ثم اعلمْ أن هذا العلم الذي نحن بصدده يترتَّب علىٰ قواعد شتَّىٰ، لو وضعها المصنِّف في موضع واحد لاختلَّ نظام الترتيب وعسُر البناءُ عليها عند الحاجة إليها، فاختار أن يضع في كل كتاب قاعدة مناسبة له ويبني عليها أمثاله، فقد أشار إلىٰ القاعدة المناسبة لهذا الباب ولِما يأتي بعده من الأحوال في انقسام أحوال القلوب بقوله: (**وإنما يسمَّىٰ الوصف مقامًا إذا ثبت وأقام**) كأنَّه أشار به إلىٰ وجه تسميته، أي يسمَّىٰ المقام مقامًا لثبوته واستقراره (**وإنما يسمَّىٰ حالاً إذا كان عارضًا سريع الزوال**) أي يسمَّىٰ الحال حالاً لتحوُّله وسرعة زواله (**وكما أن الصفرة تنقسم إلىٰ ثابتة كصفرة الذهب**) هذا أصل لونه الذي لا يتغيَّر عنه، وقد يحمرُّ لعارض فيثبُت فيه (**وإلىٰ سريعة الزوال كصفرة الوَجَل**) فإن الإنسان إذا اعتراه خوفٌ يصفرُّ لونه، فإذا زال الخوف رجع إلىٰ لونه (**وإلىٰ ما هو بينهما كصفرة المريض**) فتارةً تثبُت، وتارةً تزول (**فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام، فالذي هو غير ثابت يسمَّىٰ حالاً؛ لأنه يحوَّل علىٰ القرب**) واختلفت[1] إشارات الشيوخ في الحال والمقام، ووجود الاشتباه فيهما لمكان تشابههما في أنفسهما وتداخُلهما، فتراءىٰ للبعض الشيءُ حالاً، وتراءىٰ للبعض مقامًا، وكِلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخُلهما، وأحسنُ ما يفرَّق به بينهما ما أشار إليه المصنف، علىٰ أن اللفظ والعبارة عنهما مُشعِر بالفرق، وقد يكون

(١) عوارف المعارف ص ٣٢٦ - ٣٢٨.

الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقامًا، والعبد بالأحوال يرتقي إلىٰ المقامات **(وهذا جارٍ في كل وصف من أوصاف القلب)** فما يُعرَف وصفٌ من أوصافه إلا وفيه حال ومقام **(وغرضنا الآن حقيقة الرجاء، فالرجاء أيضًا يتم من علم وحال وعمل[١])** فإنه ما من مقام إلا وهو ينتظم من هؤلاء الثلاثة، والعمل ميراث الحال، والحال ميراث العلم **(فالعلم سبب يثمر الحالَ)** أي بمنزلة شجرة، والحال ثمرتها **(والحال يقتضي العملَ)** فإنه بمنزلة الغصن **(وكأنَّ الرجاء اسم للحال من جملة الثلاثة)** المذكورة **(وبيانه: أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم إلىٰ موجود في الحال، وإلىٰ موجود فيما مضىٰ)** من الزمان **(وإلىٰ منتظَر في الاستقبال)** أي فيما سيأتي **(فإذا خطر ببالك موجود فيما مضىٰ سُمِّيَ ذِكرًا وتذكُّرًا)** وندمًا وأسفًا، فالذِّكر[٢]: وجود الشيء في القلب أو اللسان، وذلك لأن الشيء له أربع درجات: وجوده في ذاته، ووجوده في قلب الإنسان، ووجوده في لفظه، ووجوده في كتابته. فوجوده في ذاته هو سبب لوجوده في قلب الإنسان، ووجوده في قلبه هو سبب لوجوده في لسانه ووجوده في كتابته، ويقال للوجودينِ الأوَّلين: الذكر. وأما[٣] التذكُّر فهو محاولة القوة العقلية لاسترجاع ما فات بالنسيان **(وإن كان ما خطر بقلبك موجودًا في الحال سُمِّي وجدًا وذوقًا وإدراكًا)** وفرحًا وسرورًا **(وإنما سُمِّي وجدًا لأنها حالة تجدها من نفسك)** وإنما سُمِّي ذوقًا علىٰ التشبيه بالذوق الذي هو تناول الشيء بالفم لإدراك الطعم، وإنما سُمِّي إدراكًا لأنه أحاط عليه علمًا بكماله **(وإن كان قد خطر ببالك وجودُ شيء في الاستقبال وغلب ذلك علىٰ قلبك سُمِّي انتظارًا)** له **(وتوقُّعًا)** فالانتظار هو الثبات لتوقُّع ما يكون من الحال[٤]. والتوقُّع تفعُّلٌ من الوقوع بمعنىٰ الحصول، أي

---

(١) في المطبوعة ٩/ ١٦٥، وط الشعب ١٢/ ٢٣٠٩: حال وعلم وعمل. وهو خطأ، والمثبت من أ، وب، وط المنهاج ٧/ ٤٦٩.

(٢) الذريعة للراغب ص ١٥٠.

(٣) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٩٤.

(٤) ذكره البقاعي في نظم الدرر ٩/ ٢١٤.

تكلُّف حصول الشيء في يده **(فإن كان المنتظَر مكروهًا حصل منه ألمٌ في القلب سُمِّي خوفًا وإشفاقًا)** وحزنًا وقبضًا وغمًّا وكَمَدًا. وقد اختلفت عباراتهم في الخوف، فقيل: هو توقُّع مكروه أو فوت محبوب[1]. وقيل: هو حذرُ النفس من أمور ظاهرُها تضره[2]. وقيل: توقُّع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة[3]. وأما[4] الإشفاق فعناية مختلطة بخوف؛ لأن المشفِق يحب المشفَق عليه ويخاف ما يلحقه، فإذا عُدِّي بـ «من» فمعنىٰ الخوف فيه أظهرُ، أو بـ «في» فمعنىٰ العناية فيه أظهرُ **(وإن كان محبوبًا حصل من انتظاره وتعلُّق القلب به وإخطار وجوده بالبال لذةٌ في القلب وارتياح سُمِّي ذلك الارتياح رجاءً، فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده)** عن أمارة مظنونة أو معلومة. هذا هو معناه العرفي. وقال بعضهم[5]: هو ظنٌّ يقتضي حصولَ ما فيه مَسَرَّةٌ. وقيل: هو ترقُّب الانتفاع بما تقدَّم له سببٌ ما[6]. وقيل: تعلُّق القلب بحصول محبوب مستقبَلاً[7]. وقال القشيري في الرسالة: هو تعلُّق القلب بمحبوب سيحصل في المستقبل، وكما أن الخوف يقع في مستقبل الزمان فكذلك الرجاء يحصل لِما يؤمَّل في الاستقبال **(ولكن ذلك المحبوب المتوقَّع لا بد وأن يكون له سببٌ)** ما تقدَّمه **(فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق، وإن كان ذلك انتظارًا مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء، وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمنِّي أصدق علىٰ انتظاره؛ لأنه انتظار من غير سبب)** وطلبٌ

---

(١) ذكره الجرجاني في التعريفات ص ١٠٧.

(٢) ذكره البقاعي في نظم الدرر ٢/ ٢٥٤.

(٣) ذكره الراغب في المفردات ص ١٦١.

(٤) المفردات ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٥) هو الراغب في مفردات القرآن ص ١٩٠.

(٦) ذكره البقاعي في نظم الدرر ٣/ ٢٣٧ نقلا عن الحرالي.

(٧) ذكره الجرجاني في التعريفات ص ١١٤.

لِما لا طمع في وقوعه، كـ «ليت الشبابَ يعود»(١). وقال القشيري: والفرق بين الرجاء والتمني أن التمني [يورث] صاحبَه الكسلَ ولا يسلك طريق الجهد والجد، وبعكسه صاحب الرجاء (وعلىٰ كل حال، فلا يُطلَق اسم الرجاء والخوف إلا علىٰ ما يُتردَّد فيه) ويكون التوقُّع عن أمارة إما مظنونة أو معلومة (أما ما يُقطَع به فلا؛ إذ لا يقال: أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب؛ لأن ذلك) أي طلوعها وغروبها في وقتهما (مقطوع به. نعم، يقال: أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه) فإنَّ نزوله وانقطاعه ليس لهما وقت معيَّن يُقطَع به (وقد علم أربابُ القلوب) ممَّن نوَّرَ اللهُ بصيرتَه (أن الدنيا مزرعة للآخرة) كما ورد ذلك في الخبر (والقلب كالأرض) في قبوله لِما يَرِدُ عليه (والإيمان كالبذر فيه، والطاعات جارية مَجرىٰ تقليب الأرض وتطهيرها ومجرىٰ حفر الأنهار وسياقة الماء إليها، فالقلب المستهتر بالدنيا) أي المولَع بها (المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر) أي لا يزيد نموًّا (ويوم القيامة يوم الحصاد، ولا يحصد أحد إلا ما زرع) فإنَّ مَن زرع حصد (ولا ينمو زرعٌ إلا من بذر الإيمان، وقلَّما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه، كما لا ينمو بذرٌ في أرض سبخة، فينبغي أن يُقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل مَن طلب أرضًا طيبة وألقىٰ فيها بذرًا جيدًا غير عفن ولا مسوَّس ثم أمدَّه بما يحتاج إليه وهو سَوْق الماء إليه في أوقاته) وهو في مبدأ نشأته (ثم نقَّىٰ الأرض من الشوك والحشيش وكلِّ ما يمنع نبات البذر أو يفسده) بعد النبات بأن تصفرَّ أوراقُه وتضعف قوتُه (ثم جلس منتظرًا من فضل الله تعالىٰ دفع الصواعق) من الرياح المحرقة (والآفات المُفسِدة) من الدود والجليد وغيرهما (إلىٰ أن يتم الزرعُ ويبلغ غايتَه سُمِّي انتظاره رجاءً، وإن بثَّ البذر في أرض صلبة) لا تُنبِت (أو سبخة أو مرتفعة لا ينصبُّ إليها الماء و) هو مع ذلك (لم يشتغل بتعهُّد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه سُمِّي انتظاره حمقًا

---

(١) ذكره بدر الدين ابن مالك في شرحه لألفية أبيه ص ١١٦ (ط - دار الكتب العلمية).

وغرورًا لا رجاءً. وإن بثَّ البذر في أرض طيبة ولكن لا ماء لها ولكن ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطارُ ولا تمتنع أيضًا) كالأراضي المصرية (سُمِّي انتظاره تمنِّيًا لا رجاءً. فإذًا اسم الرجاء إنما يصدُق علىٰ انتظار محبوب تمهَّدت جميعُ أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبقَ إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالىٰ بصرف القواطع والمفسدات) والموانع (فالعبد إذا بثَّ بذر الإيمان وسقاه بماء الطاعات وطهَّر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالىٰ تثبيتَه علىٰ ذلك إلىٰ الموت وحُسن الخاتمة المفضية إلىٰ المغفرة) والرحمة الكاملة الشاملة (كان انتظاره رجاءً حقيقيًّا، محمودًا في نفسه، باعثًا له علىٰ المواظبة والقيام بمقتضَىٰ أسباب الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلىٰ الموت. وإن قطع عن بذر الإيمان تعهُّدَه بماء الطاعات وترك القلب مشحونًا برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذَّات الدنيا ثم انتظر المغفرة) وعلوَّ الدرجات (فانتظاره حمق وغرور) في الحالات (قال ﷺ): الكيِّس مَن دانَ نفسَه وعمل لِما بعد الموت، و(الأحمق) وفي لفظ: العاجز[1] (مَن أتبع نفسَه هواها وتمنَّىٰ علىٰ الله) رواه أحمد والترمذي وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» والحاكم من حديث شدَّاد بن أوس. وقد تقدم.

(وقال تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾) [مريم: ٥٩] هو اسم وادٍ في جهنم[2].

(وقال تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩] وذمَّ اللهُ تعالىٰ صاحب البستان) بفلسطين، واسمه أبو فطرس (إذ دخل جنَّته وقال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ۝٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ۝٣٦﴾) [الكهف:

(١) وهي اللفظة المشهورة في الحديث.

(٢) وقيل: معناه: شرا وهلاكا وخسرانا. انظر: الدر المنثور للسيوطي ١٠/ ١٠٠ - ١٠١. معالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٤١ - ٢٤٢. تفسير القرطبي ١٣/ ٤٧٧. تفسير ابن كثير ٥/ ٢٤٥.

٣٥ - ٣٦] فكل ذلك يدل علىٰ أن انتظار المغفرة والدرجات العالية مع الانهماك في الشهوات النفسية حمق وغرور وعجز.

ثم أشار المصنف إلىٰ مَظانِّ الحاجة إلىٰ استعمال الرجاء وأن لاستعماله مواطن بقوله: (**فإذًا العبد المجتهد في الطاعات المجتنِب للمعاصي**) إلا الصغائر التي لا يخلو من مثلها البشر غير الأنبياء (**حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمامَ النعمة، وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة**) كما في الخبر الآتي قريبًا. هذا هو الموطن الأول (**وأما العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة**) وهذا هو الموطن الثاني (**وأما قبول التوبة إذا كان كارهًا للمعصية تسوءه السيئةُ وتسرُّه الحسنة وهو يذمُّ نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق إليها فحقيقٌ بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة؛ لأن كراهيته للمعصية وحرصه علىٰ التوبة يجري مجرىٰ السبب**) المغلِّب لجانب الرجاء (**الذي قد يفضي إلىٰ التوبة**) وهذا هو الموطن الثالث (**وإنما الرجاء بعد تأكُّد الأسباب**) وتمهُّدها بتمامها (**ولذلك قال تعالىٰ**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾) أي السيئات واللذات (﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) أي بتكثير الطاعات (﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ٢١٨] **معناه: أولئك يستحقُّون أن يرجوا رحمة ربِّهم، وما أراد به تخصيصَ وجود الرجاء؛ لأن غيرهم أيضًا قد يرجو، ولكن خصَّص بهم استحقاقَ الرجاء**) مشيرًا لبُعد منزلتهم بلفظ «أولئك» (**فأما مَن ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم علىٰ التوبة والرجوع**) إليه (**فرجاؤه المغفرة حمقٌ**) وغرور، كما قيل: الغرَّة بالله أن يعمل الرجل بمعصية الله ويتمنىٰ مغفرته ورجاءه[1] (**كرجاء مَن بثَّ البذر في أرض سبخة وعزم علىٰ أن لا يتعهَّده بسقي ولا تنقية**) وإصلاح (**قال يحيىٰ بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالىٰ: (**من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب علىٰ رجاء العفو من غير ندامة، وتوقُّع القرب من الله تعالىٰ بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار،**

---

(١) تقدم هذا القول في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلفظ آخر عن سعيد بن جبير.

وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عَزَّوَجَلَّ مع الإفراط) في أمل. وأنشد:

ما بال دينك ترضىٰ أن تدنِّسه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري علىٰ اليبس[١]

(فإذا عرفتَ حقيقة الرجاء ومَظنَّته فقد علمتَ أنها حالة أثمرها العلمُ بجريان أكثر الأسباب، وهذه الحالة تثمر الجهدَ للقيام ببقية الأسباب علىٰ حسب الإمكان، فإنَّ مَن حسُنَ بذرُه وطابت أرضُه وغزرَ ماؤه صدق رجاؤه، فلا يزال يحمله صدقُ الرجاء علىٰ تفقُّد الأرض وتعهُّدها وتنحية كل حشيش ينبُت فيها فلا يفتر عن تعهُّدها أصلاً إلىٰ وقت الحصاد، وهذا لأن الرجاء يضادُّه اليأسُ، واليأس يمنع من التعهُّد، فمَن عرف أن الأرض سبخة وأن الماء معوَز) أي قليل الوجود **(وأن البذر لا ينبُت فيترك لا محالة تفقُّد الأرض والتعب في تعهُّدها، والرجاء محمود مقامه؛ لأنه باعث)** علىٰ العمل حاثٌّ عليه كالخوف **(واليأس)** الذي هو ضده **(مذموم، وهو ضده؛ لأنه صارف عن العمل)** ولفظ القشيري: فالرجاء محمود، والتمني معلول **(والخوف ليس بضد للرجاء)** كما يتبادر إلىٰ الأذهان **(بل هو رفيق له، كما سيأتي بيانه، بل هو)** أي الخوف **(باعث آخر بطريق الرهبة، كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة)** لأن السبب الموجِب للخوف هو بعينه سبب الرجاء؛ لأن الصفات القديمة تعلَّقت بكل موجود في الوجود، ومتعلَّقاتها لا تنقضي سرمدًا، فهي التي يصدر عنها كلُّ ما ساء وسرَّ ونفع وضرَّ، فقد قهر وجبر وأعطىٰ ومنع، كل ذلك علىٰ أتم أنواع الكمال، فمَن عرف ذلك من صفاته تعالىٰ خافه ورجاه، وهذا هو الرجاء [المقصود] لذاته الذي لا يُتوقع بحسنة ولا يندفع بسيئة، إنما ينشأ من فضل الله الذي هو فضله لمَن اختصَّه في أزله من عباده، كما أن الخوف ينشأ عن عدل الله الذي هو عدله لمَن أبعده عن حضرته في أزله، وينتفع بهذا الرجاء مَن أخرجه

---

(١) البيتان لأبي العتاهية، وهما في ديوانه ص ٢٣٠، ولكن بتقديم البيت الثاني علىٰ الأول، وبينهما بيت آخر. وهما ينسبان أيضا إلىٰ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهما في ديوانه ص ٥٧.

خوف الذنوب والعيوب إلىٰ اليأس والقنوط، وينتفع بالخوف الذي يُراد لذاته مَن أخرجته رؤية كثرة الأعمال إلىٰ الإدلال والأمن والاغترار[١] **(فإذًا حال الرجاء يورث طولَ المجاهدة بالأعمال والمواظبة علىٰ الطاعات كيفما تقلَّبت الأحوال)** ولاستعماله مواطن ثلاثة قد أشار إليها المصنف قريبًا (و) أما علاماته فهي ما تصدر **(من آثاره)** من **(التلذُّذ بدوام الإقبال علىٰ الله تعالىٰ والتنعُّم بمناجاته والتلطُّف في التملُّق له)** عند الدعاء والسؤال، ولذلك ألحق الحليميُّ رحمه الله تعالىٰ الدعاءَ بالرجاء، وذكر له أركانًا وآدابًا، وقد تقدم بيان ذلك تفصيلاً في كتاب الدعوات، فليراجَع من هناك **(فإن هذه الأحوال لا بد وأن تظهر علىٰ كل مَن يرجو ملكًا من الملوك أو شخصًا من الأشخاص، فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالىٰ، فإن كان لا يظهر فليستدلَّ به علىٰ الحرمان من مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني)** فليستأنف التوبة والإقبال علىٰ العمل بالجد والاجتهاد حتىٰ تظهر عليه تلك الأحوال **(فهذا هو البيان)** المفصِح **(لحال الرجاء ولِما أثمره من العلم ولِما استُثمِر منه من العمل، ويدل علىٰ إثماره لهذه الأعمال حديثُ زيد الخيل)** بن مهلهل بن زيد بن مُنهب الطائي رضي الله عنه **(إذ قال لرسول الله ﷺ: جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد. فقال: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ أحب الخير وأهله، وإذا قدرتُ علىٰ شيء منه سارعت إليه وأيقنت بثوابه، وإذا فاتني منه شيءٌ حزنت عليه وحننت إليه. فقال: هذه علامة الله فيمن يريد، ولو أرادك للأخرىٰ هيَّأك لها ثم لا يبالي في أيِّ أوديتها هلكتَ)** قال العراقي[٢]: رواه الطبراني في الكبير[٣] من حديث ابن مسعود بسند ضعيف، وفيه أنه قال له: «أنت زيد الخير». وكذا قال ابن أبي حاتم[٤]: سمَّاه النبي ﷺ: [زيد] الخير، سمعت أبي يقول ذلك.

---

(١) انظر: روضة الطالبين ص ١٦٣ [ضمن مجموع رسائل الغزالي].

(٢) المغني ٢/ ١٠٤٧.

(٣) المعجم الكبير ١٠/ ٢٤٩.

(٤) الجرح والتعديل ٣/ ٥٧٦.

قلت: ورواه ابن شاهين من طريق بشير مولىٰ بني هاشم عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ، فأقبل راكب حتىٰ أناخ، فقال: يا رسول الله، إني أتيتك من مسيرة تسع أسألك عن خصلتين. فقال: «ما اسمك»؟ قال: أنا زيد الخيل. قال: «بل أنت زيد الخير، سَلْ». قال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد ... فذكر الحديث بطوله. وأخرجه ابن عدي[1] في ترجمة بشير وضعَّفه.

(فقد ذكر ﷺ علامة مَن أريدَ به الخير، فمَن ارتجىٰ أن يكون مرادًا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور) في وادي الملامات. وبالله التوفيق.

---

(١) الكامل في الضعفاء ٢/ ٤٥٥، قال: «هذا حديث منكر، وبشير هذا وإن لم يُنسب فإنما أخرجته فيمن اسمه بشير لأن هذا الحديث الذي رواه منكر عن الأعمش».

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه

(اعلمْ) أرشدك الله تعالىٰ (أن العمل علىٰ الرجاء أعلىٰ منه علىٰ الخوف؛ لأن أقرب العباد إلىٰ الله أحبهم) أي أكثرهم حبًّا (له) وأنسًا به (والحب يغلب بالرجاء) لا بالخوف، ويحتمل أن يكون هذا وجه تقديم الرجاء علىٰ الخوف في الذكر (واعتبِرْ ذلك بملكين يُخدَم أحدهما خوفًا من عقابه، والآخر رجاءً لثوابه) فالراجي ثوابه أكثر حبًّا له من الخائف من عقابه، وهو اعتبار صحيح (ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن) بالله تعالىٰ (رغائب) أي مرغِّبات (لا سيَّما في وقت الموت) سواء عرف نفسه بالإساءة أم لا، وقال القشيري: ومَن عرف نفسه بالإساءة فينبغي أن يكون خوفه غالبًا علىٰ رجائه. انتهىٰ. وهذا غير مقيد وقت الموت. وفي القوت: ولولا أن الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في آخر الأوقات عند فراق العمر ولقاء المولىٰ لتكون الخاتمة به، وهم يسألون الله حسن الخاتمة طول الحياة، ولذلك قيل: إن الخوف أفضل ما دام حيًّا، فإذا حضر الموت فالرجاء أفضل (قال تعالىٰ: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر: ٥٣] فحرَّم أصل اليأس) الذي هو ضد الرجاء، والقنوط بمعناه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

(وفي أخبار يعقوب عليه السلام: أن الله تعالىٰ أوحىٰ إليه: أتدري لِمَ فرَّقتَ بينك وبين يوسف) هذه المدة؟ (قال: لا. قال: لأنك قلتَ) لإخوته: (أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون، لِمَ خِفتَ الذئبَ) عليه (ولم ترجني؟ ولِمَ نظرتَ إلىٰ غفلة إخوته ولم تنظر إلىٰ حفظي له)[1]؟ نقله صاحب القوت، وزاد في رواية عن الله

(١) تقدم هذا الخبر في كتاب التوبة.

تعالىٰ أنه أوحىٰ إليه: من سَبْقِ عنايتي بك أنْ جعلتُ نفسي عندك أرحم الراحمين فرجوتني، ولولا ذلك لكنتُ أجعل نفسي عندك أبخل الباخلين.

(**وقال ﷺ: لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يُحسِن الظنَّ بالله**) قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث جابر.

قلت: ورواه كذلك الطيالسي[٣] وأحمد[٤] وعبد بن حميد[٥] وأبو داود[٦] وابن ماجه[٧] وابن حبان[٨].

وروىٰ ابن جُمَيع في معجمه[٩] والخطيب[١٠] وابن عساكر[١١] من حديث أنس: «لا يموتنَّ أحدكم حتىٰ يُحسِن ظنه بالله تعالىٰ، فإنَّ حُسن الظن بالله ثمن الجنة». قال الذهبي[١٢]: فيه أبو نواس الشاعر، فسقه ظاهرٌ، فليس بأهل أن يُروَىٰ عنه.

(**وقال ﷺ: يقول الله عَزَّوَجَلَّ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ بي ما شاء**) قال

---

(١) المغني ٢/ ١٠٤٧.
(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٣١٦.
(٣) مسند الطيالسي ٣/ ٣٣٠.
(٤) مسند أحمد ٢٢/ ٢٨، ٢٨٣، ٣٦٦، ٤٠٣، ٤٣٧، ٢٣/ ٣٧٣.
(٥) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ١٣٤، ١٤٦.
(٦) سنن أبي داود ٤/ ١٨.
(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٩٢.
(٨) صحيح ابن حبان ٢/ ٤٠٣ - ٤٠٥.
(٩) معجم الشيوخ ص ٣٠١.
(١٠) تاريخ بغداد ٢/ ٢٨٣.
(١١) تاريخ دمشق ١٣/ ٤٠٨ - ٤٠٩.
(١٢) ميزان الاعتدال ٤/ ٥٨١. وقد ذكر ابن عساكر فيمن روىٰ الحديث عن أبي نواس: محمد بن جعفر غندر، والإمام الشافعي.

العراقي[١]: رواه ابن حبان[٢] من حديث واثلة بن الأسقع، وهو في الصحيحين[٣] من حديث أبي هريرة دون قوله «فليظنَّ بي ما شاء».

قلت: وبمثل رواية الصحيحين رواه الطبراني[٤] عن بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده. وحديث واثلة رواه أيضًا ابن أبي الدنيا[٥] والحكيم[٦] وابن عدي[٧] والطبراني في الكبير[٨] والحاكم[٩] والبيهقي[١٠] وتمام[١١]، ولفظهم: «قال الله عَزَّوَجَلَّ ...»، والباقي سواء. وفي رواية للطبراني في الأوسط[١٢] وأبي نعيم في الحلية[١٣] وابن عساكر[١٤]: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر». ورواه كذلك الشيرازي في الألقاب من حديث أنس. وروى أحمد[١٥] وابن حبان[١٦] من حديث أبي هريرة: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، إن ظن خيرًا فله، وإن ظن شرًّا فله». ورواية الصحيحين من حديث أبي هريرة: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ:

---

(١) المغني ٢/ ١٠٤٧ - ١٠٤٨.

(٢) صحيح ابن حبان ٢/ ٤٠١ - ٤٠٣.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٣٨٤، ٤٠٤. صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٤ - ١٢٣٥، ١٢٣٨، ١٢٥٨.

(٤) المعجم الكبير ١٩/ ٤١٦.

(٥) حسن الظن بالله ص ١٤.

(٦) نوادر الأصول ص ٨٧٥.

(٧) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٣٢٧.

(٨) المعجم الكبير ٢٢/ ٨٧ - ٨٨.

(٩) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٣٧٠.

(١٠) شعب الإيمان ٢/ ٣١٨ - ٣١٩.

(١١) فوائد تمام ٢/ ٩٥.

(١٢) المعجم الأوسط ١/ ١٢٦، ٨/ ٥٦.

(١٣) حلية الأولياء ٩/ ٣٠٦.

(١٤) تاريخ دمشق ٦٥/ ١١٤.

(١٥) مسند أحمد ١٥/ ٣٦.

(١٦) صحيح ابن حبان ٢/ ٤٠٥.

أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ...». الحديث. وفي رواية لمسلم: «يقول الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، واللهِ للهُ أفرحُ بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالَّته بالفَلاة ...» الحديث.

(ودخل ﷺ علىٰ رجل وهو في النزع) أي حالة نزوع الروح منه **(فقال: كيف تجدك؟ فقال: أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي. فقال ﷺ: ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا، وآمنه ممَّا يخاف)** قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] - وقال: غريب - والنسائي في الكبرىٰ[٣] وابن ماجه[٤] من حديث أنس، وقال النووي[٥]: إسناده جيد.

قلت: وروىٰ البيهقي[٦] من مرسل سعيد بن المسيب رفعه: «ما اجتمع الرجاء والخوف في قلبِ مؤمنٍ إلا أعطاه الله الرجاء وآمنَه الخوفَ».

(وقال علي رضي الله عنه لرجل أخرجه الخوف إلىٰ القنوط لكثرة ذنوبه: يا هذا، يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك)[٧] كذا في القوت. ورواه الشريف الموسوي في نهج البلاغة. قال صاحب القوت: صدق رضي الله عنه؛ لأن اليأس من رَوح الله الذي

---

(١) المغني ٢/ ١٠٤٨.

(٢) سنن الترمذي ٢/ ٣٠١.

(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٩٠.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٤٧.

(٥) خلاصة الأحكام ٢/ ٩٠٢.

(٦) شعب الإيمان ٢/ ٣١٧.

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله ص ٦٥ من طريق صالح المري عن شيخ من أهل البصرة قال: قيل لعلي بن أبي طالب: إن ههنا رجلا قد خولط ولم يكن بحاله بأس، فظننا أنه أذنب ذنبا يرىٰ في نفسه أن ذلك الذنب لا يغفر له فصار إلىٰ ما نرىٰ. فقال: عليَّ به. فأدخل عليه، فقال: اسمع ما أقول لك، إن الذي أدرك منك عدوك بقنوطك من رحمة الله أعظم من ذنبك الذي أذنبت. فقال الرجل: هاه، فأفاق.

يستريح إليه المكروب من الذنوب والقنوط من رحمة الله التي يرجوها المبتلَىٰ بالذنوب أعظم من ذنوبه، وهو أشد من جميع عيوبه؛ لأنه قطع بهواه علىٰ صفات الله المرجوَّة، وحكم علىٰ كرم الله بصفاته المذمومة، فكان ذلك من أكبر الكبائر، وإن كانت ذنوبه كبائر.

(وقال سفيان) الثوري رحمه الله تعالىٰ: **(مَن أذنب ذنبًا فعلمَ أن الله تعالىٰ قدَّره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه. قال)** سفيان: **(لأن الله عَزَّوَجَلَّ عيَّر)** أي عاب **(قومًا فقال تعالىٰ:** ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢٣] **وقال تعالىٰ)** في مثله: (﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾) [الفتح: ١٢] أي هلكَىٰ، ففي دليل خطابه[1] أن مَن ظن ظنًّا حسنًا كان من أهل النجاة. هكذا أورده صاحب القوت، ثم قال: وقد جاء في الأثر: مَن أذنب ذنبًا فأحزنه ذلك غُفر له ذنبه وإن لم يستغفر.

قلت: وقول سفيان المذكور سيأتي معناه في أحاديث الرجاء قريبًا.

(وقال ﷺ: إن الله تعالىٰ يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذ رأيتَ المنكر أن تنكره؟ فإن لقَّنه الله حُجَّته قال: رب، رجوتك وخِفتُ الناس. قال: فيقول الله تعالىٰ: قد غفرت لك) قال العراقي[2]: رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد، وقد تقدم في كتاب الأمر بالمعروف[3].

(وفي الخبر الصحيح: أن رجلاً كان يداين الناس) أي يعاملهم بالدَّين **(فيسامح الغنيَّ ويتجاوز عن المعسر، فلقي اللهَ تعالىٰ ولم يعمل خيرًا قط، فقال الله**

---

(١) ودليل الخطاب: هو إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت. وانظر: البحر المحيط للزركشي ٥/ ١٣٢.

(٢) المغني ٢/ ١٠٤٨.

(٣) وقبله في كتاب العزلة.

عَزَّوَجَلَّ: مَن أحق بذلك منا؟ فعفا عنه لحسن ظنِّه ورجائه أن يعفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات) قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث أبي مسعود: «حوسِب رجل ممَّن كان قبلكم، فلم يوجَد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرًا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: نحن أحقُّ بذلك منه، تجاوزوا عنه». واتفقا عليه[٣] من حديث حذيفة وأبي هريرة بنحوه.

قلت: حديث أبي مسعود رواه كذلك أحمد[٤] والبخاري في الأدب المفرد[٥] والترمذي[٦] -وقال: حسن صحيح - والطبراني[٧] والحاكم[٨] والبيهقي[٩]. وأبو مسعود راويه هو عُقبة بن عمرو البدري الصحابي رَضِّيَّلِلَّهُعَنْهُ. ورواه أحمد[١٠] والشيخان وابن ماجه[١١] من حديث حذيفة وأبي مسعود معًا: «إن رجلًا ممَّن كان قبلكم أتاه ملَك الموت ليقبض نفسه فقال له: هل عملتَ من خير؟ قال: ما أعلم. قال له: انظر. قال: ما أعلم شيئًا غير أني كنت أبايع الناس وأحارفهم فأُنظِر المعسر وأتجاوز عن الموسر. فأدخله الله الجنة». وروى البزار[١٢] وابن حبان[١٣] والحاكم[١٤] وأبو نعيم

(١) المغني ٢/ ١٠٤٨.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٧٣٥.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٨١، ٨٢، ١٧٢، ٤٩١، ٥٠٠. صحيح مسلم ١/ ٧٣٤ - ٧٣٦.

(٤) مسند أحمد ٢٨/ ٣١٣.

(٥) الأدب المفرد ص ٩٥.

(٦) سنن الترمذي ٢/ ٥٧٦.

(٧) المعجم الكبير ١٧/ ٢٠١.

(٨) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٣٦٥.

(٩) السنن الكبرى ٥/ ٥٨٣.

(١٠) مسند أحمد ٢٨/ ٢٩٦، ٣٨/ ٣٧٥، ٣٩٧ - ٣٩٨، ٤٤٨ - ٤٤٩.

(١١) سنن ابن ماجه ٤/ ٧٦.

(١٢) مسند البزار ١٤/ ٣٥٧.

(١٣) صحيح ابن حبان ١١/ ٤٢١ - ٤٢٣، ٤٢٦.

(١٤) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٣٥.

في الحلية[1] من حديث أبي هريرة: «إن رجلاً لم يعمل خيرًا قط، وكان يداين الناسَ، فيقول لرسوله: خذ ما تيسَّر واترك ما عسُرَ وتجاوزْ لعل الله أن يتجاوز عنا. فلما هلك قال الله عَزَّوَجَلَّ له: هل عملتَ خيرًا قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام، وكنت أداين الناسَ، فإذا بعثتُه يتقاضىٰ قلت له: خذ ما تيسَّر واترك ما عسُرَ وتجاوزْ لعل الله يتجاوز عنا. قال الله تعالىٰ: قد تجاوزتُ عنك». وفي رواية لأحمد[2] والبخاري ومسلم والنسائي[3] وابن حبان: «كان رجل تاجر يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيتَ معسرًا فتجاوزْ عنه لعل الله أن يتجاوز عنا. فلقي اللهَ فتجاوزَ عنه».

(**وقال تعالىٰ**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩﴾ [فاطر: ٢٩].

ولما قال) لهم (ﷺ) يعظهم: (**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا ولخرجتم إلىٰ الصعدات تلدمون**) أي تضربون (**صدوركم وتجأرون**) أي تتضرَّعون (**إلىٰ ربِّكم. فهبط جبريل** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فقال: إن ربك يقول لك: لِمَ تقنط عبادي**)؟ قال: (**فخرج عليهم**) رسول الله ﷺ (**فرجاهم وشوَّقهم**) هكذا هو في سياق القوت. ولفظ القشيري في الرسالة: وفي بعض التفاسير: أن رسول الله ﷺ دخل علىٰ أصحابه من باب بني شيبة، فرآهم يضحكون، فقال: «أتضحكون؟! لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا». ثم مر ورجع القهقرىٰ وقال: «نزل عليَّ جبريل وأتىٰ بقوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾ [الحجر: ٤٩].

وقال العراقي[4]: رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة، وأوله متفق عليه من حديث أنس، ورواه بزيادة «ولخرجتم إلىٰ الصعدات» أحمد

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٣٢٦.

(٢) مسند أحمد ١٣/ ٢٤، ١٤/ ١١٩، ١٧٦، ٣٤٤ - ٣٤٥.

(٣) سنن النسائي ص ٧١٥.

(٤) المغني ٢/ ١٠٤٩.

والحاكم، وقد تقدم.

قلت أما المتفق عليه من حديث أنس إلىٰ قوله «كثيرًا رواه أيضًا أحمد والدارمي والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن حبان. ورواه أيضًا أحمد والبخاري والترمذي من حديث أبي هريرة. ورواه ابن عساكر والطبراني من حديث سمرة. ورواه ابن عساكر أيضًا من حديث أبي الدرداء. ورواه بزيادة «ولَخرجتم إلىٰ الصعدات تجأرون إلىٰ الله [لا تدرون] تنجون أو لا تنجون» الطبراني والحاكم والبيهقي من حديث أبي الدرداء. ورواه بزيادة «ولَما ساغ لكم الطعامُ والشراب» بعد قوله «كثيرًا» الحاكم من حديث أبي ذر. وروىٰ الحاكم من حديث أبي هريرة: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلاً، يظهر النفاق، وترتفع الأمانة ...» الحديث. وروىٰ أبو نعيم في الحلية من طريق حزام بن حكيم قال: قال أبو الدرداء: لو تعلمون ما أنتم راءون بعد الموت لَما أكلتم طعامًا علىٰ شهوة، ولا شربتم شرابًا علىٰ شهوة، ولا دخلتم بيتًا تستظلُّون فيه، ولخرجتم إلىٰ الصعدات تضربون صدوركم وتبكون علىٰ أنفسكم»[1].

(**وفي الخبر: إن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ داود** عليه السلام): يا داود (**أَحِبَّني، وأَحِبَّ من يحبني، وحبِّبْني إلىٰ خلقي. فقال: يا رب**) هذا أَحِبُّك وأحب مَن يحبك فـ (**كيف أحبِّبك إلىٰ خلقك؟ قال: اذكرْني بالحَسن الجميل، واذكرْ آلائي وإحساني، وذكِّرْهم ذلك، فإنهم لا يعرفون مني إلا الجميل**)[2] هكذا هو في القوت، إلا أنه قال: أوحىٰ الله إلىٰ داود وغيره من الأنبياء ... ثم ساقه، ولم يقل: وفي الخبر، ولذلك قال

---

(١) أحاديث أبي هريرة وأنس وأبي الدرداء وأبي ذر تقدمت في الفصل الثاني من كتاب قواعد العقائد، وفي كتاب آفات اللسان [المزاح]، وفي كتاب ذم الدنيا. أما حديث سمرة فرواه الطبراني في المعجم الكبير ٧/ ٢٩٨.

(٢) رواه أبو عبيد في الخطب والمواعظ ص ١٤٥ (ط - مكتبة الثقافة الدينية) عن أبي عبد الله الجدلي قال: أوحىٰ الله إلىٰ داود ... فذكره بنحوه. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/ ٢٣٩ عن إسحاق بن خلف قال: أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ ... فذكره.

العراقي[١]: لم أجد له أصلاً، وكأنَّه من الإسرائيليات.

(ورُئِي أبان بن أبي عيَّاش) البصري[٢]، أبو إسماعيل العبدي، واسم أبيه: فيروز، روىٰ له أبو داود، مات في حدود الأربعين [ومائة] (في النوم) بعد موته (وكان يُكثِر ذِكر أبواب الرجاء) والرخص، فقال له الرائي: ما فعل الله بك؟ (فقال: أوقفني الله تعالىٰ بين يديه فقال: ما الذي حملك علىٰ ذلك) أي علىٰ أن حدَّثتَ عني بما حدَّثتَ به من الرخص؟ قال: (فقلت): يا رب (أحببت أن أحبِّبك إلىٰ خلقك. فقال: قد غفرتُ لك) هكذا أورده صاحب القوت.

(ورُئِي) القاضي[٣] (يحيىٰ بن أكثم) بن محمد بن قطن التميمي المروزي، أبو محمد، فقيه، صدوق، روىٰ له الترمذي، وكان يرىٰ الرواية بالإجازة والوجادة، ولذلك كثُر فيه الكلامُ، مات عن ثلاث وثمانين سنة في أواخر سنه اثنتين وأربعين ومائة (بعد موته في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال: يا شيخ السوء، فعلتَ وفعلت. قال: فأخذني من الرعب) والفزع (ما يعلم الله، ثم قلت: يا رب، ما هكذا حُدِّثتُ عنك. فقال: وما حُدِّثتَ عني؟ فقلت: حدثني عبد الرزاق) بن[٤] همَّام بن نافع الحميري مولاهم، أبو بكر الصنعاني، ثقة، حافظ، مصنِّف شهير، عمي في آخر عمره، مات سنة إحدىٰ عشرة ومائة عن خمس وثمانين سنة، روىٰ له الجماعة (عن معمر) بن[٥] راشد الأزدي مولاهم، أبي عروة البصري، نزيل اليمن، ثقة، ثبت، فاضل، مات سنة أربع وخمسين [ومائة] عن ثمان وخمسين سنة، روىٰ له الجماعة (عن الزهري) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب المدني، الفقيه الثبت المشهور (عن أنس) بن

---

(١) المغني ٢/ ١٠٤٩.

(٢) تقريب التهذيب ص ١٠٣، وفيه أنه متروك.

(٣) السابق ص ١٠٤٩.

(٤) السابق ص ٦٠٧.

(٥) السابق ص ٩٦١.

مالك رضي الله عنه **(عن نبيِّك ﷺ عن جبريل عليه السلام أنك قلت)** تباركت وتعاليت: **(أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ بي ما شاء. و)** قد **(كنت أظن بك أن لا تعذِّبني. فقال الله** عز وجل: **صدق جبريل، وصدق نبيِّي، وصدق أنس، وصدق الزهري، وصدق معمر، وصدق عبد الرزاق، وصدقت أنت. قال: فأُلبستُ)** أي من خُلَع الجنة **(ومشي بين يديَّ الولدان إلىٰ الجنة، فقلت: يا لها من فرحة)**[١]! هكذا أورده صاحب القوت. وحديث «أنا عند ظن عبدي بي» تقدم ذِكرُه قريبًا من رواية واثلة بن الأسقع عند ابن حبان بهذا السياق، وليس هو من حديث أنس. وأورده القشيري من وجه آخر فقال: سمعت أبا الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد المزكِّي قال: حدثنا أبو زكريا يحيىٰ بن محمد الأديب قال: حدثنا الفضل ابن صدقة [قال]: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد قال: كان يحيىٰ ابن أكثم القاضي صديقًا لي، وكان يودُّني وأودُّه، فمات يحيىٰ، فكنت أشتهي أن أراه في المنام فأقول له: ما فعل الله بك؟ فرأيته ليلةً في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، إلا أنه وبَّخني، ثم قال لي: يا يحيىٰ، خلطت عليَّ في دار الدنيا. فقلت: يا رب، اتَّكلت علىٰ حديث حدثني به أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنك قلت: إني لأستحي أن أعذِّب ذا شيبة بالنار». فقال: قد عفوت عنك يا يحيىٰ، وصدق نبيِّي، إلا أنك خلطت عليَّ في دار الدنيا.

(وفي الخبر: إن رجلاً من بني إسرائيل كان يقنط الناسَ) من رحمة الله تعالىٰ **(ويشدِّد عليهم)** بالإنذار والتخويف **(قال: فيقول الله تعالىٰ له يوم القيامة: اليوم أؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها)** كذا في القوت. وقال العراقي[٢]:

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩٦ - ٢٩٧ - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٤/ ٩١ - بنحوه عن محمد بن سلم الخواص.

(٢) المغني ٢/ ١٠٤٩.

رواه البيهقي في الشعب[١] عن زيد بن أسلم فذكره مقطوعًا.

(وقال ﷺ: إن رجلاً يدخل النار، فيمكث فيها ألف سنة ينادي: يا حنَّان يا مَنَّان. فيقول الله تعالىٰ لجبريل) عليه السلام: **(اذهب فأتني بعبدي. قال: فيجيء به فيوقفه علىٰ ربِّه، فيقول الله تعالىٰ له: كيف وجدتَ مكانك؟ فيقول: شر مكان. فيقول: رُدُّوه إلىٰ مكانه. قال: فيمشي ويلتفت إلىٰ ورائه، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: إلىٰ أيِّ شيء تلتفت؟ فيقول: لقد رجوت أن لا تعيدني إليها بعد إذ أخرجتني منها. فيقول الله تعالىٰ: اذهبوا به إلىٰ الجنة)** قال العراقي[٢]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله[٣] والبيهقي في الشعب[٤] وضعَّفه من حديث أنس.

قلت: وروىٰ أحمد[٥] من حديث عُبادة بن الصامت وفضالة بن عبيد معًا: «إذا كان يوم القيامة وفرغ الله تعالىٰ من قضاء الخلق فيبقىٰ رجلان، فيؤمَر بهما إلىٰ النار، فيلتفت أحدهما، فيقول الجبار تعالىٰ: رُدُّوه. فيردُّونه، فيقول له: لِمَ التفتَّ؟ فيقول: كنت أرجو أن تدخلني الجنة. فيؤمَر به إلىٰ الجنة، فيقول: لقد أعطاني الله عَزَّوَجَلَّ حتىٰ لو أطعمتُ أهل الجنة ما نقص ذلك ممَّا عندي شيئًا».

وأما لفظ حديث أنس عند البيهقي: «إن عبدًا في جهنم ينادي ألف سنة: يا

(١) شعب الإيمان ٢/ ٣٤١، بلفظ: «أن رجلا كان في الأمم يجتهد في العبادة، ويشدد علىٰ نفسه، ويقنط الناس من رحمة الله تعالىٰ، ثم مات، فقال: أي رب، ما لي عندك؟ قال: النار. قال: أي رب، فأين عبادتي واجتهادي؟ فيقول: إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا، فأنا أقنطك اليوم من رحمتي».

(٢) المغني ٢/ ١٠٤٩.

(٣) حسن الظن بالله ص ٧١.

(٤) شعب الإيمان ١/ ٥٠١. والحديث في صحيح مسلم ١/ ١٠٧ مختصر جدا بلفظ: «يخرج من النار أربعة فيعرضون علىٰ الله، فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب، إذ أخرجتني منها فلا تعدني فيها. فينجيه الله منها».

(٥) مسند أحمد ٣٧/ ٤٥٤.

حنَّان يا منَّان. فيقول الله لجبريل: اذهب فائتني بعبدي هذا. فينطلق جبريل، فيجد أهل النار مكبِّين يبكون، فيرجع إلىٰ ربه ﷻ فيخبره، فيقول: ائتني به، فإنه في مكان كذا وكذا. فيجيء به فيوقفه علىٰ ربه، فيقول له: يا عبدي، كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ فيقول: يا رب، شر مكان وشر مَقيل. فيقول: رُدُّوا عبدي. فيقول: يا رب، ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تعيدني فيها. فيقول: دعوا عبدي». وقد رواه كذلك أحمد[١] وابن خزيمة[٢].

(**فدلَّ هذا علىٰ أن رجاءه كان سبب نجاته**) من النار. ولفظ القوت: وروينا في خبر عن رسول الله ﷺ: «إن رجلاً يخرج من النار، فيوقَف بين يدي الله ﷻ، فيقول له: كيف وجدت مكانك؟ ...» الحديث. ثم قال: فقد صار الرجاء طريقه إلىٰ الجنة، كمن كان الخوف طريق صاحبه في الدنيا إليها، روينا أن الآخَر سعىٰ مبادرًا إلىٰ النار لمَّا قال: رُدُّوه. فقيل له في ذلك، فقال: لقد ذقتُ من وبال معصيتك في الدنيا ما خفتُ من عذابك في الآخرة [فقيل: اصرفوه إلىٰ الجنة] أو قال: خِفتُ أن أعصيه في الآخرة كما عصيته في الدنيا. فقال: اذهبوا به إلىٰ الجنة (**نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه**).

---

(١) السابق ٢١/ ٣٦، ٩٩ - ١٠٠.

(٢) التوحيد ص ٧٤٩.

بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حالُ الرجاء ويغلب

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ (أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين: إما رجل غلب عليه اليأس) من رَوح الله تعالىٰ (فترك العبادة) من أصلها (وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة علىٰ العبادة فأضرَّ بنفسه وأهله) وهذا هو الموطن الرابع من مواطن استعمال الرجاء، وقد تقدمت الإشارة للمواطن الثلاثة. ثم هذا العبد الذي أورثه الإفراط في الخوف إلىٰ القنوط إما بسبب كثرة الذنوب أو بسبب الجهل بجود الله وكرمه وقبوله للتوبة من العبد المذنب إذا رجع إليه، فهذا داء عظيم يجب دواؤه بالرجاء، كما يشير إليه المصنف فيما بعد (وهذان رجلان مائلان عن) حدِّ (الاعتدال إلىٰ طرفَي الإفراط والتفريط، فيحتاجان إلىٰ علاج يردُّهما إلىٰ الاعتدال، فأما العاصي المغرور المتمنِّي علىٰ الله) المغفرة والدرجات العالية (مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فأدوية الرجاء تنقلب سمومًا مهلكة في حقه وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء) للناس بنص القرآن، أي (لمَن غلب عليه البرد) منهم في مزاجه، إما من أصله أو من عارض (وهو سم مهلك لمَن غلبت عليه الحرارةُ) في مزاجه، إما من طبع أو من عارض، وهذا مما اتفق عليه العارفون بالطب والمتكلِّمون علىٰ الخواص (بل المغرور) المتمني (لا يُستعمَل في حقه إلا أدوية الخوف والأسباب المهيِّجة له) لتكون مزيلة لمرض غروره، والأمراض لا تعالَج إلا بأضدادها (فلهذا يجب أن يكون واعظ) العامة من (الخلق) وكذا الأستاذ والمعلِّم حكيمًا بصيرًا (متلطِّفًا) عارفًا بنبضهم (ناظرًا إلىٰ مواقع العلل، معالجًا لكل علة بما يضادُّها لا بما يزيد فيها) ويهيِّجها (فإن المطلوب) في كل شيء (هو العدل والقصد في الصفات والأخلاق كلها، وخير الأمور أوساطها) كما ورد ذلك في

الخبر، وتقدم ذِكرُه (**فإذا جاوز الوسطَ إلىٰ أحد الطرفين عولِج بما يردُّه إلىٰ الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط، وهذا الزمان**) يعني به زمانه الذي كان فيه وهو رأس الأربعمائة بعد الهجره (**زمانٌ لا ينبغي أن يُستعمَل فيه مع الخلق أسباب الرجاء**) وما يُترخَّص فيه (**بل المبالغة في التخويف**) والتحذير (**أيضًا تكاد**) أي تقرُب (**أن لا تردَّهم إلىٰ جادَّة الحق وسَنَن الصواب**) أي طريقه (**فأما ذِكر أسباب الرجاء**) والرُّخَص (**فتهلكهم وترديهم**) أي توقِعهم في الرَّدَىٰ (**بالكلِّية، ولكنها لمَّا كانت أخف**) وقعًا (**علىٰ القلوب وألذ عند النفوس**) وأرْوَح عند الأسماع (**ولم يكن غرض الوعَّاظ**) وأرباب الكراسي (**إلا استمالة القلوب**) إليهم (**واستنطاق الخلق بالثناء**) عليهم (**كيفما كانوا مالوا إلىٰ الرجاء**) والرخص (**حتىٰ ازداد الفساد فسادًا، وازداد المنهمكون في الطغيان تماديًا، قال علي كرَّم الله وجهه: إنما العالِم الذي لا يقنط الناسَ من رحمة الله تعالىٰ، ولا يؤمنهم من مكر الله تعالىٰ**) ولفظه في نهج البلاغة(١): الفقيه كل الفقيه مَن لم يقنط الناسَ من رحمة الله، ولم يؤيسهم من رَوح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله.

وقال أبو نعيم في الحلية(٢): حدثنا أبي، حدثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن الحكم، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا شجاع بن الوليد، عن زياد بن خيثمة، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخِّص لهم في معصية الله، ولا يَدَع القرآن رغبةً عنه إلىٰ غيره، ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبُّر فيها.

(**ونحن نذكر أسباب الرجاء لتُستعمَل في حق الآيس**) من رَوح الله (**أو فيمَن غلب عليه الخوف**) وأفرط فيه حتىٰ أخرجه إلىٰ القنوط من رحمة الله (**اقتداءً بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنَّة رسوله ﷺ، فإنهما مشتملان علىٰ الخوف والرجاء جميعًا؛ لأنهما جامعان**

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٨/ ٣٢٠.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٧٧.

لأسباب الشفاء في حق أصناف المرضىٰ؛ ليستعملها العلماء الذين هم ورثة الأنبياء) كما ورد ذلك في الخبر، وذلك **(بحسب الحاجة)** والاضطرار **(استعمال الطبيب الحاذق)** الذي يضع الهِناء مواضع النُّقْب[1] **(لا استعمال الأخرق)** الجاهل **(الذي يظن أن كل شيء من الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان)**.

وحال الرجاء يغلب بفنَّين، أحدهما: الاعتبار) وهو افتعال من العِبرة **(والآخَر: استقراء الآيات والأخبار والآثار)** أي تتبُّعها **(أما الاعتبار فهو)** استقراء أول الوجود، فإنك ترىٰ الوجود من قمة العرش إلىٰ منتهىٰ الفرش خيرًا كله، ولم يكن فيه من الشر إلا ما يُنسَب إلىٰ جنس المكلَّفين، والمكلَّفون في جزء يسير من الأرض، والأرض جزء يسير من الدنيا، وما الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم أصبعه في اليم، وهذا ظاهر في الاستقراء؛ لأن عالَم الآخرة أوسع من عالم الدنيا، بل ملَك من الملائكة يعدل الخلقَ أجمع، فموجِبات الرحمة في الوجود أكثر من موجِبات الغضب، ولذلك آثار كثيرة أثنىٰ بها علىٰ نفسه فقال: الرحمن، الرحيم، الفتاح، الكريم، الجواد، الأكرم، التواب، الوهاب، العفو، الغفور، الشكور، الصمد، المجيب، الودود، البَر، الرزاق، اللطيف، الرؤوف، المحسن، المنعم، المنَّان، الرفيق، الهادي. مع ما يضاف إلىٰ هذا من الرضا والمحبة والذكر والمشي والهرولة وما أشبهَ هذا، فالنظر إلىٰ آثار هذه الأفعال وما ورد من الأخبار في فضائل الأعمال شفاء للإياس، وترويح للخائف، وترغيب للمعتدل. ومن الاعتبار أيضًا: **(أن يتأمَّل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم)** الستة عشر **(من كتاب الشكر، حتىٰ إذا علمَ لطائف نعم الله لعباده في الدنيا وعجائب حِكَمه التي راعاها في فطرة الإنسان)** أي خلقته **(حتىٰ أعدَّ له في الدنيا كلَّ ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء،**

---

(١) قال ابن عبد ربه في العقد الفريد ٢/ ١٢٢: «من أمثالهم في البلاغة قولهم: يضع الهناء مواضع النقب. أي لا يتكلم إلا فيما يجب فيه الكلام، مثل الطالي الرفيق الذي يضع الهناء مواضع النقب. والهناء: القطران. والنقب: الجرب». وفي جمهرة الأمثال للعسكري ٢/ ١٥٧: «يضرب لكل من يضع الشيء موضعه».

وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار، وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين) أي كونهما علىٰ صورة القوس ثم سوَّاهما (واختلاف ألوان العينين) من بياض وسواد (وحمرة الشفتين، وغير ذلك ممَّا كان لا ينثلم بفقده غرضٌ مقصود) أي لا ينقص ولا يفوت (وإنما كان تفوت به مزية جمال) الصورة (فالعناية الإلهية إذا لم تقصُر عن عِباده في أمثال هذه الدقائق حتىٰ لم يرضَ لعباده أن تفوتهم المَزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضىٰ بسياقهم إلىٰ الهلاك المؤبَّد، بل إذا نظر الإنسان نظرًا شافيًا علم أن أكثر الخلق قد هُيِّئت له أسباب السعادة في الدنيا، حتىٰ إنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت) ومفارقتها (وإن أُخبِر بأنه لا يعذَّب بعد الموت أبدًا مثلاً أو لا يُحشَر أصلاً، فليست كراهتهم للعدم) الذي هو الموت (إلا لأن أسباب النعم أغلب لا محالة، وإنما الذي يتمنَّىٰ الموت نادر) قليل (ثم) إذا فُرض تمنِّيه فإنه (لا يتمنَّاه إلا في حالة نادرة وواقعة هاجمة غريبة) هجمت عليه ولم يرَ منها الانفكاك، فاختار بطن الأرض علىٰ ظهرها (فإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنَّة الله لا تجد لها تبديلاً) ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ۝٤٣﴾ [فاطر: ٤٣] (فالغالب أن أمر الآخرة هكذا يكون؛ لأن مدبِّر الدنيا والآخرة واحد، وهو غفور، رحيم، لطيف بعباده، متعطِّف عليهم. فهذا) الذي ذكرناه مع ما سبق من غلبة الرحمة (إذا تُؤمِّل حق التأمُّل قويت به أسباب الرجاء) للآيسين (ومن الاعتبار أيضًا: النظر في حكمة الشريعة) المطهَّرة (وسننها في) أحكام (مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها، حتىٰ كان بعض العارفين يرىٰ آية المداينة) الطويلة المذكورة (في) سورة (البقرة من أقوىٰ أسباب الرجاء) وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٢٨٣﴾ [البقرة: ٢٨٢] (فقيل له: وما فيها من الرجاء؟ فقال: الدنيا كلها قليل) بالنسبة إلىٰ الآخرة (ورزق الإنسان منها قليل) بالإضافة إلىٰ رزق سائر الحيوانات (والدين قليلٌ مَن رُزِقه. فانظر كيف أنزل الله تعالىٰ فيه أطول آية ليهدي عباده إلىٰ طريق الاحتياط في حفظ دينه، فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه) في دنياه وعُقباه. ولفظ القوت:

وكان بعض الراجين من العارفين إذا تلا هذه الآية آية الدَّين التي في سورة البقرة يُسَرُّ بذلك ويستبشر لها ويعظُم رجاؤه عندها، فقيل له في ذلك: إنها ليس فيها رجاء ولا ما يوجب رجاءَ الاستبشار. فقال: بل فيها رجاء عظيم [قيل: وكيف ذلك]؟ فقال: إن الدنيا كلها قليل، ورزق الإنسان فيها قليل [من قليل] وهذا الدَّين مَن رُزِقه فقليل من قليل [من قليل] ثم إن الله احتاط لي في ذلك ودقَّق النظر لي بأن وكَّد دَيني بالشهود والكُتَّاب، وأنزل الله فيه أطول آية [في كتابه] ولو فاتني ذلك لم أبالِ به، فكيف يكون فعلُه بي في الآخرة التي لا عوض لي من نفسي فيها.

(**الفن الثاني: استقراء الآيات**) القرآنية (**والأخبار**) النبوية: (**فما ورد في الرجاء**) من ذلك كثيرٌ (**خارج عن الحصر**) والضبط، ولكن يُذكر هنا من كل ذلك ما ينفع الراجين (**أما الآيات، فقد قال الله تعالىٰ**: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾) [الزمر: ٥٣] وهذه أرجىٰ آية في القرآن (و) روينا (**في قراءة رسول الله ﷺ: ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم**) وفي المشهورة المتواترة بحذفها. قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] من حديث أسماء بنت يزيد، وقال: حسن غريب.

(**وقال تعالىٰ**) مخبراً عن الملائكة الحافِّين حول العرش: (﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [الشورىٰ: ٥].

وأخبر تعالىٰ أن النار أعدَّها لأعدائه، وإنما خوَّف بها أولياءه، فقال: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ﴾ [الزمر: ١٦].

و) مثله (**قال تعالىٰ**: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: ١٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ

---

(١) المغني ٢/ ١٠٤٩.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٢٨٧.

وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٤ - ١٦].

وقال تعالىٰ) في عفوه عن الظالمين: (﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] **ويقال: إن النبي ﷺ لم يزل يسأل في أمَّته حتىٰ قيل له: أما ترضىٰ وقد أُنزلت عليك هذه الآية)** يعني (﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾) هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي[١]: لم أجده بهذا اللفظ، وروىٰ ابن أبي حاتم والثعلبي[٢] في تفسيريهما من رواية علي بن زيد بن جُدعان عن سعيد ابن المسيب قال: لمَّا أُنزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «لولا عفو الله وتجاوُزه ما هنأ أحدًا العيشُ ...» الحديث.

(و) جاء (**في تفسير قوله تعالىٰ**: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝﴾ [الضحىٰ: ٥] **قال: لا يرضىٰ محمد)** ﷺ **(وواحد من أمَّته في النار)** هكذا أورده صاحب القوت. والقائل لذلك ابن عباس[٣]، رواه الخطيب في تلخيص المتشابه بسنده عنه. ورواه ابن جرير[٤] من طريق السُّدِّي عن ابن عباس بلفظ: من رضا محمد أن لا يدخل أحدٌ من أهل بيته النارَ. ورواه البيهقي في الشعب[٥] من طريق سعيد بن جبير عنه قال: رضاه أن تدخل أمَّتُه الجنة كلهم.

(**وكان أبو جعفر محمد بن علي**) بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم (**يقول: أنتم يا أهل العراق تقولون: أرجىٰ آية في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ قوله تعالىٰ**: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ **الآية، ونحن أهل**

---

(١) المغني ٢/ ١٠٥٠.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ١٥/ ٢١٧ (ط - دار التفسير)، وتمامه: «ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد».

(٣) بل هو مرفوع إلىٰ رسول الله ﷺ. تلخيص المتشابه في الرسم ص ١٧٣.

(٤) جامع البيان ٢٤/ ٤٨٨.

(٥) شعب الإيمان ٣/ ٤٤.

البيت نقول: أرجىٰ آية في كتاب الله تعالىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾) وعده ربُّه تعالىٰ أن يرضيه في أمَّته. هكذا أورده صاحب القوت. وروىٰ ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية[1] من طريق حرب بن سُرَيج قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: أرأيتَ هذه الشفاعة التي يتحدَّث بها أهل العراق أحقٌّ هي؟ قال: إي واللهِ، حدثني عمي محمد ابن الحنفية عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «أشفع لأمَّتي حتىٰ يناديني ربي: أرضيتَ يا محمد؟ فأقول: نعم يا ربِّ، رضيتُ». ثم أقبل عليَّ فقال: إنكم تقولون يا معشر أهل العراق: إن أرجىٰ آية في كتاب الله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية. قلت: إنَّا لَنقولُ كذلك. قال: ولكنا أهل البيت نقول: إن أرجىٰ آية في كتاب الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ وهي الشفاعة.

ومن الآيات الدالَّة علىٰ الرجاء قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الشورىٰ: ١٩] وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فدخلت جهنم وغيرُها في توسعة الرحمة من حيث كُنَّ شيئًا. وقوله تعالىٰ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ معناه خصوص الرحمة وصَفْوها لا كُنْهها؛ إذ لا نهاية للرحمة؛ لأنها صفة الراحم الذي لا حدَّ له، ولأنه لم يخرج عن رحمته شيء، كما لم يخرج عن حكمته وقدرته شيءٌ؛ لأن جهنم والنار الكبرىٰ ليس كُنْه عذابه ولا كلِّية تعذيبه، فمَن ظن ذلك به فلم يعرفه، ولأنه إنما أظهر من عذابه مقدارَ طاقة الخلق، كما أنه أظهر من مُلكه ونعمه مقدار مصالح الخلق، ولا يصلُح للخلق ولا يطيقون إظهار أكثر ممَّا أظهر من النعيم والعذاب، بل لا ينبغي لهم أن يعرفوا فوق ما أُبدِيَ؛ لأن نهاية تعذيبه وتنعيمه من نهاية مُلكه الذي هو قائم به، ومُلكه عن غاية قدرته وسلطانه، ولا نهاية لذلك، ولا يطيق الخلق كلُّه إظهارَ ذلك [وذلك] أيضًا عن تعالِي صفاته ونهاية

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ١٧٩.

معاني أسمائه المتناهيات، ولا سبيل إلىٰ كشف ذلك من الغيوب، فسبحان مَن لا نهاية لقدرته ولا حدَّ لعظمته ولا أمد لسلطانه! وكذلك شهدوا ما سمعوا من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤، فاطر: ٤١] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ [الأحزاب: ٥١] فعلموا أن المغفرة علىٰ سعة الحلم، كما أن الحلم لسعة العلم، فلما رأوا عظيم حلمه رجوا عظيمَ مغفرته، ولمَّا شهدوا كثيف ستره أمَّلوا جميل عفوه.

(وأما الأخبار، فقد روىٰ أبو موسىٰ) عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه (عنه ﷺ أنه قال: **أمَّتي أمة مرحومة، لا عذاب عليها في الآخرة، عجَّل الله عقابها في الدنيا الزلازل والفتن، فإذا كان يوم القيامة دُفع إلىٰ كل رجل من أمَّتي رجلٌ من أهل الكتاب فقيل: هذا فداؤك من النار**) قال صاحب القوت: رويناه في حديث أبي بُردة عن أبيه عن أبي موسىٰ. وقال العراقي[1]: رواه أبو داود[2] دون قوله: فإذا كان يوم القيامة ... الخ، فرواها ابن ماجه[3] من حديث أنس بسند ضعيف، وهي صحيحة من حديث أبي موسىٰ، كما يأتي في الحديث الذي يليه. انتهىٰ.

قلت: لفظ أبي داود: «أمَّتي هذه أمَّة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة، إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا». ورواه كذلك الطبراني[4] والحاكم[5]. وروىٰ الحاكم في الكنىٰ[6] من حديث أنس: «أمَّتي أمَّة مرحومة، مغفور لها، مُتاب عليها». وروىٰ الخطيب في المتفق والمفترق[7] وابن النجار من

---

(١) المغني ٢/ ١٠٥٠.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٢٨.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٦٦.

(٤) المعجم الأوسط ٤/ ٢٣٠.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦١٠.

(٦) الكنىٰ والأسماء ١/ ١٥٨ - ١٥٩ (ط - مكتبة الغرباء الأثرية).

(٧) المتفق والمفترق ص ١١١٥.

حديث ابن عباس: «أمَّتي أمَّة مرحومة، لا عذاب عليها في الآخرة، إذا كان يوم القيامة أعطىٰ الله كل رجل من أمَّتي رجلاً من أهل الأديان فكان فداءه من النار». وفيه عبد الله بن ضرار عن أبيه، قال ابن معين: لا يُكتَب حديثه[١].

(وفي لفظ آخر: **يأتي كل رجل من هذه الأمَّة بيهودي أو نصراني إلىٰ جهنم فيقول: هذا فدائي من النار، فيُلقَىٰ فيها**) كذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي[٢]: رواه مسلم[٣] من حديث أبي موسىٰ: «إذا كان يوم القيامة دفع الله إلىٰ كل مسلم يهوديًّا أو نصرانيا فيقول: هذا فداؤك من النار». وفي رواية: «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهوديًّا أو نصرانيًّا». انتهىٰ.

قلت: وفي لفظ لمسلم: «أعطىٰ الله كلَّ رجل من هذه الأمَّة رجلاً من الكفار، فيقال له: هذا فداؤك من النار»[٤]. رواه هكذا عن أبي بُردة عن أبي موسىٰ. وفي لفظ للطبراني في الكبير وفي الأوسط[٥] والحاكم في الكنىٰ: «إذا كان يوم القيامة بعث الله إلىٰ كل مؤمن ملَكًا معه كافرٌ، فيقول الملَك للمؤمن: يا مؤمن، هاك هذا الكافرَ، فهذا فداؤك من النار». وفي لفظ لأحمد[٦]: «إذا كان يوم القيامة لم يبقَ مؤمن إلا أُتي بيهودي أو نصراني حتىٰ يُدفَع إليه فيقال له: هذا فداؤك من النار». وعند أبي نعيم في الحلية[٧]: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد، ثم يُدفَع لكل قوم آلهتهم ...» الحديث، وفيه: «فيقال لأهل التوحيد: ارفعوا رؤوسكم، فقد أوجب الله لكم الجنة، وجعل مكان كل رجل منكم يهوديًّا أو نصرانيًّا في النار».

---

(١) نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٤٤٨، وزاد: ليس بشيء.
(٢) المغني ٢/ ١٠٥٠.
(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢٦٨ - ١٢٦٩.
(٤) هذا اللفظ ليس عند مسلم، وإنما هو عند البيهقي في البعث والنشور ص ٩٥.
(٥) هذه الرواية ليست في المعجم الأوسط، وإنما في مسند الشاميين ٣/ ٤٠٣.
(٦) مسند أحمد ٣٢/ ٣٧٥.
(٧) حلية الأولياء ٥/ ٣٦٣.

وأما الرواية الثانية لمسلم «لا يموت رجل ...» الحديث فقد رواه كذلك ابن حبان[1] والطبراني.

(وقال ﷺ: الحُمَّىٰ من فيح جهنم، وهي حظ المؤمن من النار) قال العراقي[2]: رواه أحمد[3] من رواية أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة، وأبو صالح لا يُعرَف ولا يُعرَف اسمه. انتهىٰ.

قلت: ويقال هو الأنصاري، روىٰ له ابن ماجه في كتاب التفسير له[4]. وقد رواه أيضًا الطبراني[5] وابن مردويه وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات[6]، ولفظ الكل: «الحمىٰ كير من جهنم، فما أصاب المؤمنَ منها كان حظُّه من النار». وفي الصحيحين[7]: «الحمىٰ من فيح جهنم، فأبرِدوها بالماء». وروىٰ الطبراني وابن قانع[8] وابن مردويه والشيرازي في الألقاب وابن عساكر[9] من حديث أبي ريحانة الأنصاري: «الحمىٰ كير من جهنم، وهي نصيب المؤمن من النار». وعند ابن النجار: «من كير جهنم، وهي حظ المؤمن من النار». وروىٰ الطبراني في الأوسط[10] من حديث أنس: «الحمىٰ حظ المؤمن من النار». وزاد ابن عساكر[11] من حديث

---

(١) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٩٧.

(٢) المغني ٢/ ١٠٥٠ - ١٠٥١.

(٣) مسند أحمد ٣٦/ ٤٩٥، ٦٠٨.

(٤) تقريب التهذيب ص ١١٦١.

(٥) المعجم الكبير ٨/ ١١٠.

(٦) الغيلانيات ص ٢٨٤.

(٧) صحيح البخاري ٢/ ٤٣٦، ٤/ ٤٠ - ٤١. صحيح مسلم ٢/ ١٠٥١ - ١٠٥٢ من حديث ابن عباس وابن عمر ورافع بن خديج وعائشة وأسماء بنت أبي بكر.

(٨) معجم الصحابة ١/ ٣٤٥.

(٩) تاريخ دمشق ٢٣/ ١٩٨.

(١٠) المعجم الأوسط ٧/ ٢٩٥.

(١١) تاريخ دمشق ٥٦/ ٣١٣.

عثمان بن عفان: «يوم القيامة». وروىٰ البزار[١] من حديث عائشة: «الحمىٰ حظ كل مؤمن من النار». ورواه كذلك القضاعي[٢] من حديث ابن مسعود بزيادة: «وحمىٰ ليلة تكفِّر خطايا سنة مُجَرَّمة».

(ورُوي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية [التحريم: ٨] **أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ نبيِّه ﷺ: إني أجعل حساب أمَّتك إليك. قال: لا يا رب، أنت خير لهم مني. فقال: إذًا لا نخزيك فيهم)** هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي[٣]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله[٤].

قلت: روىٰ أحمد[٥] وابن عساكر من حديث حذيفة: «إن ربي استشارني في أمَّتي ماذا أفعل بهم؟ فقلت: ما شئتَ يا رب، هم خلقك وعبادك. فاستشارني الثانية، فقلت له كذلك، فاستشارني الثالثة، فقلت له كذلك، فقال تعالىٰ: إني لن أخزيك في أمَّتك يا أحمد ...» الحديث.

(ورُوي عن أنس) بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(أن رسول الله ﷺ سأل ربه في ذنوب أمَّته فقال: يا رب، اجعلْ حسابهم إليَّ لئلاَّ يطَّلع علىٰ مساوئهم غيري. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: هم أمَّتك، وهم عبادي، وأنا أرحم بهم منك، لا أجعل حسابهم إلىٰ غيري لئلاَّ تنظر إلىٰ مساوئهم أنت ولا غيرك)** هكذا أورده صاحب القوت عن سلمة بن وردان عن أنس. وقال العراقي[٦]: لم أقف له علىٰ أصل.

---

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ٣٦٤.

(٢) مسند الشهاب ١/ ٧١.

(٣) المغني ٢/ ١٠٥١.

(٤) حسن الظن بالله ص ٤٧، ولفظه: «ذكر الحسين بن عبد الرحمن عن شيخ من قريش قال: أوحىٰ الله إلىٰ نبيه محمد ﷺ: أتحب أن أجعل أمر أمتك إليك؟ قال: لا يا رب، أنت خير لهم. فأوحىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ إليه: إذًا لا أخزيك فيهم».

(٥) مسند أحمد ٣٨/ ٣٦١.

(٦) المغني ٢/ ١٠٥١.

(**وقال ﷺ: حياتي**) أي[١] في الدنيا (**خير لكم، وموتي خير لكم**) ولفظ «خير» أريدَ به التفضيل لا الأفضلية، فلا توصَل بـ «من»، وليست بمعنىٰ أفضل، وإنما المقصود أن في كلٍّ من حياته وموته خيرًا، لا أن هذا خير من هذا ولا هذا خير من هذا كما تُوهِّم[٢] (**أما حياتي فأسنُّ لكم السننَ وأشرِّع لكم الشرائعَ، وأما موتي، فإن أعمالكم تُعرَض عليَّ، فما رأيتُ منها حسنًا حمدتُ الله عليه، وما رأيت منها سيئًا أستغفرُ الله لكم**) أي أطلب لكم مغفرة الصغائر وتخفيف عقوبات الكبائر. هكذا هو في القوت. وقال العراقي[٣]: رواه البزار[٤] من حديث ابن مسعود، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد وإن أخرج له مسلم ووثَّقه ابن معين والنسائي فقد ضعَّفه كثيرون. ورواه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف. انتهىٰ.

قلت: لفظ الحارث بن أبي أسامة: «حياتي خير لكم، ينزل عليَّ الوحي من السماء فأخبركم بما يحل لكم وما يحرُم عليكم. وموتي خير لكم، تُعرَض عليَّ أعمالكم كل خميس، فما كان من حَسن حمدتُ الله عليه، وما كان من ذنب استوهبت لكم ذنوبَكم»[٥]. ورواه الحارث أيضًا مختصرًا بلفظ: «حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم». ورواه كذلك أبو نصر اليونارتي في معجمه وابن النجار.

وروىٰ ابن سعد في الطبقات[٦] عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً: «حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيرًا لكم، تُعرَض عليَّ أعمالكم، فإن رأيتُ خيرًا حمدت الله، وإن رأيت شرا استغفرت لكم».

---

(١) فيض القدير ٣/ ٤٠٠ - ٤٠١.
(٢) ذكر ذلك السيوطي في الحاوي في الفتاوي ١/ ٣٧٦ - ٣٧٧.
(٣) المغني ٢/ ١٠٥١.
(٤) مسند البزار ٥/ ٣٠٨.
(٥) رواه بهذا اللفظ أبو طاهر المخلص في المخلصيات ٣/ ٢٣٧.
(٦) الطبقات الكبرىٰ ٢/ ١٧٤.

(**وقال ﷺ يومًا: يا كريم العفو. فقال جبريل عليه السلام: أتدري ما تفسير «يا كريم العفو»؟ هو إن عفا عن السيئات برحمته بدَّلها حسنات بكرمه**) هكذا هو في القوت. وقال العراقي[١]: لم أجده عن النبي ﷺ، والموجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وجبريل عليهما السلام، هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة[٢] من قول عتبة بن الوليد، ورواه البيهقي في الشعب[٣] من رواية عتبة بن الوليد قال: حدثني بعض الزهَّاد[٤] ... فذكره.

(**وسمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة. فقال: وهل تدري ما تمام النعمة؟ قال: لا. قال: دخول الجنة**) رواه الطبراني[٥] من حديث معاذ بزيادة: «والنجاة من النار». وقد تقدم[٦]. ورواه ابن أبي شيبة[٧] وأحمد[٨] والبخاري في الأدب[٩] والترمذي[١٠] والبيهقي في الأسماء[١١] بلفظ: «يا ابن آدم، هل تدري ما تمام النعمة؟ فإن من تمام النعمة الفوز من النار ودخول الجنة». وفي لفظ للترمذي: «من تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار».

(**قال العلماء: قد أتمَّ الله علينا نعمته برضاه الإسلام لنا؛ إذ قال**) ولفظ القوت: وقد أخبرنا الله عز وجل أنه قد أتمَّ نعمته علينا برضاه الإسلام لنا، فهذا دليل على دخول

---

(١) المغني ٢/ ١٠٥١ - ١٠٥٢.

(٢) العظمة ٢/ ٥٢٧.

(٣) شعب الإيمان ٩/ ٢٦٩.

(٤) في الشعب: بعض الرهاويين.

(٥) المعجم الكبير ٢٠/ ٥٥ - ٥٦.

(٦) في كتاب الصبر والشكر.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٩٤ - ٤٩٥.

(٨) مسند أحمد ٣٦/ ٣٤٨، ٣٧٩.

(٩) الأدب المفرد ص ٢١٧.

(١٠) سنن الترمذي ٥/ ٤٩٩.

(١١) الأسماء والصفات ١/ ٣٤٠.

الجنة، فقال تعالىٰ: (﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾) [المائدة: ٣] وقد أشركنا في ذلك مع رسول الله ﷺ، فنحن نرجو المغفرة لذنوبنا بفضله تعالىٰ، فقال: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ٢].

(**وفي الخبر: إذا أذنب العبد ذنبًا فاستغفر الله يقول الله عَزَّوَجَلَّ لملائكته: انظروا إلىٰ عبدي، أذنب ذنبًا فعلمَ أن له ربًّا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب، أُشهِدكم أني قد غفرت له**) كذا في القوت. وقال العراقي[١]: متفق عليه من حديث أبي هريرة [بلفظ]: «إن عبدًا أذنب ذنبًا، فقال: أي رب، أذنبتُ ذنبًا فاغفر لي ...» الحديث. وفي رواية: «أذنب عبدٌ ذنبًا فقال ...» الحديث. انتهىٰ.

قلت: لفظ المتفق عليه: «إن عبدًا أصاب ذنبًا، فقال: رب، أذنبتُ [ذنبًا] فاغفرْه لي. فقال ربُّه: أعلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبًا، فقال: رب، أذنبتُ آخَر فاغفره لي. قال ربُّه: أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ قد غفرت لعبدي، فليعمل ما شاء». ورواه كذلك أحمد وابن حبان. وروىٰ الحاكم من حديث أنس: «مَن أذنب ذنبًا فعلمَ أن له ربًّا إن شاء أن يغفر له غفر له وإن شاء أن يعذِّبه عذَّبه كان حقًّا علىٰ الله أن يغفر له». وصحَّحه الحاكم، وتعقَّبه الذهبي فقال: كلاَّ واللهِ، كيف يكون صحيحًا وفيه جابر بن مرزوق، وهو نكرة. ورواه أبو نعيم في الحلية من وجه آخر، وهذا قد تقدم للمصنف. وروىٰ الطبراني في الصغير والأوسط بسند ضعيف من حديث ابن مسعود: «مَن أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًّا [قد اطَّلع عليه] غُفر له وإن لم يستغفر». وهذا أيضًا قد تقدم[٢].

(**وفي الخبر: لو أذنب العبد حتىٰ تبلغ ذنوبُه عنانَ السماء غفرتها له ما استغفرني**

---

(١) المغني ٢/ ١٠٥٢.

(٢) تقدمت هذه الأحاديث كلها في كتاب الأذكار والدعوات. ويزاد هنا أن حديث أبي هريرة أخرجه أحمد في مسنده ١٣/ ٣٢٩، ١٥/ ١٤٦، وابن حبان في صحيحه ٢/ ٣٨٨.

ورجاني) كذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] من حديث أنس: «يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك»، وقال: حسن. انتهىٰ.

قلت: لفظ الترمذي: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك علىٰ ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبُك عَنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم، لو أنك أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة». وقال: حسن غريب. وقد رواه كذلك الضياء في المختارة[٣]. ورواه الطبراني في الكبير[٤] من حديث ابن عباس. ورواه ابن النجار من حديث أبي هريرة. ورواه البيهقي[٥] من حديث أبي ذر. وروىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب العمر والحكيم[٦] وابن حبان في الضعفاء[٧] من حديث أنس: «ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرني».

(وفي الخبر: لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوبًا لقيتُه بقرابها مغفرة) ما لم يشرك بي شيئًا. كذا لفظ القوت. وقال العراقي[٨]: رواه مسلم[٩] من حديث أبي ذر: «ومَن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيتُه بمثلها مغفرة». وللترمذي من حديث أنس الذي قبله: «يا ابن آدم، لو لقيتني ...» الحديث. انتهىٰ.

---

(١) المغني ٢/ ١٠٥٢.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٥٠٩.

(٣) الأحاديث المختارة ٤/ ٣٩٩ - ٤٠٠.

(٤) المعجم الكبير ١٢/ ١٩.

(٥) شعب الإيمان ٢/ ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٦) نوادر الأصول ص ٤٢٧ - ٤٢٨ عن الحسن البصري مرسلا.

(٧) المجروحون من المحدثين ١/ ١٨٥.

(٨) المغني ٢/ ١٠٥٢ - ١٠٥٣.

(٩) صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٨.

قلت: لفظ حديث مسلم: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: مَن عملَ حسنة فله عشر أمثالها وأزيدُ، ومَن عمل سيئة فجزاؤه مثلها أو أغفرُ، ومَن عمل قُراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئًا جعلت له مثلها مغفرة ...» الحديث. ورواه كذلك أحمد[١] وابن ماجه[٢] وأبو عوانة. وفي لفظ للطيالسي[٣]: «قال ربُكم عَزَّوَجَلَّ: الحسنة بعشرة، والسيئة بواحدة أو أغفرها، ومَن لقيني بقُراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بقُراب الأرض مغفرة ...» الحديث.

وروىٰ الطبراني والبيهقي[٤] من حديث أبي الدرداء: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: يا ابن آدم، مهما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئًا غفرت لك علىٰ ما كان منك، وإن استقبلتني بملء السماء والأرض خطايا وذنوبًا استقبلتك بملئهن من المغفرة وأغفر لك ولا أبالي». ورواه كذلك الشيرازي في الألقاب.

(وفي الحديث: إن الملَك لَيرفعُ القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات، فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبها سيئة. وفي لفظ آخر: فإذا كتبها عليه وعمل حسنةً قال صاحب اليمين لصاحب الشِّمال، وهو أمير عليه: ألْقِ هذه السيئة حتىٰ ألقي من حسناته واحدةً من تضعيف العشرة وأرفع له تسع حسنات. فيلقي عنه هذه السيئة) هكذا أورده صاحب القوت، وزاد: ويقال: إن الله تعالىٰ جعل في قلب صاحب اليمين من الرحمة للعبد أضعاف ما جعل في قلب صاحب الشمال، مع أنه أمَّره عليه، فإذا عمل العبد الحسنة فرح بها ملَكُ اليمين، ويقال: فرح بها الملائكة، فتُكتَب للعبد بفرحهم الحسنات. انتهىٰ.

---

(١) مسند أحمد ٣٥/ ٢٤٣، ٢٨٩، ٣٠٣، ٣٨٦.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٤٨.

(٣) مسند الطيالسي ١/ ٣٧١.

(٤) شعب الإيمان ٢/ ٣٣٥.

وقال العراقي[(١)]: رواه الطبراني[(٢)] والبيهقي في الشعب[(٣)] من حديث أبي أمامة بسند فيه لِين باللفظ الأول. ورواه أيضًا أطول منه، وفيه أن صاحب اليمين أمير علىٰ صاحب الشمال، وليس فيه أنه يأمر صاحبَ الشمال بإلقاء السيئة حتىٰ يلقي من حسناته واحدة، ولم أجد لذلك أصلاً.

(وروىٰ أنس) رضي الله عنه (في حديث) طويل (**أنه ﷺ قال: إذا أذنب العبد ذنبًا كُتب عليه. فقال أعرابي**) كان حاضر المجلس: (**فإن تاب عنه؟ قال**) ﷺ: (**مُحي عنه**) من صحيفته (**قال**) الأعرابي: (**فإن عاد**) إلىٰ الذنب؟ (**قال النبي ﷺ: يُكتَب عليه. قال الأعرابي: فإن تاب؟ قال**) ﷺ: (**مُحيَ من صحيفته. قال**) الأعرابي: (**إلىٰ متىٰ**) يا رسول الله؟ (**قال**) ﷺ: (**إلىٰ أن يستغفر ويتوب إلىٰ الله عز وجل، إن الله لا يملُّ من المغفرة حتىٰ يملَّ العبد من الاستغفار، فإذا همَّ العبدُ بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها، فإن عملها كُتبت عشر حسنات، ثم يضاعفها الله إلىٰ سبعمائة ضِعف، فإذا همَّ بخطيئة لم تُكتَب عليه، فإذا عملها كُتبت خطيئة واحدة وراءها حُسن عفو الله عز وجل**) هكذا هو في القوت. وقال العراقي[(٤)]: رواه البزار[(٥)] والبيهقي في الشعب[(٦)] بلفظ: جاء رجل فقال: يا رسول الله، إني أذنبت. قال: «استغفِرْ ربَّك». قال: فأستغفرُ ربي ثم أعود. قال: «فإذا عدتَ فاستغفِرْ ربَّك». ثلاث مرات أو أربعًا، قال: «استغفِرْ ربَّك حتىٰ يكون الشيطان هو المحسور». وفيه أبو بدر بشَّار بن الحكم البصري، منكر الحديث. وروىٰ الطبراني[(٧)] والبيهقي

---

(١) المغني ٢/ ١٠٥٣.

(٢) المعجم الكبير ٨/ ٢١٨، ٢٢٤، ٢٩٥.

(٣) شعب الإيمان ٩/ ٢٧١ - ٢٧٣.

(٤) المغني ٢/ ١٠٥٣ - ١٠٥٤.

(٥) مسند البزار ١٣/ ٣١٤.

(٦) شعب الإيمان ٩/ ٣٠٣.

(٧) المعجم الأوسط ٨/ ٢٩٨.

فيه[١] أيضًا من حديث عقبة بن عامر: أحدنا يذنب. قال: «يُكتَب عليه». قال: ثم يستغفر منه ويتوب. قال: «يُغفَر له ويُتاب عليه». قال: فيعود ... الحديث، وفيه: «ولا يملُّ الله حتىٰ تملُّوا». وإسناده حسن. ورواه الطبراني في الأوسط[٢] من حديث عائشة بسند ضعيف، وسمَّىٰ الرجل السائل: حبيب بن الحارث. وليس في الحديثين قوله في آخره: فإذا همَّ العبد بحسنة ... الخ. وهو في الصحيحين[٣] بنحوه من حديث ابن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربِّه: «فمَن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلىٰ سبعمائة ضِعف إلىٰ أضعاف كثيرة، فإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة». زاد مسلم في رواية: «أو محاها الله، ولا يهلك علىٰ الله إلا هالك». ولهما[٤] نحوه من حديث أبي هريرة. انتهىٰ.

قلت: حديث أبي هريرة هذا رواه كذلك أحمد[٥].

وأما حديث ابن عباس في الصحيحين فأوله: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك، فمَن همَّ بحسنة ...» الحديث.

وروىٰ الديلمي[٦] من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ: «مَن همَّ بذنب ثم تركه

---

(١) شعب الإيمان ٩/ ٣٠٨.

(٢) المعجم الأوسط ٥/ ١٢٢ - ١٢٣، ٢٦٠. ولفظه: «جاء حبيب بن الحارث إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني رجل مقراف للذنوب. قال: تب إلىٰ الله. قال: يا رسول الله، إني أتوب ثم أعود. قال: فكلما أذنبت فتب. قال: يا رسول الله، إذًا تكثر ذنوبي. قال: عفو الله أكثر من ذنوبك».

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٨٩. صحيح مسلم ١/ ٧١.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ٤٠٣ - ٤٠٤. صحيح مسلم ١/ ٧٠.

(٥) مسند أحمد ١٢/ ١٢٣، ١٥/ ١٨٨، ١٦/ ٢٨٥.

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٥٣١ عن عبد الله بن عمرو، وليس ابن أبي أوفىٰ. وهكذا هو في مسند الشهاب للقضاعي ١/ ٢٣٥. وما هنا موافق لما في كنز العمال ٤/ ٢٣٥.

كانت له حسنة».

وروىٰ هناد[١] من حديث أنس: «إذا همَّ الرجلُ بحسنة فعملها كُتبت له عشر حسنات، وإذا همَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، وإذا همَّ بسيئة فعملها كُتبت عليه سيئة، وإذا همَّ بسيئة فلم يعملها كُتبت له حسنة لتركِه السيئة».

(وجاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني لا أصوم إلا الشهر) أي شهر رمضان **(لا أزيد عليه، ولا أصلي إلا الخمس لا أزيد عليها، وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا أتطوَّع، أين أنا إذا متُّ؟ فقال النبي ﷺ: معي في الجنة. قال: يا رسول الله، معك؟! فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: نعم، معي إن حفظتَ قلبك من اثنتين: الغِل والحسد، ولسانَك من اثنتين: الغِيبة والكذب، وعينيك من اثنتين: النظر إلىٰ ما حرَّم الله، وأن تزدري بهما مسلمًا، دخلتَ معي الجنة علىٰ راحتَيَّ هاتين)** كذا في القوت، وتقدم في كتاب ذم الحقد والحسد[٢].

(وفي الحديث الطويل لأنس) رضي الله عنه **(أن الأعرابي قال)** لرسول الله ﷺ: **(يا**

---

(١) الزهد ٢/ ٤٥١ - ٤٥٢.

(٢) لم يتقدم هذا الحديث في الكتاب المذكور ولا في أي موضع آخر، وقد رواه بنحوه ابن عدي في الكامل ٤/ ١٥٧٧ بلفظ: «أتىٰ رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، اسمع مقالتي، فوالله إني لفي قولي من الصالحين، ما لله عليَّ حق في زكاة ولا مال ولا صدقة ولا حج ولا غزوة، إني لفقير مسكين، أجوع أحيانا وأشبع أحيانا، وإني لراضٍ بما أعطاني الله. فقال النبي ﷺ: إن أحب عباد الله إلىٰ الله الفقراء المتواضعون الذين إذا أُعطوا حمدوا، وإذا مُنعوا صبروا، وإن أحب عباد الله إلىٰ الله الأغنياء الذين إذا أعطوا فرحوا، وإذا لم يعطوا اغتموا لما لم يفعلوا. فقال الرجل: صدقت يا رسول الله، أرأيت إن صليت هذه الخمس صلوات وصمت شهر رمضان، أدخل الجنة؟ قال رسول الله ﷺ: نعم، اضمن لي ست خصال أدخلك الجنة علىٰ راحتي، فحيث شئت أسكنتك فيها. قال: اعرض عليَّ يا رسول الله. قال: خصلتان في عينيك، وخصلتان في لسانك، وخصلتان في قلبك. فأما اللتان في عينيك فلا تنظر إلىٰ محارم الله، ولكن انظر إلىٰ ما أحله الله لك. وأما اللتان في لسانك فإياك والكذب، وإياك والغيبة. وأما اللتان في صدرك فإياك والحسد، وإياك والبغي».
قال ابن عدي: وهذا موضوع المتن والإسناد.

رسول الله، مَن يلي حسابَ الخلق) يوم القيامة؟ **(فقال ﷺ: الله تبارك وتعالىٰ. قال: هو بنفسه؟ قال: نعم. فتبسم الأعرابي. فقال ﷺ: مِمَّ ضحكتَ يا أعرابي؟ قال: إن الكريم إذا قدر عفا)** وفي لفظ: تجاوز **(وإذا حاسب سامح. فقال النبي ﷺ: صدق الأعرابي، ألا لا كريم أكرم من الله تعالىٰ، هو أكرم الأكرمين. ثم قال: فقهَ الأعرابيُّ)** هكذا هو في القوت. وقال العراقي[١]: لم أجد له أصلاً.

(وفيه أيضًا) أي في حديث أنس المذكور: **(إن الله تعالىٰ شرَّف الكعبةَ وعظَّمها، ولو أن عبدًا هدمها حجرًا حجرًا ثم أحرقها ما بلغ جُرمَ مَن استخفَّ بوليٍّ من أولياء الله تعالىٰ. قال الأعرابي: ومَن أولياء الله تعالىٰ؟ قال: المؤمنون كلهم أولياء الله تعالىٰ، أما سمعتَ قول الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾)** [البقرة: ٢٥٧] هكذا هو في القوت.

(وفي بعض الأخبار) ولفظ القوت: وفي الخبر المنفرد: **(المؤمن أفضل من الكعبة)** قال العراقي[٢]: رواه ابن ماجه[٣] من حديث ابن عمر بلفظ: «ما أعظمك وأعظم حُرمتك، والذي نفسي بيده لَحرمةُ المؤمن أعظم حرمة منكِ ماله ودمه وأن نظن به إلا خيرًا». وشيخه نصر بن محمد بن سليمان الحِمصي، ضعَّفه أبو حاتم[٤]، ووثَّقه ابن حبان[٥]، وقد تقدم. انتهىٰ.

قلت: لفظ ابن ماجه: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة وهو يقول: «ما

---

(١) المغني ٢/ ١٠٥٥. وقد روىٰ البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٤٢١ عن أبي هريرة قال: قال أعرابي: يا رسول الله، من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال: الله. قال: الله؟ قال: الله. قال: نجونا ورب الكعبة. قال: وكيف يا أعرابي؟ قال: لأن الكريم إذا قدر عفا.

(٢) المغني ٢/ ١٠٥٥.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٣٠.

(٤) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ ٤٧١: «سألت أبي عنه فقال: أدركته، ولم أكتب عنه، وهو ضعيف الحديث، لا يصدق».

(٥) الثقات ٩/ ٢١٧.

أطيبك وأطيب ريحك! ما أعظمكِ وأعظم حُرمتك! والذي نفس محمد بيده لَحرمةُ المؤمن أعظم عند الله حرمةً منك ماله ودمه وأن يُظَن به إلا خيرًا».

ولابن أبي شيبة[١] من طريق مجالد عن الشعبي عن ابن عباس أن النبي ﷺ نظر إلىٰ الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتكِ، والمسلم أعظم حرمةً منك، فقد حرَّم الله دمه وماله وعِرضه وأن يُظَن به ظن السوء.

وعند البيهقي[٢] من طريق مجاهد عن ابن عباس نحوه، وفيه حفص بن عبد الرحمن.

وقال صاحب القوت: وفي الخبر المشهور عن ابن عمرو وأبي هريرة وكعب الأحبار أنه ﷺ نظر إلىٰ الكعبة فقال: «ما أشرفكِ وأعظمك، ولَلمؤمنُ أعظم حرمةً عند الله منك».

(و) قال ﷺ: **(المؤمن طيِّب طاهر)** قال العراقي[٣]: لم أجده بهذا اللفظ، وفي الصحيحين من حديث حذيفة: «المؤمن لا ينجُس»[٤].

(و) قال ﷺ: **(المؤمن أكرم علىٰ الله من الملائكة)** قال العراقي[٥]: رواه ابن ماجه[٦] من رواية أبي المُهَزِّم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة بلفظ: «المؤمن أكرم [علىٰ الله] من بعض ملائكته». وأبو المهزم تركه شعبة، وضعَّفه ابن

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ١٧٠، وفيه أن الذي نظر إلىٰ الكعبة وقال ذلك هو ابن عباس، فهو حديث موقوف، وليس مرفوعا إلىٰ النبي ﷺ.

(٢) شعب الإيمان ٥/ ٤٦٥، ٩/ ٧٦.

(٣) المغني ٢/ ١٠٥٥.

(٤) الحديث في صحيح البخاري ١/ ١٠٩ - ١١٠ وصحيح مسلم ١/ ١٧٦ من رواية أبي هريرة ومن رواية حذيفة.

(٥) المغني ٢/ ١٠٥٥.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٣٩.

معين[١]. ورواه ابن حبان في الضعفاء[٢] والبيهقي في الشعب[٣] من هذا الوجه بلفظ المصنف. انتهىٰ.

قلت: ونحو هذا الحديث قول [عبد الله بن] عمرو بن العاص: ليس شيء أكرم علىٰ الله من ابنُ آدم. قلت: الملائكة. قال: أولئك بمنزلة الشمس والقمر، أولئك مجبورون. أخرجه البيهقي وقال: إن الصحيح وقفُه، ورفعه بعضهم، وهو ضعيف.

وروىٰ ابن النجار عن حكامة حدثنا أبي عن أخيه مالك بن دينار عن أنس رفعه: «المؤمن أكرم علىٰ الله من الملائكة المقرَّبين».

(وفي الخبر: خلق الله جهنم من فضل رحمته سوطًا يسوق الله به عبادَه إلىٰ الجنة) كذا في القوت. وقال العراقي[٤]: لم أجده مرفوعًا هكذا، ويغني عنه ما رواه البخاري[٥] من حديث أبي هريرة: «عجبَ ربُّنا من قوم يُجاء بهم إلىٰ الجنة في السلاسل».

(وفي خبر آخر: يقول الله عَزَّوَجَلَّ: إنما خلقتُ الخلق ليربحوا عليَّ، ولم أخلقهم لأربح عليهم) كذا في القوت. وقال العراقي[٦]: لم أقف له علىٰ أصل.

قلت: ولفظ القشيري في الرسالة: وقيل: أوحىٰ الله إلىٰ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: قل لهم:

---

(١) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/ ٢٦٩: «قال شعبة: رأيت أبا المهزم لو أعطوه فلسين لحدثهم سبعين حديثا. وقال ابن معين: ضعيف. وقال مرةً: لا شيء».

(٢) المجروحون من المحدثين ٢/ ٤٤٩.

(٣) شعب الإيمان ١/ ٣١١.

(٤) المغني ٢/ ١٠٥٦. والحديث رواه أبو القاسم ابن بشران في أماليه ص ٧٣ (ط - دار الوطن) عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ما خلقت جهنم إلا تكرما، سوطا يسوق الله عَزَّوَجَلَّ به عباده إلىٰ الجنة».

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٣٦١.

(٦) المغني ٢/ ١٠٥٦.

إني لم أخلقهم لأربح عليهم، بل خلقتُهم ليربحوا عليَّ. انتهىٰ. فظهر أنه خبر إسرائيليٌّ.

(وفي حديث أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه **(عن رسول الله ﷺ)** أنه قال: **(ما خلق الله شيئًا إلا جعل له ما يغلبه، وجعل رحمته تغلب غضبه)** أورده صاحب القوت من رواية عطاء بن يسار عن أبي سعيد. وقال العراقي[١]: رواه أبو الشيخ في الثواب، وفيه عبد الرحيم بن كردم، جهَّله أبو حاتم[٢]، وقال صاحب الميزان[٣]: ليس بواهٍ ولا هو بمجهول. انتهىٰ.

قلت: لفظ أبي الشيخ: «ما خلق الله من شيء إلا وقد خلق له ما يغلبه، وخلق رحمته تغلب غضبه». ورواه كذلك الحاكم[٤] وصحَّحه وتُعُقِّب.

(وفي الخبر المشهور: إن الله تعالىٰ كتب علىٰ نفسه الرحمةَ قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي تغلب غضبي) رواه الشيخان[٥] من حديث أبي هريرة. وفي لفظ لابن ماجه[٦]: «إن الله تعالىٰ لمَّا خلق الخلق كتب بيده علىٰ نفسه: إن رحمتي تغلب غضبي». وقد تقدم[٧].

(وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك) رضي الله عنهما **(أنه ﷺ قال: مَن قال لا إله إلا الله دخل الجنة. ومَن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسَّه النار. ومَن لقي اللهَ لا يشرك**

---

(١) السابق ٢/ ١٠٥٦.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ٣٣٩.

(٣) ميزان الاعتدال ٢/ ٦٠٦، وزاد: «ولا هو بالثبت».

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٨٠. قال الذهبي في التلخيص: «هذا منكر، وابن كردم وإن كان غير مضعف فليس بالحجة».

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٤١٩، ٤/ ٣٨٤، ٣٨٨، ٣٩٥، ٤١٧. صحيح مسلم ٢/ ١٢٦١.

(٦) سنن ابن ماجه ١/ ١٨٨، ٥/ ٦٦٨.

(٧) في كتاب التوبة.

به شيئًا حُرِّمت عليه النار، ولا يدخلها مَن في قلبه مِثقال ذرَّة من إيمان) هذه أربعة أحاديث ساقها جملة واحدة تبعًا لصاحب القوت:

* أما الحديث الأول فقال العراقي[١]: رواه الطبراني في الدعاء[٢] بلفظ «مَن شهد» من حديث معاذ، وهو في اليوم والليلة للنسائي[٣] بلفظ «مَن مات يشهد» من حديث معاذ ومن حديث أنس، وتقدم في الأذكار. انتهىٰ.

قلت: ورواه الحاكم من حديث أنس بلفظ: «مَن قال لا إله إلا الله وجبت له الجنة». وروىٰ النسائي والطبراني في الأوسط[٤] من حديث ابن عمر بلفظ: «مَن شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة». وروياه كذلك من حديث عمر. ورواه تمام في فوائده[٥] من رواية جابر عن عمر. وروىٰ أحمد[٦] ومسلم[٧] والنسائي[٨] وابن حبان[٩] وابن خزيمة[١٠] من حديث عثمان: «مَن مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة».

* وأما الحديث الثاني، فقال العراقي[١١]: رواه أبو داود[١٢] والحاكم[١٣]

---

(١) المغني ٢/ ١٠٥٧.

(٢) الدعاء ص ١٤٨١ - ١٤٨٦.

(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ٤١٥ - ٤١٧.

(٤) المعجم الأوسط ٣/ ٨٨ من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب.

(٥) فوائد تمام ١/ ٧٤.

(٦) مسند أحمد ١/ ٥٠٩، ٥٢٩.

(٧) صحيح مسلم ١/ ٣٤.

(٨) السنن الكبرىٰ ٩/ ٤٠٩.

(٩) صحيح ابن حبان ١/ ٤٣١.

(١٠) التوحيد ص ٧٨٦، ٨١٧ - ٨٢١.

(١١) المغني ٢/ ١٠٥٧.

(١٢) سنن أبي داود ٤/ ١٩.

(١٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٩٧، ٦٨٤.

وصحَّحه من حديث معاذ بلفظ «دخل الجنة». انتهىٰ.

قلت: ورواه كذلك أحمد[١] والطبراني[٢] والبيهقي[٣]، كلهم من حديث معاذ. ورواه ابن سعد في الطبقات من حديث أبي سعيد الخدري.

* وأما الحديث الثالث، فقال العراقي[٤]: رواه الشيخان[٥] من حديث أنس أنه ﷺ قال لمعاذ: «ما من عبدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله إلا حرَّمه الله علىٰ النار». [وزاد البخاري: «صادقًا من قلبه»]. وفي رواية له: «مَن لقي اللهَ لا يشرك به شيئًا دخل الجنة». ورواه أحمد[٦] من حديث معاذ بلفظ «جعله الله في الجنة». وللنسائي[٧] من حديث أبي عمرة الأنصاري في أثناء حديث: «فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله، لا يلقىٰ اللهَ عبدٌ مؤمن بهما إلا حُجِب عن النار يوم القيامة». انتهىٰ.

قلت: حديث أنس عند الشيخين رواه أيضًا الحاكم[٨] عن معاذ وسعيد بن الحارث بن عبد المطلب معًا، ولفظه: «مَن لقي اللهَ وهو لا يشرك به شيئًا دخل الجنة». ورواه أيضًا أحمد من حديث معاذ وأبي الدرداء معًا. وروىٰ البيهقي[٩] وابن عساكر[١٠] من حديث جابر: «مَن لقي اللهَ لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومَن

(١) مسند أحمد ٣٦/ ٣٦٣، ٤٤٣.
(٢) المعجم الكبير ٢٠/ ١١٢.
(٣) شعب الإيمان ١/ ١٩٩، ١١/ ٤٣٨، ٤٤٠.
(٤) المغني ٢/ ١٠٥٧.
(٥) صحيح البخاري ١/ ٦٢ - ٦٣. صحيح مسلم ١/ ٣٧.
(٦) مسند أحمد ٤٥/ ٥٣٢.
(٧) السنن الكبرىٰ ٨/ ١٠١ - ١٠٢، ٩/ ٤١٨.
(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٣٠٠.
(٩) السنن الكبرىٰ ٧/ ٧١. والحديث في صحيح مسلم ١/ ٥٥.
(١٠) تاريخ دمشق ٢٣/ ٨٢.

لقي الله يشرك به شيئًا دخل النار».

* وأما الحديث الرابع، فقال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] من حديث سهيل بن بيضاء: «مَن شهد أن لا إله إلا الله حرَّمه الله علىٰ النار». وفيه انقطاع. وله[٣] من حديث عثمان بن عفان: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ حقًّا من قلبه إلا حرَّمه الله علىٰ النار». قال عمر بن الخطاب: هي كلمة الإخلاص. وإسناده صحيح. ولكن هذا ونحوه [شاذ] مخالف لِما ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من الموحِّدين النار وإخراجهم بالشفاعة. نعم، لا يبقىٰ في النار مَن في قلبه وزن ذرَّة من إيمان، كما هو متفَق عليه[٤] من حديث أبي سعيد، وفيه: «مَن وجدتم في قلبه مِثقال ذرَّة من إيمان فأخرِجوه». وقال مسلم: من خير، بدل: من إيمان.

(**وفي خبر آخر: لو علم الكافرُ سعة رحمة الله ما أيسَ من جنَّته أحدٌ**) ولفظ القوت: من رحمته، بدل: من جنَّته. قال العراقي[٥]: متفق عليه[٦] من حديث أبي هريرة.

(**ولمَّا تلا رسولُ الله ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾** [الحج: ١] **قال: أتدرون أيُّ يوم هذا؟ هذا يوم يقال**) فيه (**لآدم** عليه السلام: **قمْ فابعثْ بعث النارِ من**

(١) المغني ٢/ ١٠٥٧ - ١٠٥٨.

(٢) مسند أحمد ٢٥/ ١٥، وفي آخره: «وأوجب له الجنة».

(٣) السابق ١/ ٤٩٩.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ٣٩٢. صحيح مسلم ١/ ١٠٠.

(٥) المغني ٢/ ١٠٥٨.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ١٨٥. صحيح مسلم ٢/ ١٢٦٣. ولفظ البخاري: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار». ولفظ مسلم: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد».

ذرِّيَّتك. فيقول) آدم: (كم؟ فيقال) له: (من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة. قال) الراوي: (فأبلس القوم) أي وقعوا في حيرة (وجعلوا يبكون، وتعطَّلوا يومهم) ذلك (عن الأشغال والعمل، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: ما لكم لا تعملون) وتصنعون؟ (فقالوا: ومَن يشتغل بعمل بعدما حدثتنا بهذا؟ فقال: كم أنتم في الأمم؟ أين باويل) بالباء الموحدة، وفي بعض النسخ بالتاء الفوقية (وتاريس) بالفوقية وآخره سين مهملة، وتبت (ومنسك ويأجوج ومأجوج) وهؤلاء كلهم من أولاد آدم (أمم لا يحصيها إلا الله تعالى) ولكل هؤلاء بقية إلى يوم القيامة في مشارق الشمس، كما أن يأجوج ومأجوج في مغاربها (إنما أنتم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، وكالرقمة في ذراع الدابَّة) هكذا هو في سياق القوت. والرقمة: الشِّية. قال العراقي[1]: رواه الترمذي[2] من حديث عمران بن حصين، وقال: حسن صحيح. قلت: هو من رواية الحسن البصري عن عمران، ولم يسمع منه. وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي سعيد.

قلت: ورواه[3] كذلك ابن جرير[4] وابن مردويه من حديث عمران، ولفظهم: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فتفاوت بين أصحابه في السير، فرفع رسول الله ﷺ صوته بهاتين الآيتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ فلما سمع ذلك أصحابُه حثُّوا المَطِيَّ وعرفوا أنه عنده قول يقوله، فقال: «هل تدرون أيَّ يوم ذلك»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذاك يومٌ ينادي الله فيه آدمَ فيقول: يا آدم، ابعثْ بعث النارِ. فيقول: أيْ رب، وما بعثُ النار؟ فيقول: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار،

---

(١) المغني ٢/ ١٠٥٨.
(٢) سنن الترمذي ٥/ ٢٣٠ - ٢٣٢.
(٣) الدر المنثور ١٠/ ٤١١ - ٤١٨.
(٤) جامع البيان ١٦/ ٤٤٩.

وواحد إلىٰ الجنة». فتعبَّس القومُ حتىٰ ما أبدوا بضاحكة، فلما رأىٰ رسول الله ﷺ الذي بأصحابه قال: «اعملوا وأبشِروا، فوالذي نفْس محمد بيده إنكم لَمع خليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج، ومَن مات من بني آدم ومن بني إبليس». فسُرِّيَ عن القوم [بعض الذين يجدون] ثم قال: «اعملوا وأبشِروا، فوالذي نفْس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرَّقْمة في ذراع الدابَّة». وفي لفظ للترمذي قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ أُنزِلت عليه هذه وهو في سفر، فقال: «أتدرون أيَّ يوم ذلك»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يوم يقول الله لآدم: ابعثْ بعث النار. قال: يا رب، وما بعثُ النار؟ قال: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين إلىٰ النار، وواحدًا إلىٰ الجنة». فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله ﷺ: «قارِبوا وسدِّدوا، فإنها لم تكن نبوَّة قط إلا كان [بين يديها] جاهلية، فتؤخَذ العِدَّة من الجاهلية، فإن تمَّت وإلا أُكمِلت من المنافقين، وما مَثلكم [والأمم] إلا كمثل الرَّقْمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير». ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة». فكبَّروا، ثم قال: «إني لأرجو أن [تكونوا ثلث أهل الجنة». فكبَّروا، ثم قال: «إني لأرجو أن] تكونوا نصف أهل الجنة». فكبَّروا. قال: لا أدري قال الثلثين أم لا. ورواه كذلك سعيد بن منصور(١) وأحمد(٢) وعبد بن حميد والنسائي(٣) وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم(٤) وصحَّحه وابن مردويه من طرق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

---

(١) تفسير سعيد بن منصور ٦/ ٣٠٩.

(٢) مسند أحمد ٣٣/ ١١٤، ١٣٤.

(٣) السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٨٩.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٤، ٢/ ٢٨٠، ٤٥٣، ٥/ ٣٠.

وقد رُوي عن الحسن البصري أيضًا مرسلاً قال: بلغني أن رسول الله ﷺ لمَّا قفل من غزوة العسرة ومعه أصحابه بعدما شارَفَ المدينةَ قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ ... فذكر نحو حديث عمران، إلا أنه زاد فيه: «لم يكن رسولان إلا كان بينهما فترة من الجاهلية، فهم أهل النار، وإنكم بين ظهرانَي خليقتين لا يُعادُّهما أحدٌ من أهل الأرض إلا كثروهم: يأجوج ومأجوج، وهم أهل النار، وتكمُل العِدَّةُ من المنافقين»[١].

وأما حديث أبي سعيد الخدري فلفظه في الصحيحين[٢]: «يقول الله يوم القيامة: يا آدم. فيقول: لبَّيك ربَّنا وسعديك. فيقول: إن الله يأمرك أن تُخرِج من ذرِّيَّتك بعثًا إلىٰ النار. فيقول: يا رب، وما بعثُ النار؟ فيقول: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين. فعند ذلك يشيب الصغير، وتضع كل ذات حملٍ حملها، وترىٰ الناس سُكارَىٰ وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب الله شديد. قال: فشقَّ ذلك علىٰ الناس فقالوا: يا رسول الله، من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ويبقىٰ الواحد، فأيُّنا ذلك الواحد؟ فقال: «من يأجوج ومأجوج ألف، ومنكم واحد، وهل أنتم في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض».
وقد رواه كذلك أحمد[٣] وابن جرير[٤] وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات[٥].

وفي الباب أنس وابن عباس وأبو موسىٰ:

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان ١٦/ ٤٥١.
(٢) صحيح البخاري ٢/ ٤٥٨، ٣/ ٢٦١، ٤/ ١٩٦. صحيح مسلم ١/ ١٢٠.
(٣) مسند أحمد ١٧/ ٣٨٤.
(٤) جامع البيان ١٦/ ٤٥١ - ٤٥٢.
(٥) الأسماء والصفات ١/ ٥٤٥.

أما حديث أنس فرواه عبد الرزاق[1] وعبد بن حميد[2] وابن جرير[3] وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان[4] والحاكم[5] وصحَّحه وابن مردويه، ولفظه: نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ①﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ②﴾ علىٰ النبي ﷺ وهو في مسير له، فرفع بها صوته حتىٰ ثاب إليه أصحابه، فقال: «أتدرون أيَّ يوم هذا؟ هذا يوم يقول الله لآدم: يا آدم، قمْ فابعثْ بعث النار، من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين». فكبُرَ ذلك علىٰ المسلمين، فقال النبي ﷺ: «سدِّدوا وقارِبوا وأبشِروا، فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرَّقْمة في ذراع الدابة، وإن معكم لَخليقتين ما كانتا في شيء قط إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج، ومَن هلك من كفرة الجن والإنس».

وأما حديث ابن عباس فرواه البزار[6] وابن جرير[7] وابن أبي حاتم والحاكم[8] وصحَّحه وابن مردويه، ولفظه: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية وأصحابه عنده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ①﴾ فقال: «هل تدرون أيَّ يوم ذلك»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يوم يقول الله لآدم: يا آدم، قمْ فابعثْ بعث النار. فيقول: يا رب، كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلىٰ النار، وواحدًا إلىٰ الجنة». فشقَّ ذلك علىٰ القوم، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة». ثم قال: «اعملوا وأبشروا، فإنكم بين

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٣١.
(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٢٢٤.
(٣) جامع البيان ١٦/ ٤٥٢.
(٤) صحيح ابن حبان ١٦/ ٣٥٢.
(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٥/ ٢٩.
(٦) كشف الأستار عن زوائد البزار ٣/ ٥٩، ٤/ ١٨٤.
(٧) تهذيب الآثار – السفر الأول من مسند ابن عباس ص ٣٩٦.
(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ٥/ ٣١.

خليقتين لم تكونا مع أحد إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج، وإنما أنتم في الأمم كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابّة، وإنما أمّتي جزء من ألف جزء».

ورواه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه بلفظ: بينا رسول الله ﷺ في مسيره في غزوة بني المصطلق إذ أنزل الله عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ إلىٰ قوله: ﴿شَدِيدٌ﴾ فلما أُنزلت عليه وقف علىٰ ناقته، ثم رفع بها صوته فتلاها علىٰ أصحابه ثم قال لهم: «أتعلمون أيَّ يوم ذلك»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يوم يقول الله لآدم: يا آدم، ابعثْ بعث النار من ولدك. فيقول: يا رب، من كل كم؟ فيقول: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين إلىٰ النار، وواحدًا إلىٰ الجنة». فبكىٰ المسلمون بكاء شديدا، ودخل عليهم أمر شديد، فقال: «والذي نفس محمد بيده، ما أنتم في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الشاة السوداء، وإني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، بل أرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة».

وأما حديث أبي موسىٰ فهو نحو من حديث ابن عباس، أخرجه ابن مردويه في التفسير.

(فانظر كيف كان) ﷺ **(يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأَزِمَّة الرجاء إلىٰ الله تعالىٰ؛ إذ ساقهم بسياط الخوف أولاً، فلما خرج ذلك بهم عن حدِّ الاعتدال إلىٰ)** حدِّ **(إفراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردَّهم إلىٰ الاعتدال والقصد، والآخر لم يكن مناقضًا للأول، ولكن ذكر في الأول ما رآه سببًا للشفاء واقتصر عليه، فلما احتاجوا إلىٰ المعالجة بالرجاء ذكر تمام الأمر، فعلىٰ الواعظ)** علىٰ العامة **(أن يقتدي بسيد الوعَّاظ)** ﷺ **(فيتلطَّف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة)** إليها **(بعد ملاحظة العلل الباطنة، وإن لم يراعِ ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر ممَّا يصلحه)** قال صاحب القوت: مقام الرجاء هو جند من جنود الله تعالىٰ، يستخرج من بعض العِباد ما لا يستخرج غيرُه؛ لأن بعض القلوب تلين وتستجيب

عن مشاهدة الكرم والإحسان، وتقبل وتطمئن بمعاملة النعم والامتنان ما لا يوجد ذلك منها عند التخويف والترهيب، بل قد يقطعها ذلك ويوحشها؛ إذ جُعل الرجاء طريقها، فوجدت فيه قلوبها، ومثل الرجاء في الأحوال مثل العوافي والغِنىٰ في الإنسان، من الناس مَن يُقبِل قلبُه ويجتمع همُّه عندهما، ويوجد نشاطه وتحسُن معاملته بهما، كما قيل عن الله تعالىٰ: «إن من عبادي مَن لا يصلحه إلا الغِنىٰ ولو أفقرته لأفسده ذلك، ومن عبادي مَن لا يصلحه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، إني أدبِّر عبادي بعلمي، إني بهم عليم خبير». فكذلك من عباده مَن لا يصلحه إلا الرجاء، ولا يستقيم قلبُه إلا عليه، ولا تحسُن معاملتُه إلا بوجود حسن الظن به، فهو طريقه إليه، ومقامه منه، ومنه علمُه به، وعنده يجد قلبَه معه.

(**وفي الخبر: لو لم تذنبوا لخلق الله خلقًا يذنبون فيغفر لهم**) قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث أبي أيوب.

قلت: لفظه عند مسلم: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون فيغفر لهم». وقد رواه كذلك أحمد[٣] وعبد بن حميد[٤] والترمذي[٥] وقال: حسن غريب. وأما سياق المصنف فقد رواه الطبراني[٦] من حديث عبد الله بن عمرو، إلا أنه قال: «ثم يغفر لهم».

(**وفي لفظ آخر: لذهب بكم وجاء بخلق آخر فيذنبون فيغفر لهم، إنه هو الغفور الرحيم**) كذا في القوت، قال: أي إن وصفه سبحانه المغفرة والرحمة، ولا

---

(١) المغني ٢/ ١٠٥٨.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٦٠.

(٣) مسند أحمد ٣٨/ ٤٩٨.

(٤) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٢٠٨.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ٥٠٨.

(٦) المعجم الكبير ١٣/ ٥٢٣.

بد أن يخلق مقتضىٰ وصفه حتىٰ يحقَّ وصفُه عليه، هذا كما تقول في علم المعرفة: إن لله سبحانه من كل اسم وصفًا، ومن كل وصف فعلاً. وفي هذا سر المعرفة، ومنه معرفة الخصوص.

قال العراقي[1]: رواه مسلم[2] من حديث أبي هريرة قريبًا منه.

قلت: ورواه أحمد[3] والطبراني[4] من حديث ابن عباس: «لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم».

وروىٰ[5] الشيرازي في الألقاب من حديث أبي هريرة: «لولا أنكم أيتها الأمَّة تذنبون لاتخذ الله عبادًا يذنبون فيغفر لهم».

وروىٰ ابن عساكر[6] من حديث أنس أن أصحاب النبي ﷺ شكوا إليه: إنَّا نصيب من الذنوب. فقال لهم: «لولا أنكم تذنبون لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم».

(وفي الخبر: لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شرٌّ من الذنوب. قيل: وما هو؟ قال: العُجب) كذا في القوت. قال العراقي[7]: رواه البزار وابن حبَّان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس، وتقدم في ذم الكبر والعُجب.

قلت: وفي لفظ: «لو لم تكونوا تذنبون لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك: العجب العجب». هكذا رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق والحاكم في تاريخه

---

(١) المغني ٢/ ١٠٥٨.
(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٦٠.
(٣) مسند أحمد ٤/ ٣٨٠.
(٤) المعجم الكبير ١٢/ ١٧٢.
(٥) كنز العمال ٤/ ٢٤٥.
(٦) تاريخ دمشق ٧/ ٣٧٢.
(٧) المغني ٢/ ١٠٥٩.

وأبو نعيم. ورواه الديلمي من حديث أبي سعيد.

قال صاحب القوت: ولعَمْري إن العُجب من صفات النفس المتكبِّرة، وهو يحبط الأعمالَ، وهو من كبائر أعمال القلوب، والذنوب من أخلاق النفس الشهوانية، ولأنْ يُبتلَىٰ العبد الشهواني بعشر شهوات من شهوات النفس خيرٌ له من أن يُبتلَىٰ بصفة من صفات النفس مثل الكبر والعُجب والبغي والحسد وحب المدح وطلبِ الذِّكر؛ لأن هذه منها معاني صفات الربوبية، ومنها أخلاق الأبالسة، وبها هلك إبليس، وشهوات النفس من وصف الخِلقة، وبها عصىٰ آدم ربَّه فاجتباه بعدها [وتاب عليه] وهدىٰ.

(**وقال ﷺ: والذي نفسي بيده، للهُ أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها**) قال العراقي[1]: متفق عليه[2] من حديث عمر بنحوه.

(**وفي الخبر: ليغفرنَّ الله تعالىٰ يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط علىٰ قلب أحد، حتىٰ إن إبليس لَيتطاولُ لها رجاءَ أن تصيبه**) قال العراقي[3]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله[4] من حديث حذيفة بإسناد ضعيف.

قلت: ورواه الطبراني[5] والبيهقي في البعث[6] بلفظ: «والذي نفسي بيده

---

(١) السابق ٢/ ١٠٥٩.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٩١. صحيح مسلم ٢/ ١٢٦٢. ولفظه: «قدم علىٰ رسول الله ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تبتغي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا واللهِ وهي تقدر علىٰ أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: لله أرحم بعباده من هذه بولدها».

(٣) المغني ٢/ ١٠٥٩.

(٤) حسن الظن بالله ص ٦٥.

(٥) المعجم الكبير ٣/ ١٨٦.

(٦) البعث والنشور ص ٨٢، وابن المبارك في الزهد موقوفًا علىٰ ابن مسعود ص ٤٨٠ بدون ذكر إبليس.

ليغفرنَّ الله ...» الحديث.

(وفي الخبر: إن لله مائة رحمة، ادَّخر منها عنده تسعًا وتسعين رحمة، وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة، فبها يتراحم الخلقُ فتحنُّ الوالدة علىٰ ولدها، وتعطف البهيمة علىٰ ولدها، فإذا كان يوم القيامة ضمَّ هذه الرحمة إلىٰ التسعة والتسعين، ثم بسطها علىٰ جميع خلقه، وكل رحمة منها طِباق السموات والأرض. قال: فلا يهلك علىٰ الله يومئذٍ إلا هالك) قال العراقي[1]: متفق عليه[2] من حديث أبي هريرة.

قلت: لفظ مسلم: «إن الله عز وجل مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش علىٰ ولدها، وأخَّر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة». ورواه كذلك ابن ماجه[3].

ورواه مسلم[4] أيضًا من حديث سلمان.

وعند البيهقي[5] من حديث أبي هريرة: «إن لله تعالىٰ مائة رحمة، قسم منها رحمة في دار الدنيا، فمن ثَم يعطف الرجل علىٰ ولده، والطير علىٰ فراخه، فإذا كان يوم القيامة صيَّرها مائة رحمة فعادَ بها علىٰ الخلق».

وعند مسدَّد من حديث سلمان: «إن لله تعالىٰ مائة رحمة، منها رحمة يتراحم بها الخلق [بينهم] وتسعة وتسعون ليوم القيامة».

وعند الحاكم[6] من حديث أبي هريرة: «إن لله تعالىٰ مائة رحمة، قسم منها

---

(١) المغني ٢/ ١٠٥٩.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٩١، ١٨٥. صحيح مسلم ٢/ ١٢٦٢.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٦٧.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٢٦٢.

(٥) شعب الإيمان ٢/ ٣٣٤.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١١٣، ٤/ ٣٧٨.

رحمة بين أهل الدنيا فوسعتهم إلىٰ آجالهم، وأخَّر تسعة وتسعين رحمة لأوليائه، وإن الله قابض تلك الرحمة التي قسمها بين أهل الدنيا إلىٰ التسع والتسعين فيكملها مائة رحمة لأوليائه يوم القيامة».

(**وفي الخبر: ما منكم من أحد يدخله عملُه الجنةَ ولا ينجيه من النار. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني الله برحمته**) متفق عليه من حديث أبي هريرة. وعند ابن حبان: « ما منكم من أحد ينجيه عملُه». قالوا: ولا أنت ... الحديث، وفي آخره: «ولكن سدِّدوا [وقارِبوا]». وعند الطبراني من حديث أبي موسىٰ: «ما منكم من أحد يدخله عملُه الجنةَ». قيل: ولا أنت ... الحديث. ورواه كذلك ابن حبان والبغوي وابن قانع والطبراني أيضًا من حديث شريك بن طارق، قال البغوي: ولا أعلم له غيره. وهذا الحديث قد تقدم[1].

(**وقال ﷺ: اعملوا وأبشِروا، واعلموا أن أحدًا لن ينجيه عملُه**) قد تقدم أيضًا.

(**وقال ﷺ: إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمَّتي**) قال العراقي[2]: رواه الشيخان[3] من حديث أبي هريرة: «لكل نبيٍّ دعوةٌ، وإني خبأت دعوتي شفاعةً لأمَّتي». ورواه مسلم[4] من حديث أنس، وللترمذي[5] من حديثه وصحَّحه وابن ماجه[6] من حديث جابر: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمَّتي».

قلت: لفظ الصحيحين من حديث أبي هريرة: «لكل نبيٍّ دعوة يدعو بها،

---

(١) في كتاب ذم الكبر والعجب، وفي كتاب الصبر والشكر.

(٢) المغني ٢/ ١٠٦٠.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٥٣، ٣٩٩. صحيح مسلم ١/ ١١٢ - ١١٣.

(٤) صحيح مسلم ١/ ١١٣ - ١١٤.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٢٣١.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٨٠.

فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعةً لأمَّتي يوم القيامة». وقد رواه أحمد[١] كذلك. وفي لفظ لمسلم[٢] من حديث جابر: «لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وإني قد خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة». ورواه كذلك أحمد[٣] وابن خزيمة[٤]. وفي لفظ لمسلم من حديث أبي هريرة: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبي دعوتَه، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة». ورواه كذلك الترمذي[٥] وابن ماجه[٦]. وفي لفظ للشيخين من حديث أبي هريرة: «لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستُجيبَ له، وإني أريد إن شاء الله أن أدَّخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة». وفي لفظ لمسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها فيُستجاب له فيؤتاها، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة».

وأما حديث «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» فقد رواه أنس وجابر وابن عمر وكعب بن عجرة وابن عباس:

فحديث أنس رواه أحمد[٧] وأبو داود[٨] والترمذي - وقال: حسن صحيح غريب - وابن أبي عاصم[٩] والبزار[١٠] وأبو يعلىٰ[١١] وابن خزيمة[١٢] وابن

---

(١) مسند أحمد ١٣/ ١٤١، ٤٨٢، ١٤/ ٥١٩، ١٥/ ٧٣، ١٧٤، ٣٠٩، ٣٤١، ١٦/ ٢١٠.
(٢) صحيح مسلم ١/ ١١٤.
(٣) مسند أحمد ٢٣/ ٣٣٠، ٤١٠.
(٤) التوحيد ص ٦٣٠، ٦٣٧.
(٥) سنن الترمذي ٥/ ٥٥١.
(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٧٧.
(٧) مسند أحمد ٢٠/ ٤٣٩.
(٨) سنن أبي داود ٥/ ٢٤٤.
(٩) السنة ٢/ ٣٩٩.
(١٠) مسند البزار ١٣/ ٣٤٠.
(١١) مسند أبي يعلىٰ ٦/ ٤٠، ٧/ ١٤٠، ١٤٧، ٢٨١.
(١٢) التوحيد ص ٦٥١ - ٦٥٦.

حبان[١] وصحَّحاه والطبراني[٢] والحاكم[٣] وصحَّحه والبيهقي[٤] - وقال: إنه إسناد صحيح - والضياء في المختارة[٥]، كلهم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عنه، ورواه أيضًا أحمد وأبو داود وابن خزيمة والبيهقي من طريق سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بلفظ: «الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي». ورواه البيهقي من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بلفظ: قلنا: يا رسول الله، لمَن تشفع؟ قال: «لأهل الكبائر من أمتي وأهل العظائم وأهل الدماء»[٦]. ومن طريق زياد النُّمَيري عن أنس بلفظ: «إن شفاعتي - أو إن الشفاعة - لأهل الكبائر [من أمتي]».

وأما حديث جابر فرواه الطيالسي[٧] والترمذي[٨] وابن ماجه وابن خزيمة[٩] وابن حبان[١٠] والحاكم[١١] في صحاحهم والبيهقي[١٢] وأبو نعيم في الحلية[١٣] والضياء، كلهم من طريق زهير بن محمد عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عنه، وقد رواه عن زهير عمر بن أبي سلمة ومحمد بن ثابت البُناني والوليد ابن مسلم.

---

(١) صحيح ابن حبان ١٤/ ٣٨٧.

(٢) المعجم الكبير ١/ ٢٥٨.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٢٩.

(٤) السنن الكبرىٰ ٨/ ٣٢، ١٠/ ٣٢١.

(٥) الأحاديث المختارة ٤/ ٣٨٢، ٥/ ٢١ - ٢٢، ١٧١، ٦/ ٦٨، ٢٩٥.

(٦) هذا اللفظ ليس عند البيهقي، وإنما هو عند الكلاباذي في بحر الفوائد ص ٢٩٢.

(٧) مسند الطيالسي ٣/ ٢٥٠.

(٨) سنن الترمذي ٤/ ٢٣١.

(٩) التوحيد ص ٦٥٤ - ٦٥٥.

(١٠) صحيح ابن حبان ١٤/ ٣٨٦.

(١١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٣٠، ٢/ ٤٥٠.

(١٢) شعب الإيمان ١/ ٤٩٠.

(١٣) حلية الأولياء ٣/ ٢٠١.

وأما حديث ابن عمر فرواه الخطيب في التاريخ[١].

وأما حديث كعب بن عُجرة فرواه الدارقطني في الأفراد والخطيب في التاريخ[٢]، وفي البعث للبيهقي من طريق الشعبي عنه قال: قلت: يا رسول الله، الشفاعة الشفاعة. فقال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

وأما حديث ابن عباس فرواه الطبراني في الكبير[٣].

وقد رُوي عن أبي الدرداء ولكن بلفظ: الذنوب، بدل: الكبائر، رواه الخطيب في التاريخ[٤]، ولفظه: «شفاعتي لأهل الذنوب من أمتي». قال أبو الدرداء: وإن زنىٰ وإن سرق؟ قال: «نعم، وإن زنىٰ وإن سرق علىٰ رغم أنف أبي الدرداء».

(أترونها للمطيعين[٥] المتقين؟ بل هي للمتلوِّثين المخلِّطين) قال العراقي[٦]: رواه ابن ماجه[٧] من حديث أبي موسىٰ وأحمد[٨] من حديث ابن عمر: «خُيِّرتُ بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة؛ لأنها أعم وأكفىٰ، أترونها للمتقين ...» الحديث، وفيه مَن لم يُسَمَّ.

قلت: رواه كذلك من حديث ابن عمر الحسن بن عرفة في جزئه[٩]

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٥٢٠.

(٢) السابق ٤/ ٦٥.

(٣) المعجم الكبير ١١/ ١٨٩.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ٣١٦.

(٥) في أ، وط المنهاج: للمصفَّين.

(٦) المغني ٢/ ١٠٦٠.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٨٠.

(٨) مسند أحمد ٩/ ٣٢٧.

(٩) جزء الحسن بن عرفة ص ٩٦ (ط - دار الأقصىٰ بالكويت).

والطبراني[1] وابن النجار، ومن حديث أبي موسىٰ رواه أيضًا الطبراني، ولفظ الجميع: شطر أمتي، بدل: نصف. وفيه: «أفترونها للمؤمنين المتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين المتلوِّثين الخَطَّائين».

(وقال ﷺ: **بُعثتُ بالحنيفية السمحة السهلة**) قال العراقي[2]: رواه أحمد[3] من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله «السهلة». وله[4] وللطبراني[5] من حديث ابن عباس: «أَحَبُّ الدين إلىٰ الله الحنيفية السمحة». وفيه محمد بن إسحاق، رواه بالعنعنة.

قلت: ترجم البخاري في صحيحه[6]: باب أحب الدين إلىٰ الله الحنيفية السمحة. وقد رواه أيضًا بدون لفظ «السهلة» الديلمي من حديث عائشة، وابن سعد في الطبقات[7] عن حبيب بن أبي ثابت مرسلاً. ورواه الخطيب[8] وابن النجار من حديث جابر بزيادة: «ومَن خالف سنَّتي فليس مني». وأما حديث ابن عباس:

(١) المعجم الكبير ١٣/ ١٩٢.

(٢) المغني ٢/ ١٠٦٠.

(٣) مسند أحمد ٣٦/ ٦٢٤.

(٤) السابق ٤/ ١٧.

(٥) المعجم الكبير ١١/ ٢٢٧.

(٦) صحيح البخاري ١/ ٢٩، ونصه: «باب الدين يسر، وقول النبي ﷺ: أحب الدين إلىٰ الله الحنيفية السمحة». قال ابن حجر في فتح الباري ١/ ١١٧: «هذا الحديث المعلق لم يسنده البخاري في هذا الكتاب؛ لأنه ليس علىٰ شرطه، نعم وصله في كتاب الأدب المفرد وكذا وصله أحمد وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس، وإسناده حسن. واستعمله البخاري في الترجمة لكونه متقاصرا عن شرطه، وقواه بما دل علىٰ معناه لتناسب السهولة واليسر».

(٧) الطبقات الكبرىٰ ١/ ١٦٣.

(٨) تاريخ بغداد ٨/ ١١٧.

أحب الدين ... الخ، فرواه أيضًا البخاري في الأدب المفرد[١] والبزار[٢] من طريق داود بن الحصين عن عكرمة عنه: قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ الأديان أحب إلىٰ الله تعالىٰ؟ قال: «الحنيفية السمحة». وله طرق. ورواه البزار[٣] أيضًا عن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عن جده. ورواه بزيادة «فإذا رأيت أمتي لا يقولون للظالم أنت ظالم فقد تُودِّع منهم» الحاكم والنرسي في الغرائب وابن عساكر[٤] وأبو موسىٰ المديني في المعرفة من حديث أسعد بن عبد الله بن مالك الخُزاعي.

(**وقال ﷺ: أحِبُّ أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا سماحة**) قال العراقي[٥]: رواه أبو عبيد في غريب الحديث[٦] وأحمد[٧].

قلت: رواه الديلمي من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في حديث الحبشة ولعبهم ونظر عائشة إليهم، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «لتعلم اليهود أن في ديننا فُسحة، وإني بُعثتُ بالحنيفية السمحة». رواه أحمد هكذا من طريق ابن أبي الزناد عن أبيه قال: قال لي عروة: إن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ يومئذٍ، تعني يوم الحبشة: لتعلم ... وذكره بلفظ: إني أُرسلت، بدل: بُعثت. وسنده حسن.

(**ويدل علىٰ معناه استجابةُ الله للمؤمنين في قولهم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ**

(١) الأدب المفرد ص ٩٤.
(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ٥٩. وفيه: «سئل النبي ﷺ: أي الإسلام أفضل، أو أي الإيمان أفضل».
(٣) السابق ١/ ٥٨.
(٤) تاريخ دمشق ٢٢/ ٣٥٦.
(٥) المغني ٢/ ١٠٦٠.
(٦) غريب الحديث ٢/ ١٠ - ١١، ونصه: «في حديث النبي ﷺ أنه مر علىٰ أصحاب الدركلة فقال: خذوا يا بني أرفدة، حتىٰ تعلم اليهود والنصارىٰ أن في ديننا فسحة. فبينا هم كذلك إذ جاء عمر، فلما رأوه ابذعروا. حدثناه أبو معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الشعبي رفعه».
(٧) مسند أحمد ٤١/ ٣٤٩، ٤٣/ ١١٥.

إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ ﴾[البقرة:٢٨٦] فقال: قد فعلتُ (وقال الله عَزَّوَجَلَّ) ومَن أحسن من الله قيلاً: (﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ﴾) [الأعراف: ١٥٧] فهذه العلوم هي أسباب قوة الرجاء في أولي الألباب، كيف وقد جاء ما يغلب حكمَ الرجاء من غير اغترار ما رُوي عن الله تعالىٰ: «أنا إلىٰ الرحمة والعفو أقرب مني إلىٰ العقوبة».

(وروىٰ) أبو[١] القاسم (محمد) بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني (ابن الحنفية) منسوب إلىٰ أمِّه من بني حنيفة، ثقة، عالِم، مات بعد الثمانين (عن) أبيه (علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **أنه قال: لمَّا نزل قوله تعالىٰ: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾** [الحجر: ٨٥] **قال** ﷺ: **يا جبريل، وما الصفح الجميل؟ قال: إذا عفوتَ عمَّن ظلمك فلا تعاتبه. فقال: يا جبريل، فالله تعالىٰ أكرم من أن يعاتب مَن عفا عنه. فبكىٰ جبريل، وبكىٰ النبي** ﷺ، **فبعث الله إليهما ميكائيل** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ **وقال: إن ربَّكما يقرئكما السلام ويقول: كيف أعاتب مَن عفوتُ عنه؟! هذا ما لا يشبه كرمي**) هكذا هو في القوت. وقال العراقي[٢]: رواه ابن مردويه في التفسير موقوفًا علىٰ عليٍّ مختصرًا قال: الرضا بغير عتاب. ولم يذكر بقية الحديث، وفي إسناده نظرٌ. انتهىٰ.

قلت: وكذلك رواه ابن النجار من قول علي، ورواه البيهقي في الشعب[٣] من قول ابن عباس.

(**والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تُحصَىٰ**) وبعضها لا يصلُح ذِكرُه لعموم الناس.

(**وأما الآثار، فقد قال علي كرَّم الله وجهه: مَن أذنب ذنبًا فستره الله عليه في**

---

(١) تقريب التهذيب ص ٨٨٠.

(٢) المغني ٢/ ١٠٦١.

(٣) شعب الإيمان ١٠/ ٥٥٧.

الدنيا فالله أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة، ومَن أذنب ذنبًا فعوقِب عليه في الدنيا فالله تعالىٰ أعدلُ من أن يثنِّي عقوبته علىٰ عبده في الآخرة) وفي لفظ آخر: لا يذنب عبدٌ في الدنيا فيستره الله عليه إلا غفره له في الآخرة. هكذا هو في القوت. وأورده الشريف الموسوي في «نهج البلاغة» من كلام أمير المؤمنين.

قلت: وقد رُوي ذلك مرفوعًا من حديث علي رضي الله عنه بلفظ: «مَن أذنب في الدنيا ذنبًا فعوقب به فالله أعدل من أن يثنِّي عقوبته علىٰ عبده، ومَن أذنب ذنبًا في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه». هكذا رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن جرير والحاكم وصحَّحاه، وقد تقدم[1].

(وقال) سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالىٰ: **(ما أحب أن يُجعَل حسابي إلىٰ أبويَّ؛ لأني أعلم أن الله تعالىٰ أرحم بي منهما)** كذا في القوت، وأخرجه أبو نعيم في الحلية[2].

(وقال بعض السلف: المؤمن إذا عصىٰ الله تعالىٰ ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه) نقله صاحب القوت، ويشهد له ما جاء في الأثر: «إذا تاب العبد من ذنوبه أنسىٰ الله ملائكته وبقاع الأرض معاصيه وبدَّلها حسنات حتىٰ يَرِدَ القيامةَ وليس شيء يشهد عليه»[3].

---

(١) في كتاب آداب الصحبة.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢٥١ من قول حماد بن سلمة وليس سفيان، فروىٰ عن البخاري قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: عاد حماد بن سلمة سفيان الثوري، فقال سفيان: يا أبا سلمة، أترىٰ يغفر الله لمثلي؟ فقال حماد: والله لو خُيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي لاخترت محاسبة الله علىٰ محاسبة أبوي، وذلك أن الله تعالىٰ أرحم بي من أبوي.

(٣) رواه قوام السنة في الترغيب والترهيب ١/ ٤٤١ وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤/ ١٧ عن أنس بن مالك مرفوعا بلفظ: «إذا تاب العبد من ذنوبه أنسىٰ الله حفظته ذنوبه وأنسىٰ ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتىٰ يلقىٰ الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب».

(وكتب محمد بن مصعب) بن[1] صدقة القرقساني، صدوق، روىٰ له الترمذي وابن ماجه، مات سنة ثمان ومائتين **(إلىٰ الأسود بن سالم بخطه)** هكذا في النسخ أن الكاتب هو محمد بن مصعب والمكتوب إليه هو الأسود بن سالم، والذي في القوت: وحُدِّثتُ عن محمد بن مصعب قال: كتب إليَّ أسود بن سالم بخطه: **(إن العبد إذا كان مسرفًا علىٰ نفسه فرفع يديه يدعو ويقول: يا رب)** فإذا قال: يا رب **(حجبت الملائكة صوته، وكذا)** إذا قال المرة **(الثانية)**: يا رب، حجبت الملائكة صوته (و) كذا إذا قال المرة **(الثالثة)**: يا رب، حجبت الملائكة صوته **(حتىٰ إذا قال)** المرة **(الرابعة: يا رب، قال)** ولفظ القوت: يقول **(الله تعالىٰ: حتىٰ متىٰ تحجبون صوت عبدي عني، قد علم عبدي أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيري، أُشهِدكم أني قد غفرت له)** أورده صاحب القوت. ويشهد له الخبر الذي تقدَّم قريبًا: «إذا أذنب العبد فاستغفر الله يقول الله لملائكته: انظروا إلىٰ عبدي، أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب، أُشهِدكم أني قد غفرت له».

(وقال) أبو إسحاق **(إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالىٰ: خلا لي الطواف)** ذات **(ليلة، وكانت ليلة مطيرة مظلمة، فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت: يا رب، اعصمني حتىٰ لا أعصيك أبدًا. فهتف بي هاتف من البيت: يا إبراهيم، أنت تسألني العصمة، وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك، فإذا عصمتُهم فعلىٰ مَن أتفضَّل ولمَن أغفر)**[2]؟! أي إنَّ وصفه سبحانه المغفرة والرحمة، ولا بد أن يخلق مقتضَىٰ وصفِه حتىٰ يحقَّ وصفُه عليه، هذا كما تقول في علم المعرفة: إن له سبحانه من كل اسم وصفًا، ومن كل وصف فعلاً، وفي هذا سر المعرفة، ومنه معرفة الخصوص. ثم هذا الذي ساقه المصنف هو سياق صاحب القوت، ولفظ القشيري في الرسالة: ويُحكَىٰ

---

(١) تقريب التهذيب ص ٨٩٧.

(٢) رواه ابن الجوزي في مثير العزم الساكن ٢/ ٩٠ بسنده إلىٰ إبراهيم بن أدهم، وزاد في آخره: «قال إبراهيم: فبقيت ليلتي إلىٰ الصباح مستغفرا لله عَزَّوَجَلَّ ومستحييا منه تعالىٰ».

عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال: كنت أنتظر مدة من الزمان أن يخلو المطافُ لي، فكانت ليلة [ظلماء] فيها مطر شديد، فخلا المطاف، فدخلت الطواف، وكنت أقول: اللهم اعصمني، اللهم اعصمني. فسمعت هاتفًا يقول لي: يا ابن أدهم، أنت تسألني العصمة، وكل الناس يسألوني العصمة، فإذا عصمتكم فمَن أرحم؟! انتهىٰ.

وفي ذلك دلالةٌ علىٰ أنه سبق في علمه أنه لا بد من وقوع المعصية والرحمة، وقد تقع الرحمة ولا معصية، فمن رحمته عصمة الأنبياء وحفظ الأولياء، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩] وأراد بما ذُكر أن ينبِّه ابنَ أدهم علىٰ أن لا يسأله ما ليس له به علمٌ، كما في قصة نوح عليه السلام؛ إذ سؤال العبد العصمةَ سؤالٌ عمَّا لا علم له به، فقد يكون في معلومه أنه ممَّن يعصي، فسؤاله المغفرة أَولىٰ به وأقرب للعبودية. ويجوز أن يسأل العبد ربَّه أن يحفظه ويصونه عن سائر المعاصي، وأما العصمة فمن خصائص الأنبياء، وقد اختُلف في جواز سؤالها لغيرهم، فقائل بالمنع، وقائل بالجواز، كما أوردناه في شرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي، فليراجَع.

(وكان **الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ (**يقول: لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السموات، ولكنَّ الله تعالىٰ قمعه بالذنوب**) نقله صاحب القوت.

(**وقال**) أبو القاسم (**الجنيد**) قُدِّس سره: (**إن بَدَتْ عينٌ من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين**)(١) نقله صاحب القوت.

(**و**) يُروَىٰ أنه (**لقي**) أبو يحيىٰ (**مالك بن دينار**) البصري (**أبانًا**) وهو ابن

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٢٦٣ قال: «سمعت علي بن عبد الله الجهضمي يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: سمعت محمد بن الحريض يقول: لما قال الجنيد: إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيء بالمحسن. قال أبو العباس ابن عطاء: متىٰ تبدو؟ فقال له الجنيد: هي بادية، قال الله: سبقت رحمتي غضبي». ورواه في موضع آخر ١٠/ ٢٦٧ عن أبي الحسن ابن مقسم. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٣٠ - ٣٣١ عن أبي بكر الشهرزوري.

أبي عيَّاش المتقدِّم ذِكره قريبًا، وكان أبان ممَّن يحدِّث العامة بأحاديث الرجاء والرُّخَص (**فقال له: إلىٰ كم تحدِّث الناسَ بالرُّخَص**) ولا تخوِّفهم؟ (**فقال: يا أبا يحيىٰ، إني لأرجو أن ترىٰ من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح**)[(١)] نقله صاحب القوت.

(**وفي حديث رِبْعِي**) بكسر الراء وسكون الموحدة وكسر العين المهملة وياء النسبة (**ابن حِراش**) بكسر الحاء المهملة وآخره شين معجمة، وهو[(٢)] ابن جحش بن عمرو بن عبد الله بن بِجاد بن عبد مالك بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس العَبْسي، أبو مريم الكوفي (**عن أخيه**) مسعود بن حِراش، قال ابن المديني: بنو حِراش ثلاثة: ربعي وربيع ومسعود، ولم يُروَ عن مسعود شيء إلا كلامه بعد الموت (**وكان**) ربعي (**من خيار التابعين**) قدم الشامَ، وسمع خطبة عمر بالجابية. وقال العِجلي: تابعي، ثقة، من خيار الناس، لم يكذب كذبة قط، كان له ابنان عاصيان علىٰ الحجاج، فقيل للحجاج: إن أباهما لم يكذب كذبة قط، لو أرسلتَ إليه فسألتَه عنهما. فأرسل إليه فقال: أين ابناك؟ قال: هما في البيت. فقال: قد عفونا عنهما بصدقك. ورُوي أن ربيعًا آلىٰ أن لا يضحك حتىٰ يعلم أين مصيره، فما ضحك إلا بعد موته، وآلَىٰ أخوه ربعي بعده أن لا يضحك حتىٰ يعلم أفي الجنة هو أو في النار، قال غاسله: فلم يزل مبتسمًا علىٰ سريره ونحن نغسله حتىٰ فرغنا. قال أبو نعيم وغير واحد: مات في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة، وصلىٰ عليه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، روىٰ له الجماعة (**وهو**) أي أخوه وهو مسعود (**ممَّن تكلم بعد الموت**) علىٰ الصحيح، كما تقدم عن ابن

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله ص ٦١ عن رجل مجهول.
(٢) تهذيب الكمال للمزي ٩/ ٥٤ - ٥٧. تاريخ بغداد للخطيب ٩/ ٤٣٢ - ٤٣٥. تاريخ دمشق لابن عساكر ١٨/ ٣٦ - ٤٨. معرفة الثقات للعجلي ١/ ٣٥٠. العلل لابن المديني ص ٩٢ (ط - المكتب الإسلامي).

المديني، ولكن روىٰ البيهقي بإسناده في الدلائل[1] عن ربعي أن المتكلم بعد الموت أخوه الربيع (قال) ربعي: (لما مات أخي) مسعود أو الربيع (سُجِّي بثوبه وألقيناه علىٰ نعشه، فكشف الثوب عن وجهه واستوىٰ قاعدًا وقال: إني لقيت ربي عَزَّوَجَلَّ، فحيَّاني برَوْح وريحان ورب غير غضبان، وإني رأيت الأمر أيسر مما تظنون، فلا تفتروا) أي لا تكسلوا. وفي بعض النسخ: فلا تغترُّوا. من الاغترار (وإن محمدًا ﷺ ينتظرني وأصحابه حتىٰ أرجع إليهم. قال) ربعي: (ثم طرح نفسه فكأنَّها كانت حصاة وقعت في طست، فحملناه ودفناه) كذا هو في سياق القوت.

(وفي الحديث: أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله تعالىٰ، فكان أحدهما يسرف علىٰ نفسه) أي بالمعاصي (وكان الآخر عابدًا، وكان) هذا العابد (يعظه ويزجره) وينهاه (فكان يقول: دعني وربي، أُبعثتَ عليَّ رقيبًا) أي تراقب أحوالي وأعمالي (حتىٰ رآه ذات يوم علىٰ كبيرة فغضب فقال: لا يغفر الله لك. قال: فيقول الله تعالىٰ يوم القيامة: أيستطيع أحد أن يحظر) أي يمنع (رحمتي علىٰ عبادي)؟ ولفظ القوت: أتستطيع أن تحظر رحمتي علىٰ عبادي؟ (اذهب أنت فقد غفرت لك. ثم يقول للعابد: وأنت فقد أوجبتُ لك النار. قال) ﷺ: (فوالذي نفسي بيده، لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته) هكذا هو في القوت. وقال العراقي[2]: رواه أبو داود[3] من حديث أبي هريرة بإسناد جيد.

قلت: لفظ أبي داود: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، وكان أحدهما مذنبًا، والآخر مجتهدًا في العبادة، وكان لا يزال المجتهد يرىٰ الآخر علىٰ الذنب

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٥٤ - ٤٥٥. وقصة ربعي مع أخيه الذي تكلم بعد الموت رواها أيضا: ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ١٦٣، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٣٤، والخطيب في الأنباء المحكمة ص ٨٠ - ٨١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٣٦٧ - ٣٦٨، وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت ص ١٨ - ٢٠.

(٢) المغني ٢/ ١٠٦١.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٣١٤.

فيقول: أقصِرْ. فوجده يومًا علىٰ ذنب، فقال له: أقصِرْ. فقال: خَلِّني وربي، أبُعثتَ عليَّ رقيبًا؟! فقال: واللهِ لا يغفر الله لك - أو: لا يدخلك الله الجنة - فقُبضت أرواحها، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنتَ بي عالمًا أو كنت علىٰ ما في يدي قادرًا. وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخَر: اذهبوا به إلىٰ النار». وهكذا رواه أحمد[1] أيضًا.

(ورُوي أيضًا) في معناه (أن لصًّا كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة، فمرَّ عليه عيسىٰ عليه السلام، وخلفه عابد من عبَّاد بني إسرائيل من الحواريين، فقال اللص في نفسه: هذا نبي الله يمر وإلىٰ جنبه حواريه، لو نزلتُ فكنت معهما ثالثًا. قال: فنزل، فجعل يريد أن يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيمًا للحواري، ويقول في نفسه: مثلي لا يمشي إلىٰ جنب هذا العابد. قال: وأحس الحواري به فقال في نفسه: هذا يمشي إلىٰ جانبي. قال: فضمَّ نفسه ومشىٰ) وتقدَّم (إلىٰ عيسىٰ عليه السلام فمشىٰ بجنبه، فبقي اللص خلفه. قال: فأوحىٰ الله إلىٰ عيسىٰ عليه السلام: قل لهما: ليستأنفا العمل، فقد أحبطتُ ما سلف من أعمالهما، أما الحواري فقد أحبطتُ) عمله و(حسناته لعُجبه بنفسه، وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدرىٰ علىٰ نفسه. قال: فأخبرهما بذلك وضمَّ اللص إليه في سياحته وجعله من حواريه) هكذا نقله صاحب القوت.

(ورُوي عن) أبي[2] عائشة (مسروق) بن الأجدع بن مالك الهَمْداني الكوفي، ثقة، فقيه، عابد، مخضرم، مات سنة اثنتين وستين (أن نبيًّا من الأنبياء) من بني إسرائيل (كان) يومًا (ساجدًا، فوطئ عنقَه بعضُ العُتاة) جمع العاتي وهو المتمرِّد (حتىٰ التزق الحصىٰ بجبهته) من شدة وطأته (قال: فرفع النبي عليه السلام رأسه مغضبًا فقال: اذهبْ فلن يغفر الله لك. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: تتألَّىٰ عليَّ في عبادي؟!

---

(١) مسند أحمد ١٤/ ٤٦.

(٢) تقريب التهذيب ص ٩٣٥.

إني قد غفرت له) نقله صاحب القوت، وأغفله العراقي؛ لأنه ليس علىٰ شرطه، وقد رواه الطبراني في الكبير[١] من حديث ابن مسعود: «كان رجل يصلي، فلما سجد أتاه رجل فوطئ علىٰ رقبته، فقال الذي تحته: واللهِ لا يغفر الله لك أبدًا. فقال الله عَزَّوَجَلَّ: تألَّىٰ عليَّ عبدي أني لا أغفر لعبدي، فإني قد غفرت له».

وروىٰ مسلم[٢] وأبو عوانة وابن حبان[٣] والطبراني[٤] من حديث جندب: «إن رجلاً قال: واللهِ لا يغفر الله لفلان. قال الله تعالىٰ: مَن ذا الذي يتألَّىٰ عليَّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك».

(ويقرُب من هذا ما رُوي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ كان يقنت علىٰ المشركين ويلعنهم في صلاته، فنزل عليه قوله تعالىٰ: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ **إلىٰ قوله تعالىٰ:** ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ **الآية** [آل عمران: ١٢٧ - ١٢٨] **فترك الدعاء عليهم، وهدىٰ الله تعالىٰ عامة أولئك للإسلام)** هكذا هو في القوت. قال العراقي[٥]: رواه البخاري[٦] من حديث ابن عمر: أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر يقول: اللهم العنْ فلانًا وفلانًا وفلانًا، بعدما يقول: سمع الله لمَن حمده ربَّنا ولك الحمد. فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ عليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾. ورواه الترمذي[٧] وسمَّاهم: أبا سفيان والحارث بن هشام وصفوان بن أمية، وزاد: فتاب عليهم فأسلموا فحسُن إسلامُهم. وقال: حسن غريب. وفي رواية له: أربعة نفر. ولم يسمِّهم، وقال:

---

(١) المعجم الكبير ١٠/ ١٢٤.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢١٣.

(٣) صحيح ابن حبان ١٣/ ١٩.

(٤) المعجم الكبير ٢/ ١٦٥.

(٥) المغني ٢/ ١٠٦١.

(٦) صحيح البخاري ٣/ ١٠٧، ٢١١، ٤/ ٣٧١.

(٧) سنن الترمذي ٥/ ١٠٦ - ١٠٧.

فهداهم الله للإسلام. وقال: حسن غريب صحيح.

قلت: وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الصلاة مبسوطًا.

(ورُوي في الأثر أن رجلين كانا من العابدين) من عبَّاد بني إسرائيل **(متساويين في العبادة. قال: فإذا أُدخِلا الجنة رُفع أحدهما في الدرجات العلَىٰ علىٰ صاحبه، فيقول: يا رب، ما كان هذا في الدنيا بأكثر مني عبادةً فرفعتَه عليَّ في)** أعلىٰ **(عِلِّيِّين. فيقول الله سبحانه: إنه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلَىٰ، وأنت كنت تسألني النجاة من النار، فأعطيتُ كلَّ عبدٍ سُؤْلَه)** هكذا أورده صاحب القوت، وتبعه المصنف نظرًا إلىٰ قوله: ورُوي في الأثر. فأورده في خلال الأخبار المرفوعة، علىٰ أنه ليس بمرفوع، ولذا لم يتعرَّض له العراقي، وقد رواه العقيلي[1] والخطيب[2] من حديث أبي هريرة بلفظ: «إن رجلاً دخل الجنة، فرأىٰ عبده فوق درجته، فقال: يا رب، هذا عبدي فوق درجتي. فقال له: نعم، جزيتُه بعمله وجزيتُك بعملك».

(وهذا يدل علىٰ أن العبادة علىٰ الرجاء أفضل؛ لأن المحبة أغلب علىٰ الراجي منها علىٰ الخائف، فكم من فرق في الملوك بين مَن يخدم اتِّقاءً لعقابه وبين مَن يخدم ارتجاءً لإنعامه وإكرامه، ولذلك أمر الله تعالىٰ بحسن الظن) ولطف التملُّق له وقوة الطمع فيه، فقد قيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥]: أي أحسِنوا الظن بالله[3]. وفي الخبر: «حُسنُ الظن بالله من حُسن عبادة الله عَزَّوَجَلَّ». رواه أبو داود[4] وابن حبان[5] من حديث أبي هريرة.

---

(١) الضعفاء الكبير ١/ ١٦٤.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٦٣٤.

(٣) هذا التفسير نقله صاحب القوت عن سفيان الثوري. ورواه الطبري في جامع البيان ٣/ ٣٢٧ عن عكرمة مولىٰ ابن عباس.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٣٥٠.

(٥) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٩٩.

(ولذلك قال ﷺ: سلوا الله الدرجات العلىٰ، فإنما تسألون كريمًا) قال العراقي[١]: لم أجده بهذا اللفظ، وللترمذي من حديث ابن مسعود: «سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يُسئل». انتهىٰ.

قلت: هو بقية من الحديث الذي يتلوه كما يدل له سياق صاحب القوت، علىٰ ما نذكره. وحديث ابن مسعود هذا رواه أيضًا الطبراني وابن عدي والبيهقي بزيادة: «وأفضل العبادة انتظار الفرج». ورواه أيضًا ابن جرير عن حكيم بن جُبَير عن رجل لم يُسَمَّ[٢].

(وقال) ﷺ: (إذا سألتم الله فأعظِموا الرغبة وسلوا الفردوس الأعلىٰ، فإن الله لا يتعاظمه شيءٌ) قال العراقي[٣]: رواه مسلم[٤] من حديث أبي هريرة: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفرْ لي إن شئتَ، ولكن ليعزم [المسألة] وليُعظِم الرغبةَ، فإن الله عَزَّوَجَلَّ لا يتعاظمه شيءٌ أعطاه». وللبخاري[٥] من حديث أبي هريرة في أثناء حديث: «فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلىٰ الجنة». ورواه الترمذي[٦] من حديث معاذ وعبادة بن الصامت. انتهىٰ.

قلت: ولفظ القوت: ومن الرجاء افتعالُ الطاعات وحُسنُ الموافقات، ينوي

---

(١) المغني ٢/ ١٠٦٢.

(٢) حديث ابن مسعود وحديث الرجل الذي لم يسم تقدما في كتاب الأذكار والدعوات.

(٣) المغني ٢/ ١٠٦٢.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٥. وهو عند البخاري ٤/ ١٦٠، ٤٠٠ بلفظ: «لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، اللهم ارزقني إن شئت، ليعزم المسألة، فإنه يفعل ما يشاء لا مستكره له».

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٣٠٤، ٣٨٨.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ٢٩٦. ولفظه: «إن في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلىٰ الجنة وأوسطها، وفوق ذلك عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس».

بها، ويسأل مولاه الكريم عظيم الرغائب وجليل المواهب لِما وهب له من حسن الظن به، كما رُوي عن النبي ﷺ: «إذا سألتم الله تعالىٰ فأعظِموا الرغبةَ وسلوه الفردوسَ الأعلىٰ، فإن الله لا يتعاظمه شيءٌ». وفي حديث آخر: «فأكثِروا وسلوا الدرجات العلىٰ، فإنما تسألون جوادًا كريمًا. ا.هـ.

أما حديث أبي هريرة عند مسلم فقد رواه البخاري في الأدب المفرد من حديث أبي سعيد[١].

وروىٰ ابن أبي شيبة[٢] والشيخان[٣] والنسائي[٤] من حديث أنس: «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة في الدعاء ولا يقلْ: اللهم إن شئتَ فأعطني، فإن الله لا مستكرِه له».

وروىٰ ابن حبان[٥] من حديث أبي هريرة: «إذا دعا أحدكم فليُعظِم الرغبةَ، فإنه لا يتعاظم علىٰ الله شيء».

وروىٰ الطبراني[٦] من حديث العِرباض: «إذا سألتم الله تعالىٰ فسلوه الفردوسَ، فإنه سر الجنة».

وروىٰ ابن حبان[٧] من حديث عائشة: «إذا سأل أحدُكم فليُكثِرْ، فإنما يسأل ربه».

---

(١) لم أقف عليه في الأدب المفرد من حديث أبي سعيد، وإنما هو فيه ص ١٨٤ من حديث أبي هريرة ومن حديث أنس.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٤٤.
(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٦٠، ٣٩٧. صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٥.
(٤) السنن الكبرىٰ ٩/ ٢١٨.
(٥) صحيح ابن حبان ٣/ ١٧٧.
(٦) المعجم الكبير ١٨/ ٢٥٤.
(٧) صحيح ابن حبان ٣/ ١٧٢.

وروىٰ عبد بن حميد في تفسيره والطبراني[1] والحاكم[2] وصحَّحه وتُعُقِّب وابن مردويه من حديث أبي أمامة: «سلوا الله الفردوس، فإنها سرَّة الجنة ...» الحديث.

(**وقال بكر بن سُلَيم الصَّوَّاف**) أبو[3] سليمان الطائفي، سكن المدينة، مقبول، روىٰ له البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه (**دخلنا علىٰ**) أبي عبد الله (**مالك ابن أنس**) الإمام ﷺ (**في العشيَّة التي قُبض فيها، فقلنا: يا أبا عبد الله، كيف تجدك؟ قال: لا أدري ما أقول لكم**) أي ممَّا رأيتُ الآن من إكرام الله لي ومن صور الملائكة الذين يعالجون الروح بحيث عجزت عن أن أعبِّر عنه بلساني (**إلا أنكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب. ثم ما برحنا**) من مكاننا (**حتىٰ أغمضناه**) هكذا هو في القوت، وهو في كتاب حسن الظن بالله[4] لأبي بكر ابن أبي الدنيا، ومن طريقه أخرجه القشيري في الرسالة فقال: وسمعته - يعني أبا عبد الرحمن السلمي - يقول: حدثنا أبو العباس البغدادي، حدثنا الحسن ابن صفوان، حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حُدِّثتُ عن بكر بن سُلَيم الصَّوَّاف قال: دخلنا علىٰ مالك بن أنس ... فساقه.

(**وقال يحيىٰ بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالىٰ (**في مناجاته: يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي إيَّاك مع الأعمال؛ لأني أعبد**[5]) هكذا في النسخ، ولفظ الرسالة: لأني أجدني أعتمدُ (**في الأعمال علىٰ الإخلاص، وكيف أحرزها**) أي أحفظها من الآفة (**وأنا بالآفة**) من الرياء والعُجب والكبر وغيرها (**معروف،**

---

(١) المعجم الكبير ٨/ ٢٩٤.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٤٣٧، قال: «هذا حديث لم نكتبه إلا من هذا الإسناد، ولم نجد بدا من إخراجه». وتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله: «جعفر بن الزبير هالك».

(٣) تقريب التهذيب ص ١٧٥.

(٤) حسن الظن بالله ص ٦١.

(٥) في أ، وب: أعتمد.

وأجدني في الذنوب أعتمد علىٰ عفوك، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف) هكذا أورده القشيري في الرسالة.

(**وقيل: إن مجوسيًّا استضاف إبراهيم الخليل** عليه السلام) أي طلب منه أن يضيِّفه (**فقال**) له: (**إن أسلمتَ استضفتك**[1]) كذا في النسخ، والأَولىٰ: أضفتك، كما هو نص الرسالة (**فمر المجوسيُّ**) أي جاوزه وهو يقول: إذا أسلمتُ أيُّ منَّة تكون لك عليَّ (**فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: يا إبراهيم، لم تطعمه إلا بتغيير دينه ونحن منذ سبعين سنة نطعمه علىٰ كفره، فلو أضفتَه ليلةً ماذا كان عليك**) من الحرج (**فمر إبراهيم** عليه السلام **يسعىٰ خلف المجوسي فردَّه وأضافه، فقال له المجوسي: ما السبب فيما**) أي في الذي (**بدا لك؟ فذكر له**) ذلك (**فقال له المجوسىٰ: أهكذا يعاملني**) وفي رواية: نِعم الربُّ ربٌّ يعاتب نبيَّه في عدوِّه (**ثم قال: اعرضْ عليَّ الإسلامَ**) فعرضه عليه (**فأسلم**) وجه تعلُّقِ هذا بالرجاء أنه تعالىٰ يجعل الأسباب الضعيفة موصلة لغفران الذنوب العظيمة، فإذا علم العبدُ بذلك تعلَّق قلبه بمحبوبه من جلب نفعٍ أو دفع ضرٍّ، وفيما ذكره إشارة إلىٰ أن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، حيث بسطها لأعدائه، وبسط رحمته الدنيوية تعمُّ الكافرَ والمسلم، بخلاف الأخروية، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٣٥﴾ [الزخرف: ٣٥] ولما رأىٰ المجوسي فضل الله تعالىٰ عليه في معاتبته نبيه لأجل عدوِّه وشكر ذلك جازاه الله بتوفيقه للإسلام.

(و) قال القشيري في الرسالة: سمعت الشيخ أبا علي الدَّقَّاق رحمه الله تعالىٰ يقول: (**رأىٰ الأستاذ أبو سهل**) محمد[2] بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون بن موسىٰ بن عيسىٰ العِجلي (**الصعلوكي**) بفتح الصاد[3] وسكون العين

---

(١) في أ، وب: أضفتك.

(٢) الأنساب للسمعاني ٣/ ٥٣٩. لباب الأنساب لابن الأثير ٢/ ٢٤٢. تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ٢٤١ - ٢٤٣. طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ٣/ ١٦٧ - ١٧٢.

(٣) الصواب: بضم الصاد.

المهملتين، النيسابوري، إمام الشافعية في عصره، تفقَّه على أبي علي الثقفي بنيسابور، وروى عن أبي بكر ابن خزيمة وأبي العباس السَّرَّاج وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وعنه الحاكم أبو عبد الله وأبو حفص عمر بن أحمد بن مسرور الزاهد، وتوفي سنة ٣٦٩ عن ثلاث وسبعين بنيسابور **(أبا سهل الزَّجَّاجي في المنام، وكان يقول بوعيد الأبد)** أي يعتقد بأن الله تعالى إذا توعَّدَ على معصية بعقاب فلا بد من وقوعه، وهو غفلة منه عن شرطه، فإنَّ ذلك يغفره إذا شاء، كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] **(فقال له: كيف حالك؟ فقال: وجدنا الأمر أهون)** وفي رواية: أسهل **(ممَّا توهَّمنا)** يحتمل أن يكون الله غفر له اعتقاده المذكور لغفلته عن شرطه، ويحتمل أنه تاب عن اعتقاده قبل موته ولم يعلم الرائي حاله، فلما رآه في المنام وسأله عن حاله أخبره بما ذُكر.

(ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكي في المنام) ولفظ الرسالة: سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول: رأيت أبا سهل الصعلوكي في المنام **(على هيئة حسنة لا توصَف، فقال له: يا أستاذ، بِمَ نِلْتَ هذا؟ فقال: بحُسن ظني بربي، بحسن ظني بربي)** مرتين. هكذا أورده القشيري في كتاب الرجاء، ثم أعاده في آخر الكتاب.

(وحُكي أن أبا العباس) أحمد بن عمر **(بن سُرَيج)** بسين مضمومة وآخره جيم، البغدادي، أحد أئمة الشافعية **(رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأنَّ القيامة قد قامت، وإذا الجبار سبحانه وتعالى يقول: أين العلماء؟ قال: فجاؤوا، ثم قال: ماذا عملتم فيما علمتم؟ قال: فقلنا: يا رب، قصَّرنا وأسأنا. قال: فأعاد السؤال كأنَّه لم يرضَ بالجواب وأراد جوابًا غيره، فقلت: أما أنا فليس في صحيفتي الشرك، وقد وعدتَ أن تغفر ما دونه)** وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ **(فقال: اذهبوا به، فقد غفرت لكم. ومات بعد ذلك بثلاث ليالٍ)** حكاه القشيري في الرسالة. وفيه دلالة على جواز الغفران لمَن لم يشرك بالله، كالآية التي أشار إليها، وهي بشرى عظيمة لابن سريج وهو أنه مغفور له، وقد اعترف هو ومَن معه

بالتقصير، ومَن اعترف بتقصيره رجا المغفرة.

(وقيل: كان رجل شَرِّيب) أي كثير الشرب للخمر **(جمع قومًا من نُدَمائه)** أي جماعة ممَّن ينادمونه في الشرب **(ودفع إلىٰ غلامه)** وكان صالحًا ينكر عليه ذلك **(أربعة دراهم وأمره أن يشتري)** بها **(شيئًا من الفواكه للمجلس)** أي لأهل مجلسه **(فمر الغلام بباب مجلس)** الشيخ أبي السرىٰ **(منصور بن عمار)** الواعظ، أصله من مَرْو، وأقام بالبصرة، وكان من المذكِّرين، ترجمه القشيريُّ في الرسالة[1] **(وهو يسأل لفقير شيئًا ويقول: مَن دفع إليه أربعة دراهم دعوتُ له أربع دعوات. قال: فدفع إليه الغلام الدراهم)** لأنه رأىٰ أن [سيده يرضىٰ بذلك، أو رأىٰ أن] هذا أَولىٰ ممَّا أمره به سيده، وهانت عليه مشقةُ الضرب والألم من سيده حتىٰ لا يقع في هذا المنكر الشديد، وظن منصور أنه مالك الدراهم **(فقال)** له **(منصور: ما الذي تريد)** مني **(أن أدعو لك)** به؟ **(فقال: لي سيد أريد أن أتخلَّص منه)** بالعتق لأخلُص ممَّا يُدخِلني فيه ممَّا لا أحبه **(فدعا)** له **(منصور)** بذلك **(وقال)**: ما الدعاء **(الآخر؟ فقال: أن يُخلِف الله عليَّ دراهمي)** التي دفعتُها للفقير لأردَّها إلىٰ سيدي وأقول: لا أفعل ما أمرتني به **(فدعا)** له بذلك **(ثم قال)** له: ما الدعاء **(الآخَر؟ فقال: أن يتوب الله علىٰ سيدي)** بأن يوفِّقه للتوبة مما هو مرتكبه لأستريح من ضرره بالكلِّية **(فدعا)** بذلك **(ثم قال)**: وما **(الآخَر؟ فقال: أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم)** أي جلسائه **(فدعا منصور)** بذلك **(فرجع الغلام)** إلىٰ سيده **(فقال له سيده: لِمَ أبطأتَ؟ فقصَّ عليه القصة)** فأثَّر فيه صدقُه، واستحسن فِعله **(فقال: وبِمَ دعا؟ قال: سألت لنفسي العتق)** فدعا لي به **(قال له: اذهب فأنت حر)** لوجه الله تعالىٰ **(قال: وأيش)** المدعوُّ به **(الثاني)**؟ أيْ أيُّ شيء هو؟ **(قال: أن يُخلِف الله عليَّ الدراهم)** لأردَّها لك **(قال: لك أربعة آلاف درهم)** قال: **(وأيش الثالث؟ قال: أن يتوب الله عليك. قال: تبتُ إلىٰ الله تعالىٰ. قال: وأيش الرابع؟ قال: أن يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكِّر)** أي

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٧٦ - ٧٧.

الواعظ وهو منصور (قال: هذا الواحد ليس إليَّ) بل إلىٰ الله تعالىٰ (فلما بات تلك الليلة رأىٰ في المنام كأنَّ قائلاً يقول له: أنت فعلتَ ما كان إليك، أفترىٰ أني لا أفعل ما إليَّ؟ قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين) أورده هكذا القشيري في الرسالة. وفيه دلالة علىٰ أنه تعالىٰ أكرم الأكرمين، وأنه يجازي بالخير الكثير علىٰ العمل اليسير، وهو موضع الاستدلال علىٰ الرجاء؛ لأن سيد الغلام لمَّا تكرَّم باليسير غفر الله له ولغلامه ولمَن كان سببًا في ذلك.

(ورُوي عن) أبي[1] محمد (عبد الوهاب بن عبد المجيد) بن الصَّلْت بن عبيد الله بن الحكم بن أبي العاص (الثقفي) البصري، قدم بغدادَ في زمن المنصور وحدَّث بها، قال ابن معين: ثقة. مات سنة أربع وتسعين ومائة، روىٰ له الجماعة (قال: رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحملون جنازة. قال: فأخذتُ مكان المرأة وذهبنا إلىٰ المقبرة وصلَّينا عليها ودفنَّا الميت، فقلت للمرأة: ما كان هذا الميت منكِ)؟ أي ما نسبته منك؟ (قالت): هو (ابني. قلت: أوَ لم يكن لكم جيران) يحملونها؟ (قالت: بلىٰ، ولكن صغَّروا أمره) وحقَّروه (قلت: وأيش كان هذا؟ قالت): هو (مخنث) بالمثلثة وبكسر النون وبفتحها (قال: فرحمتُها وذهبتُ بها إلىٰ منزلي وأعطيتها دراهم وحنطة وثيابًا. قال): ونمت (فرأيت تلك الليلة كأنَّه أتاني آتٍ كأنَّه القمر ليلة البدر، وعليه ثياب بِيض، فجعل يتشكَّر لي، فقلت له: من أنت؟ فقال): أنا (المخنث الذي دفنتموني اليوم، رحمني ربي باحتقار الناس إيَّاي) وكلامهم فيَّ. حكاه القشيرىٰ فى الرساله وفيه دلاله علىٰ انه تعالىٰ يجازىٰ بالخير الكثير علىٰ العمل اليسير

(وقال) القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد ابن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر الحربي يقول: سمعت (إبراهيم الأطروش) يقول: (كنا قعودًا ببغداد مع) أبي محفوظ (معروف) بن

---

(١) تهذيب الكمال ١٨/ ٥٠٣ – ٥٠٨. تاريخ بغداد ١٢/ ٢٧١ – ٢٧٦.

فيروز (**الكرخي**) قُدِّس سره (**علىٰ الدِّجْلة**) وهو نهر ببغداد (**إذ مرَّ بنا أحداثٌ**) أي شبَّان (**في زورق**) أي سفينة صغيرة (**يضربون بالدُّف ويشربون**) الخمر (**ويلعبون**) بالملاهي (**فقالوا لمعروف: أما تراهم**) كيف (**يعصون الله مجاهرين، ادْعُ الله عليهم. فرفع يديه وقال: إلهي، كما فرَّحتَهم في الدنيا ففرِّحْهم في الآخرة. فقال القوم: إنما سألنك أن تدعو عليهم. فقال: إذا فرَّحهم في الآخرة فقد تاب عليهم**)(١) أي وإذا تابوا زال عنكم ما تكرهون، فيحصل مطلوبُكم من الدعاء عليهم. وهذا من كمال المعرفة والسياسة في تغيير المنكر الذي لا يتمكَّن العبد من إزالته لقوة الجاه والسطوة، فسلك معروف في إزالته مسلك السؤال وطلب الفضل من الله في أن يغيِّر أحوالهم عمَّا هي عليه؛ لأنه تعالىٰ هو الفاعل بهم ما هم فيه، فقال ما قال، فأعلمَهم بذلك أن التغيير في هذا الوقت لمثل هؤلاء إنما هو بالدعاء لهم بالتوبة، وبيَّن ذلك بقوله: إذا فرَّحهم في الآخرة فقد تاب عليهم(٢).

(**وكان بعض السلف يقول في دعائه: يا رب، وأيُّ أهل دهر**) أي زمان (**لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة**) أي تامة (**ورزقك عليهم دارًّا**) أي واسعًا متصلاً (**سبحانك! ما أحلمك! وعزَّتك إنك لتُعصَىٰ ثم تسبغ النعمة حتىٰ كأنَّك يا ربنا إنما تُطاع، سبحانك! ما أحلمك! تُعصَىٰ وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتىٰ كأنَّك يا ربنا لا تغضب**)(٣).

وقد بقي ممَّا يتعلق بالرجاء من كتابَي القوت والرسالة وغيرهما ممَّا لم يذكره المصنف، وقد أحببت أن أسوقه لتمام الفائدة، قال صاحب القوت: عن بعض السلف: كل عاصٍ فإنه يعصي تحت كَنَف الرحمن، فمَن ألقَىٰ عليه كنفه

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٧٠.

(٢) انظر: إحكام الدلالة ١/ ٤٦١، ٤٦٢.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ١٥١ عن وهيب بن الورد قال: بلغنا - والله أعلم - في قول بعض الحكماء: يا رب وأي أهل دهر ... فذكره.

ستر عورته، ومَن رفع عنه كنفه افتضح. والرجاء اسم لقوة الطمع في الشيء، بمنزلة الخوف اسم لقوة الحذر من الشيء، ولذلك أقام الله الطمع مقام الرجاء في التسمية، وأقام الحذر مقام الخوف، فقال تعالىٰ: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] وقال تعالىٰ: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩] وهو وصفٌ من أوصاف المؤمنين وخُلقٌ من أخلاق الإيمان لا يصح إلا به، كما لا يصح الإيمان إلا بالخوف، فالرجاء بمنزلة أحد جناحَي الطائر لا يطير إلا بجناحيه، كذلك لا يؤمن حتىٰ يرجو مَن آمن به ويخافه، وكان ابن مسعود يحلف بالله: ما أحسنَ عبدٌ ظنه بالله إلا أعطاه الله ذلك؛ لأن الخير كلَّه بيده[1]. أي فإذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه؛ لأن الذي حسَّن ظنَّه به هو الذي أراد أن يحقِّقه له. وروينا عن يوسف بن أسباط قال: سمعت سفيان الثوري يقول في قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥] قال: أي أحسِنوا بالله الظنَّ. والرجاء مقام جليل وحال شريف نبيل لا يصلُح إلا للكرماء من أهل العلم والحياء، وهو حال يحول عليهم بعد مقام الخوف، يروِّحون به من الكرب، ويستريحون إليه من مقارفة الذنب، ومَن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء، ومَن لم يقُم في مقامات الخوف لم يُرفَع إلىٰ مقامات أهل الرجاء علىٰ صحة وصفاء، ورجاء كل عبد من حقيقة خوفه ومكاشفته عن أخلاق مرجوَّة من معنىٰ ما كان كوشِفَ به من صفات مخوفة، فإن كان أقيمَ مقام المخوفات من المخلوقات مثل الذنوب والعيوب والأسباب رُفع من حيث تلك المقامات إلىٰ مقامات الرجاء بتحقيق الوعد وغفران الذنب وتشويق الجِنان وما فيها من الأوصاف الحِسان، وهذه مواجهات أصحاب اليمين، وإن كان أقيمَ مقام مخاوف الصفات عن مشاهدة معاني الذات مثل سابق العلم وسوء الخاتمة وخفيِّ المكر وباطن الاستدراج وبطش القدرة وحكم الكبر

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٣٠٤، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٧٩، وأبو داود في الزهد ص ١٣٢، والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٦٨.

والجبروت رُفع من حيث هذه المقامات إلىٰ مقام المحبة والرضا فرجا من معاني الأخلاق والأسماء الكرمَ والإحسان والفضل والعطف واللطف والامتنان، وليس يصلُح أن نخبر بكل ما نعلم من شهادة أهل الرجاء في مقامات الرجاء من قِبَل أنه لا يصلُح لعموم المؤمنين، وهو يُفسِد مَن لم يُرزَقه أشدَّ الفساد، فليس يصلُح إلا لخصوصه، ولا يُجِدُّ به ولا يستجيب له [ولا يُستخرَج إلا] من المحبِّين، ولا محبة إلا بعد نصح القلب من المخافة، فالمؤمن بين الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه، وكلسان الميزان بين كفَّتيه، ومنه قول مطرِّف: لو وُزِن خوفُ المؤمن ورجاؤه لاعتدلا(١). وللمؤمن في اعتدال الخوف والرجاء مقامان، أعلاهما مقام المقرَّبين وهو ما حالَ عليهم من مقام مشاهدة الصفات المخوفة والأخلاق المرجوَّة، والثاني مقام أصحاب اليمين وهو ما عرفوه من بدائع الأحكام وتفاوت الأقسام، من ذلك: أنه تعالىٰ أنعم علىٰ الخلق بفضله عن كرمه اختيارًا لا إجبارًا، فلما أعلمَهم ذلك رجوا تمام النعمة من حيث ابتداؤها، ومن ههنا طمع السحرةُ في المغفرة لمَّا ابتدؤوا بالإيمان فقالوا: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: ٥١] أي من حيث جعلنا أول المؤمنين من هذا المكان نرجو أن يغفر لنا بأن جعلنا مؤمنين به، فرجوه منه. وقد ذمَّ الله تعالىٰ عبدًا أوجده نعمةً ثم سلبها فأيسَ من عَوْدها عليه فقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾﴾ [هود: ٩] ثم استثنىٰ عباده الصابرين عليه الصالحين له فقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود: ١١] ثم إن الخلق خُلقوا علىٰ أربع طبقات، في كل طبقةٍ طائفةٌ، فمنهم مَن يعيش مؤمنًا ويموت مؤمنًا، فمن ههنا رجاؤهم لأنفسهم ولغيرهم من المؤمنين؛ إذ قد أعطاهم فرجوا

---

(١) رواه عنه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٢٠٨ بلفظ: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوجدا سواء لا يزيد أحدهما علىٰ صاحبه».

ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٢٧ بلفظ: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه بميزان تربص ما كان بينهما خيط شعرة».

أن يُتِمَّ عليهم نعمتَه، وأن لا يسلبهم بفضله ما به بدأهم. ومنهم مَن يعيش مؤمنًا ويموت كافرًا، فهذا موضع خوفهم عليهم وعلىٰ غيرهم لمكان علمهم بهذا الحكم ولغيب حكمِ الله تعالىٰ بعلمه السابق فيهم. ومن الناس مَن يعيش كافرًا ويموت مؤمنًا. ومن الناس مَن يعيش كافرًا ويموت كافرًا. فهذان الحكمان أوجبا رجاءهم الثاني للمشرك إذا رأوه، فلم يقطعوا بظاهره أيضًا خوفَ هذا الرجاء خوفًا ثانيًا أن يموت علىٰ تلك الحالة، وإن كان ذلك هو حقيقة عند الله تعالىٰ، فعلمَ المؤمنُ بهذه الأحكام الأربعة ووزن خوفه ورجاءه معًا فاعتدل حالُه بذلك لاعتدال إيمانه به، وحكم علىٰ الخلق بالظاهر، ووكل إلىٰ علاَّم الغيوبِ السرائرَ، ولم يقطع علىٰ عبدٍ بظاهره من الشر، بل يرجو له ما بطنَ عند الله من الخير، ولم يشهد لنفسه ولا لغيره بظاهر الخير، بل يخاف أن يكون قد استسرَّ عند الله باطن شرٍّ، إلا أن حال التمام أن يخاف العبد علىٰ نفسه، ويرجو لغيره؛ لأن ذلك هو وجدُ المؤمنين من قِبَل أنهم مأمورون بحسن الظن، فهم يحسنون الظنَّ بالناس ويُخرِجون لهم المعاذير بسلامة الصدور، وتسليم ما غاب إلىٰ مَن إليه تصير الأمور، ثم هم في ذلك يسيئون الظنَّ بنفوسهم؛ لمعرفتهم بصفاتها، ويوقعون المَلامَ عليها، ولا يحتجُّون لها لباطن الإشفاق منهم عليهم، ولخوف التزكية منهم لهم، فمَن قُلِبَ عليه هذان المعنيان فقد مُكِرَ به حتىٰ يُحسِن الظنَّ بنفسه، ويسيء ظنَّه بغيره، فيكون خائفًا علىٰ الناس، راجيًا لنفسه، عاذرًا لنفسه، محتجًّا لها، لائمًا للناس، ذامًّا لهم، فهذه من أخلاق المنافقين. ثم إن للراجي حالاً من مقامه، وللحال علامة من رجائه، فمن علامة الرجاء عن مشاهدة المرجوِّ دوامُ المعاملة وحُسنُ التقرُّب إليه وكثرة التحبُّب بالنوافل لحسن ظنه به وجميل أمله منه وأنه يتقبَّل صالحَ ما أمر به تفضُّلاً منه من حيث كرمه لا من حيث الواجب عليه ولا الاستحقاق منا، وأنه أيضًا يكفِّر سيِّئَ ما عمله إحسانًا منه ورحمةً من حيث لطفه بنا وعطفه علينا لأخلاقه السَّنية وألطافه الخفية، لا من حيث اللزوم له بل من حيث حسن الظن به.

ومقام الرجاء كسائر مقامات اليقين منها فرض ونفل، فعلىٰ العبد فرضٌ أن يرجو مولاه وخالقه ومعبوده ورازقه من حيث كرمه وفضله لا من حيث نظره إلىٰ صفات نفسه ولؤمه. وقد كان سهل يقول: مَن سأل الله شيئًا فنظر إلىٰ نفسه وأعماله لا يرىٰ الإجابة حتىٰ يكون ناظرًا إلىٰ الله وحده وإلىٰ لطفه وكرمه، ويكون موقنًا بالإجابة، ولا يقبل الله عملاً ولا دعاء إلا من موقن بالإجابة مخلص، فإذا شهد التوحيدَ ونظر إلىٰ الوحدانية [فقد أخلص وأيقن، وهكذا جاء في الخبر: إذا دعوتم فكونوا موقنين بالإجابة، فإن الله لا يقبل إلا من موقن ومن داعٍ دعا بنيَّة من قلبه؛ لأن مَن استعمله الله بالدعاء] له فقد فتح له بابًا من العبادة.

ثم يتفاوت الراجون في فضائل الرجاء، فالمقرَّبون منهم رجوا النصيب الأعلىٰ من القُرب والتجلِّي بمعاني الصفات ممَّا عرفوه، وهذا من علمهم به. وأصحاب اليمين من الراجين رجوا النصيب الأوفر من مزيده والفضل الأجزل من عطائه يقينًا بما وعد.

ومن الرجاء: انشراح الصدر بأعمال البِر، وسرعة السبق والمبادرة بها خوفَ فوتها ورجاء قبولها، ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاءَ انتجاز الموعود، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ٢١٨].

ومن الرجاء: كثرة التلاوة لكلام الله تعالىٰ، وإقام الصلاة التي هي خدمة المعبود، وبذل المال سرًّا وعلانيةً، وأن لا يشتغل عن ذلك بتجارة الدنيا، كما وصف الله المحقِّقين من الراجينَ؛ إذ يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾ [فاطر: ٢٩].

ومن الرجاء: القنوت في ساعات الليل، وهو طول القيام للتهجُّد والدعاء عند تجافي الجُنوب عن المضاجع لِما وقر في الصدور والقلوب من المخاوف، وكذلك وصف الله تعالىٰ الراجين بهذا في قوله: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا

يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] فسمَّىٰ أهلَ الرجاء والحذر وأهل التهجُّد آناء الليل علماء، وحصل من دليل الكلام أن مَن لم يَخَفْ ولم يَرْجُ غيرُ عالِم؛ لنفيه المساواةَ بينهما. وهذا ممَّا حُذِف خبره اكتفاءً بأحد وصفيه؛ إذ في الكلام دليل عليه. فالرجاء هو أول مقام من اليقين عند المقرَّبين، وهو ظاهر أوصاف الصدِّيقين، ولا يكمُل في قلب عبد ولا يتحقَّق به صاحبُه حتىٰ تجتمع فيه هذه الأوصاف: الإيمان بالله، والمهاجرة إليه، والمجاهدة فيه، وتلاوة القرآن، وإقام الصلاة، والإنفاق في سبيل الله، ثم السجود آناءَ الليل والقيام، والحذر مع ذلك كله. فهذه جُمَل أوصاف الراجين، وهو أول أحوال الموقنين، ثم تتزايد الأعمالُ في ذلك ظاهرًا وباطنًا بالجوارح والقلوب عن تزايُد الأنوار والعلوم ومكاشفات الغيوب بالأوصاف المرجوَّة.

وفصلُ الخطاب أن الخوف والرجاء طريقان إلىٰ مقامين، فالخوف طريق العلماء إلىٰ مقام العلم، والرجاء طريق العاملين إلىٰ مقام العمل. وقد وصف الله الراجين مع الأعمال الصالحة لقوة رجائهم بالخوف تكملةً لصدق الرجاء وتتمَّةً لعظيم الغِبطة به، فقال [تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. وقال] تعالىٰ مخبرًا عنهم في حال وفائهم وأعمال بِرِّهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الطور: ٢٦ - ٢٧]. وقال تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ [الإنسان: ٧] من قِبَل أن الخوف مرتبط بالرجاء، فمَن تحقَّق بالرجاء صارعه الخوف أن يقطع به دون ما رجا. وقال أهل العربية في [معنىٰ] قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤] أي الذين لا يخافون عقوبات الله تعالىٰ. فإذا كان هذا أمرُه بالمغفرة لمَن لا يرجو فكيف يكون عفوه وفضله علىٰ مَن يرجو. وبعضهم يقول في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] أي تخافون منه ما لا يخافون. فلولا أنهما عند العلماء كشيء واحد ما فُسِّر أحدهما بالآخر.

ومن الرجاء: الأنس بالله تعالىٰ في الخلوات، ومن الأنس به الأنسُ بالعلماء والتقرُّب إلىٰ الأولياء وارتفاع الوحشة بمجالسة أهل الخير وسعة الصدور والروح عندهم.

ومن الرجاء: سقوط ثقل المعاونة علىٰ البِر والتقوىٰ لوجود حلاوة الأعمال، والمسارعة إليها، والحث لأهلها عليها، والحزن علىٰ فوتها، والفرح بدَرْكها.

ومن الرجاء: التلذُّذ بدوام حُسن الإقبال، والتنعُّم بمناجاة ذي الجلال، وحُسنُ الإصغاء إلىٰ محادثة القريب، والتلطُّف في التملُّق للحبيب، وحُسن الظن به في العفو الجميل ومنال الفضل الجزيل. وقال بعض العارفين[(١)]: للتوحيد نور، وللشرك نار، ونور التوحيد أحرَقُ لسيئات الموحِّد من نار الشِّرك لحسنات المشرك. وقد كان يحيىٰ بن معاذ يقول في مقامات الرجاء: إذا كان توحيد ساعة يحبط ذنوبَ خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة ماذا يصنع بالذنوب[(٢)]؟ وقد قال سهل: لا يصح الخوف إلا لأهل الرجاء. وقال مرةً: العلماء [مقطوعون إلا الخائفين، والخائفون مقطوعون إلا الراجين. وكان يجعل الرجاء مقامًا في المحبة، وهو عند العلماء] أول مقامات المحبة، ثم يعلو في الحب علىٰ قدر ارتفاعه في الرجاء وحسن الظن. وفي الخبر: «إذا حدَّثتم الناس عن ربِّهم فلا تحدِّثوهم بما يفزعهم وينفِّرهم»[(٣)].

---

(١) هو يحيىٰ بن معاذ الرازي، كما تقدم في الباب السادس من كتاب العلم.

(٢) في التفسير الكبير للفخر الرازي ٣/ ١٧١ عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ ما نصه: «قال يحيىٰ بن معاذ الرازي: إلهي، إذا كان توحيد ساعة يهدم كفر خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة كيف لا يهدم معصية ساعة! إلهي، لما كان الكفر لا ينفع معه شيء من الطاعات كان مقتضىٰ العدل أن الإيمان لا يضر معه شيء من المعاصي، وإلا فالكفر أعظم من الإيمان، فإن يكن كذلك فلا أقل من رجاء العفو. وهو كلام حسن».

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٨/ ١٣٥ والبيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٢٦٥ وابن أبي عاصم في السنة ص ٢٩١ من حديث المقدام بن معدي كرب. وعندهم: «بما يفزعهم ويشق عليهم».

وقال بِشر الحافي: سكون النفس إلىٰ المدح أضَرُّ عليها من المعاصي[1]. ورأىٰ يوسف بن الحسين مخنثًا فأعرض عنه إزراءً عليه، فالتفت المخنث إليه فقال: وأنت أيضًا يكفيك ما بك. ففزعَ من قوله وقال: أيَّ شيء تعلم بي؟ قال: لأن عندك أنك خير مني. فاعترف يوسف بذلك فتاب واستغفر. وكان بعض الراجين يفهم من قوله تعالىٰ إذا تلا: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر: ٤٧] يرجو بذلك بوادي الجود والكرم والإحسان مما لم يحتسبه في الدنيا قط. ويقال: إن حَمَلة العرش يتجاوبون بأصوات: سبحانك علىٰ حلمك بعد علمك، سبحانك علىٰ عفوك بعد قدرتك[2]. فللراجين من العارفين فهومٌ من السمع للكلام نحو علوِّ نظرهم عن سموِّ علومهم بمعاني الصفات، فكل صاحب مقام يشهد من مقامه، ويسمع من حيث شهادته، فأعلاهم شهادةً الصدِّيقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون، ثم خصوص المؤمنين. فبه تبارك وتعالىٰ استدلُّوا عليه، وبه نظروا إليه ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٣] وكان سهل يقول: المحسن يعيش في سعة الرحمة، والمسيء يعيش في سعة الحِلم. فصفاته تعالىٰ كاملات، فمَن شهد ترجيح بعضها علىٰ بعض دخل عليه النقصُ من مشاهدته؛ لقصور علمه عن تمام علم مَن فوقه من الشهداء، ولأجل مقامه المراد به دون طريق الصدِّيقين من الأقوياء، فعاد ذلك علىٰ العبد فصار مقامًا له في القرب والبعد، تعالىٰ وصفُ

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٣٤٤ بلفظ: «سكون النفس إلىٰ المدح وقبول المدح لها أشد عليها من المعاصي». ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٠/ ٢١٠ بلفظ: «السكون النفس إلىٰ قبول المدح أشد عليها من المعاصي».

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ١٧/ ٤٢٨ عن شهر بن حوشب قال: حملة العرش ثمانية، فأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد علىٰ حلمك بعد علمك، وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد علىٰ عفوك بعد قدرتك. زاد عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣١٥: كأنهم ينظرون إلىٰ أعمال بني آدم. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٥٥ والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٥٥٩ بنحوه عن هارون بن رئاب الأسدي. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٧٤ عن حسان بن عطية.

المشهود عن النقصان والحدِّ. ومَثل الرجاء من الخوف مثل الرخصة من العزائم، وفي الخبر: «إن الله تعالىٰ يحب أن يؤخَذ برُخَصه كما يحب أن يؤخَذ بعزائمه». وفي لفظ آخر أبلغ من هذا وأوكد: «إن الله تعالىٰ يحب أن تُقبَل رُخَصه كما يكره أن تؤتَىٰ معصيته». وفي الخبر: «إن هذا الدين متين، فأوغِلْ فيه برفق، ولا تبغِّض إلىٰ نفسك عبادةَ الله تعالىٰ، وخير الدين أيسرُه». وقال: «هلك المتعمِّقون، هلك المتنطِّعون».

وفي أخبار داود عليه السلام: أن الله تعالىٰ نظر إليه منتبذًا وحدانيًّا، فقال: ما لك وحدانيًّا؟ فقال: عاديتُ الخَلقَ فيك. قال: أوَ ما علمتَ أن محبتي أن تعطف علىٰ عبادي وتأخذ عليهم بالفضل، هنالك أكتبك من أوليائي وأحِبَّائي، ولا تنظر إلىٰ عبيدي نظرة جفاء ولا قسوة، فإذا أنت قد أبطلتَ أجرك، فاحفظْ عني ثلاثًا: خالِصْ حبيبي مخالصةً، وخالِقْ أهلَ الدنيا مخالقةً، ودينك فقلِّدْنيه[1].

وروينا عن الضَّحَّاك: إن العبد لَيدنو من ربِّه عند العرض، فيقول له: عبدي، أتحصي عملك؟ فيقول: إلهي، كيف أحصيه من دونك وأنت الحافظ للأشياء؟ فيذكِّره الله تعالىٰ جميعَ ذنوبه في الدنيا[2] ويقول: لم أجعل للذنوب رائحة توجد منك، ولم أجعل في وجهك شَيْنها، وأنا أغفرها لك اليوم علىٰ ما كان منك بإيمانك بي وتصديقك المرسلين.

ومن الرجاء: شدة الشوق إلىٰ ما شوَّق إليه الكريم، وسرعة التنافس في كل نفيس ندب إليه الرحيم.

والأخبار في حقيقة الرجاء تزيد المغترِّين اغترارًا، وتزيد المستدرَجين بالستر

---

(١) رواه أبو إسحاق الختلي في كتاب المحبة لله ص ١٠٧ - ١٠٨ (ط - دار المكتبي بدمشق) ضمن أثر طويل عن ثور بن يزيد الشامي.

(٢) بعده في القوت: «في ساعاتها، فيقول: أنت عبدي مقر بما عرفتك وذكرتك؟ فيقول: نعم سيدي. فيقول الله سبحانه: أنا الذي سترتها عليك في الدنيا، فلم أجعل للذنوب ...» الخ.

والنعم خسارًا، وهو مزيد للتوَّابين الصادقين، وقُرَّة عين للمحبِّين المخلصين، وسرور لأهل الكرم والحياء، ورَوْح وارتياح لذوي العصمة والوفاء، ينصع به كرمُهم، ويشتد عنده حياؤهم [وتروَّح به كروبهم] وترتاح إليه عقولهم، فهؤلاء يستخرج منهم الرجاء وحسن الظن من العبادات ما لا يستخرجه الخوف؛ إذ المخاوف تقطع عن أكثر المعاملات، فصار الرجاء طريقًا لأهله، وصاروا واجدين به، كما قال عمر رضي الله عنه: رحم الله صهيبًا، لو لم يَخَف اللهَ لم يعصِه[1]. أي يترك المعاصي للرجاء لا للخوف، فصار الرجاء طريقه. فهؤلاء هم الراجون حقًّا، وهذه علامتهم، ولمثل هؤلاء ذكرنا الأسباب التي توجب الرجاءَ وتولِّد حسن الظن في قلوب أهل الصفاء المعصومين من الهوىٰ، الموفَّقين لحسن خدمة المولىٰ.

فهذه جملة أحكام الرجاء وأوصاف الراجين، فمَن تحقَّق بجميعها فقد استحقَّ درجات أهل الرجاء وهو عند الله تعالىٰ من المقرَّبين، ومَن كان فيه وصفٌ من هذه الأوصاف فله مقام من الرجاء.

واعلمْ أن مقامات اليقين لا يزيل بعضُها [بعضًا، ولكن يندرج بعضُها] في بعض، فمَن غلب عليه حالٌ منها عن وجدِ مشاهدتِه وُصِف بما غلب عليه واستجنَّ بما سوىٰ ذلك من المقامات فيه، ومَن عمل بشرط مقام منها فقام بحكم الله فيه نُقل إلىٰ ما سواه، وكان المقام الأول له علمًا، والثاني الذي أقيمَ فيه له وجدًا،

---

(١) في كنز العمال ١٣/ ٤٣٧ - ٤٣٨: «عن عمر قال: نعم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه. أورده أبو عبيد في غريب الحديث ٤/ ٢٨٤ ولم يسق إسناده، وقد ذكر المتأخرون من الحفاظ أنهم لم يقفوا علىٰ إسناده، وإنما ذكرته هنا وإن كان ليس من شرط الكتاب لشهرته، ولأنبه علىٰ أن أبا عبيد أورده، وأبو عبيد من الصدر الأول، قريب العهد، أدرك أتباع التابعين، والظاهر أنه وصل إليه إسناده». وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٤٤٩: «اشتهر في كلام الأصوليين وأصحاب المعاني وأهل العربية من حديث عمر، وذكر البهاء السبكي أنه لم يظفر به في شيء من الكتب، وكذا قال جمع جم من أهل اللغة، ثم رأيت بخط شيخنا (ابن حجر) أنه ظفر به في مشكل الحديث لابن قتيبة، لكن لم يذكر له ابن قتيبة إسنادا».

فكتم الوجد لأنه سره، وعبَّر عن العلم لأنه قد جاوزه فصار علانيته. ومقام الرجاء هو جند من جنود الله، يستخرج من بعض العِباد ما لا يستخرج غيرُه؛ لأن بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرم والإحسان، وتُقبِل وتطمئن بمعاملة النعم والامتنان ما لا يوجد ذلك منها عند التخويف والترهيب، بل قد يقطعها ذلك ويوحشها؛ إذ قد جُعل الرجاء طريقها فوجدت فيه قلوبها.

إلىٰ هنا انتهىٰ كلام صاحب القوت، وقد حذفت منه أشياء كثيرة.

وقال القشيري في الرسالة: قال الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍ﴾ [العنكبوت: ٥] وأسند عن العلاء بن زيد قال: دخلت علىٰ مالك بن دينار، فرأيت عنده شهر بن حوشب، فلما خرجنا من عنده قلت لشهر: يرحمك الله، زوِّدْني زوَّدك الله. فقال: نعم، حدثتني عمَّتي أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن نبي الله ﷺ، عن جبريل عليه السلام قال: «قال ربُّكم عز وجل: عبدي، ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئًا غفرت لك علىٰ ما كان منك، ولو استقبلتني بملء الأرض خطايا وذنوبًا استقبلتك بمثلهنَّ مغفرة فأغفر لك ولا أبالي». وتكلَّموا في الرجاء، فقال شاه الكِرْماني: علامة الرجاء حسن الطاعة. وقيل: الرجاء هو ثقة الجود من القديم[1]. وقيل: هو النظر إلىٰ سعة رحمة الله تعالىٰ. وسُئل أحمد بن عاصم الأنطاكي: ما علامة الرجاء في العبد؟ قال: أن يكون إذا أحاط به الإحسان أُلهِم الشكر راجيًا لتمام النعمة من الله عليه في الدنيا وتمام عفوه في الآخرة. وقال أبو عبد الله ابن خفيف: الرجاء: استبشار بوجود فضله. وقيل: ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجوِّ المحبوب. وقيل: هو رؤية الجلال بعين الجمال. وقيل: هو قرب القلب من ملاطفة الرب. وقيل: سرور الفؤاد بحسن المعاد. وقال يحيىٰ بن معاذ: إلهي، أحلىٰ العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام علىٰ لساني ثناؤك، وأحب الساعات إليَّ ساعة يكون فيها لقاؤك. وكلَّموا ذا النون المصري وهو في النزع،

(١) في الرسالة: من الكريم الودود.

فقال: لا تشغلوني، فقد تعجَّبتُ من كثرة لطف الله تعالىٰ معي. وأسند عن عائشة ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالىٰ لَيضحكُ من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم». فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أوَ يضحك ربُّنا عَزَّوَجَلَّ؟ قال: «والذي نفسي بيده إنه لَيضحكُ». فقالت: لا يعدمنا خيرًا إذا ضحك. ورُؤيَ مالك بن دينار في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: قدمتُ علىٰ ربي بذنوب كثيرة محاها عني حسنُ ظني بالله تعالىٰ[1]. وقيل: كان ابن المبارك يقاتل عِلْجًا مرةً، فدخل وقت صلاة العِلج، فاستمهله فأمهله، فلما سجد للشمس أراد ابن المبارك أن يضربه بالسيف، فسمع من الهواء قائلاً يقول: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤] فأمسك، فلما سلَّم المجوسي قال: لِمَ أمسكتَ عمَّا هممتَ به؟ فذكر له ما سمع، فقال المجوسي: نِعم الرب رب يعاتب وليَّه في عدوِّه. وأسلم وحسُن إسلامه. وقيل: إنما أوقعهم في الذنب حين سمَّىٰ نفسه عفوًّا. وقيل: لو قال «لا أغفر الذنوب» لم يذنب مسلم قط، ولكنه لما قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ طمعوا في مغفرته. وقيل: حج رباح القيسي حجَّات كثيرة، فقال يومًا وقد وقف تحت الميزاب: إلهي، وهبتُ من حجَّاتي كذا وكذا لرسول الله ﷺ، وعشرة منها لأصحابه العشرة، واثنتين لوالدي، والباقي للمسلمين. ولم يحبس شيئًا لنفسه، فسمع هاتفًا يقول: يا هذا، تتسخَّىٰ علينا؟! لأغفرن لك ولأبويك ولمَن شهد شهادة الحق. سمعت الأستاذ: أبا علي الدَّقَّاق يقول: مر أبو عمرو البَيْكَندي يومًا بسكة، فرأىٰ قومًا أرادوا إخراج شاب من المحلة لفساده، وامرأة تبكي قيل إنها أمه، فرحمها أبو عمرو فتشفَّع له إليهم وقال: هبوه مني في هذه المرة، فإن عاد إلىٰ فساده فشأنكم وإيَّاه. فوهبوه منه، فمضىٰ أبو عمرو، فلما كان بعد أيام اجتاز بتلك السكة، فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب، فقال في نفسه: لعل الشاب عاد

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المنامات ص ٣٣ والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ١/ ٤٥٣ - ٤٥٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/ ٤٤١ - ٤٤١ عن سهيل بن مهران القطعي قال: رأيت مالك بن دينار بعد موته في منامي ... فذكره.

إلىٰ فساده فنُفِيَ من المحلة. فدقَّ عليها الباب وسألها عن حال الشاب، فخرجت العجوز وقالت: إنه مات. فسألها عن حاله، فقالت: لمَّا قرُب أجلُه قال لي: لا تخبري الجيران بموتي، فلقد آذيتهم، وإنهم سيشمتون بي ولا يحضرون جنازتي، فإذا دفنتيني فهذا خاتم لي مكتوب عليه: بسم الله الرحمن الرحيم، فادفنيه معي، فإذا فرغتِ من دفني فتشفَّعي لي إلىٰ ربي. قالت: ففعلتُ وصيَّته، فلما انصرفتُ عن رأس قبره سمعت صوته يقول: انصرفي يا أماه، فقد قدمتُ علىٰ رب كريم.

انتهىٰ كلام القشيري.

ولنعُدْ إلىٰ شرح كلام المصنف، قال رحمه الله تعالىٰ: (**فهذه هي الأسباب التي بها يُجلَب روح الرجاء إلىٰ قلوب الخائفين والآيسين، وأما الحمقىٰ المغرورون فلا ينبغي أن يسمعوا شيئًا من ذلك**) فإنها تزيدهم اغترارًا بالله (**بل يسمعون ما سنورده في أسباب الخوف، فإن أكثر الناس لا يصلُح إلا علىٰ الخوف كالعبد السوء والصبي العرم**) أي النشيط (**لا يستقيم إلا بالسوط والعصا وإظهار الخشونة في الكلام**) ولفظ القوت: وأكثر النفوس لا تصلح إلا علىٰ الخوف، كعبيد السوء لا يستقيمون إلا بالسوط والعصا ويواجَهون بالسيف صلتًا (**وأما ضد ذلك فيسد عليهم بابَ الصلاح في الدنيا والدين**) نسأله تعالىٰ التوفيق.

فصل: في بيان لواحق الرجاء: اعلمْ أن من لواحق الرجاء: الرغبة، ولنبسط الكلام في الرغبة: اعلم أنه لمَّا كانت حقيقة الرجاء: تعلُّق القلب بمأمول يحصل في الاستقبال بعد جريان أسبابه كانت الرغبة: استيلاء هذا الحال علىٰ الراجي حتىٰ كأنَّه يشاهد به المأمول، فالرغبة كمال الرجاء ومنتهَىٰ حقيقته وهي تعلُّقه بضد كل ما يُذكَر من المخاوف في كتاب الخوف، ولا تزال مصحوبة لك ما دام لك حظ واختيار، فإذا ارتقيتَ عن ذلك بالفناء بالتوحيد فحينئذٍ لا رغبة ولا رهبة إلىٰ أن ترجع إلىٰ بشريَّتك وإنسانيتك، فافهم ذلك الكلام علىٰ البسط. واعلم أن القلوب كما تنقبض بالخوف تنبسط بروح الرجاء، وهذا يدل علىٰ فضيلة الرجاء

على الخوف، كما سيأتي الكلام عليه؛ لأن القلوب إذا انبسطت انشرحت، وإذا انشرحت انفتحت لها طرق الهدى، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] فيهدي الله بذلك النور إلى حضرته، فيبقى مبسوطًا لديه، مستورًا حاله عن الخَلق بِرداء العلم وجلباب التقوى، فأعزِزْ بهذا المقام ما أجلَّه! وبالله التوفيق.

(الشطر الثاني من الكتاب: في الخوف

وفيه بيان حقيقة الخوف، وبيان درجات الخوف، وبيان أقسام المخاوف، وبيان فضيلة الخوف، وبيان الأفضل من الخوف والرجاء، وبيان دواء الخوف، وبيان معنى سوء الخاتمة، وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء عليهم السلام والصالحين رحمهم الله تعالى).

بيـان حقيقـة الخـوف

(اعلمْ) رحمك الله تعالىٰ **(أن الخوف هو)** الخامس من مقامات اليقين، وهو باب عظيم من أبواب الإيمان، وقد تقدم أن أحوال القلوب تنقسم إلىٰ مقامات وأحوال وحالات متوسطة بينهما، وهذا بالنسبة إلىٰ الثبات وسرعة الزوال، وأن الحالة المتوسطة متىٰ دامت أُلحِقت بالمقام، ومتىٰ زالت أُلحِقت بالحال، وكذلك أحوال القلب[١]، وأن الخوف لا يتعلق إلا بمشكوك فيه أو مظنون. فالخوف **(عبارة عن تألُّم القلب واحتراقه)** وانزعاجه **(بسبب توقُّع مكروه في الاستقبال، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء)** فلا يُعاد ثانيًا، وله[٢] لواحق: الحزن والقبض والإشفاق والخشوع، فحقيقة الحزن: ألم يطرق القلبَ وتوقُّع لحاصل مكروه أو علىٰ فائت محبوب، فإن كان المحبوب والمكروه محمودينِ كان له حكمهما في الوجوب والفضيلة، وإن كانا مكروهينِ كان له حكمهما في الحظر والكراهة. وحقيقة القبض: همٌّ يطرق القلبَ، تارةً يُعلَم سببه، وتارةً لا، فأما ما يُعلَم سببه فحكمه حكم الحزن، وما لم يُعلَم سببه فهو عقوبة من الله بسبب الإفراط في البسط يتأدَّب به المريدون المائلون عن الاعتدال. وحقيقة الإشفاق: اتحاد الخوف والرجاء واعتدالهما، وسيجيء حكم ذلك. وحقيقة الخشوع: سكون القلب والجوارح وعدم حركتها لما عاين القلب من عظيم أو مفزِع **(و)** إذا عرفتَ هذه الحقائق، فاعلمْ أن **(مَن أنسَ بالله وملك الحقُّ قلبَه)** بأن لم يبقَ فيه سواه **(وصار ابن وقته)** بل وأبا وقته **(مشاهدًا لجمال الحق علىٰ الدوام لم يبقَ له التفات إلىٰ المستقبل)** من الأيام **(فلم يكن له خوف ولا رجاء، بل صار حاله أعلىٰ من الخوف والرجاء،**

---

(١) انظر: عوارف المعارف ٢/ ٢٦٤.

(٢) روضة الطالبين ص ١٦٣ [ضمن مجموع رسائل الغزالي].

فإنهما) كما قال الواسطي **(زِمامان)** مستوليان **(يمنعان النفس عن الخروج إلىٰ رعوناتها)** أي سكونها إلىٰ حالتها واستحسانها ما هي عليه من طاعتها أو جزعها أو يأسها من فضل ربِّها عند مخالفتها، فهما يصدَّانها عن ذلك؛ لأنها إن استحسنت أحوالَها وركنت إلىٰ أعمالها زجرها الخوفُ، وإن يئست من فضل ربها وقنطت لسوء حالها جذبها الرجاء للسلامة. ولفظ قول الواسطي: زِمامان علىٰ النفوس لئلاَّ تخرج إلىٰ رعوناتها. كذا في الرسالة **(وإلىٰ هذا أشار)** أبو[١] الحسن بنان بن محمد الحَمَّال **(الواسطي)** نزيل مصر والمتوفي بها سنة ست عشرة وثلاثمائة، وكان كبير الشأن، صاحب الكرامات، رحمه الله تعالىٰ **(حيث قال: الخوف حجاب بين الله وبين العبد)** قال القشيري: وهذا اللفظ فيه إشكال. أي لأن الخوف مطلوب، فكيف يكون حجابًا بين الخائف وربه؟ معناه: أن الخائف متطلِّع لوقت ثانٍ، وأبناء الوقت لا تطلُّع لهم في المستقبل، وحسنات الأبرار سيئات المقرَّبين. انتهىٰ. فعدُّوا التطلُّع لوقت ثانٍ حجابًا وهفوة؛ لأن تطلُّع العبد إلىٰ غير وقته تفرقة، واشتغاله بوقته جمعٌ. واعترضه بعضهم بأن ذلك لا يدل علىٰ تفرقة خارجة عن مقام الخوف؛ لأن متعلَّق كل مقام من ضرورة التخلُّق به ملاحظته، فهو جمعٌ لا تفرقة. قال: والأَولىٰ أن يقال: العبد إذا وقف وسكن مع حالته في الخوف استحسن مقامَه فيه، وكونه استعان به علىٰ خلاصه من المكروهات ونشطَ به في الطاعات، فوقوفه معه مع استحسانه له حجاب بينه وبين ربِّه، بمعنىٰ أنه منعه من انتقاله إلىٰ ما هو أعلىٰ منه وأقرب إلىٰ ربه[٢].

(وقال) الواسطي **(أيضًا: إذا ظهر الحق علىٰ السرائر)** بأن أظهر اللهُ لصاحبها من جلاله وجماله ما شغله عن إحساسه بنفسه فضلاً عن غيره من المخلوقات **(لا يبقىٰ فيها)** أي في تلك السرائر **(فضلة)** من الإحساس **(لرجاء ولا لخوف)** نقله

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٩٩.

(٢) انظر: إحكام الدلالة ١/ ٤٣٦.

القشيري. ويؤيِّده ظاهرُ قوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٢] هذا بالنسبة إلىٰ الخواصِّ الكرام، وأما بالنسبة إلىٰ الصلحاء من العوامِّ فمعناه: لا خوف عليهم بلحوق العقاب، ولا هم يحزنون بفوت الثواب في العقبىٰ. قال القشيري بعد أن نقل كلام الواسطي السابق: وهذا فيه إشكال، أي علىٰ مَن لم يعرف اصطلاح القوم؛ لأن الخوف والرجاء مطلوبان، فكيف يثني بفقدهما؟ وجوابه أن معناه: إذا اصطلمت شواهدُ الحق تعالىٰ الأسرارَ ملكتها، فلا يبقىٰ فيها مَساغٌ لذِكر حدثان، والخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية.

(وبالجملة، فالمحب إذا أشغل قلبَه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق) في المستقبل **(كان ذلك نقصًا في الشهود)** إذ القلب ليس له إلا وجهة واحدة **(وإنما دوام الشهود غاية المقامات)** ونهاية الدرجات **(ولكنا الآن إنما نتكلم في أوائل المقامات، فنقول: حال الخوف ينتظم أيضًا من علم وحال وعمل)** لأنه من المقامات، وكل مقام فهو كذلك **(أما العلم فهو العلم بالسبب المفضي إلىٰ المكروه)** وإنما بدأ به لأن كل ما لا ينكشف سببه لا تتضح حقيقتُه ولا تُعرَف فضيلته **(وذلك كمَن جنىٰ علىٰ ملك)** من الملوك **(ثم وقع في يده)** أي في حوزته **(فيخاف القتل مثلاً، ويجوِّز العفوَ والإفلات)** أي الخلاص **(ولكن يكون تألُّم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية)** أي الموصلة **(إلىٰ قتله وهي: تفاحُش جنايته، وكون الملك في نفسه حقودًا غضوبًا منتقمًا، وكونه محفوفًا بمَن يحثُّه علىٰ الانتقام، خاليًا عمَّن يتشفَّع إليه في حقه، وكان هذا الخائف عاطلاً)** عاريًا **(عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك. فالعلم بتظاهُر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألُّم القلب، وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعُف الخوفُ، وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائفُ)** أي لابَسَها **(بل عن صفة المَخُوف، كالذي وقع في مخالب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع**

وهي سطوته وحرصه علىٰ الافتراس غالبًا، وإن كان افتراسه بالاختيار، وقد يكون عن صفة جِبِلِّية للمخوف منه، كخوف مَن وقع في مجرىٰ سيل أو جوار حريق، فإن الماء يُخاف) منه (لأنه بطبعه مجبول علىٰ السيلان والإغراق، وكذا النار) مجبولة بطبعها (علىٰ الإحراق. فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألُّمه) وانزعاجه (وذلك الاحتراق هو الخوف، فكذا الخوف من الله تعالىٰ تارةً يكون لمعرفة الله تعالىٰ ومعرفة صفاته) القديمة من العلم والإرادة والقدرة والكلام، أما العلم فالعلم بالسعيد والشقي وأنه في ذلك علىٰ أتم أنواع الكمال. وأما الإرادة فبتخصيصها ما كشفه العلمُ من الإسعاد والإشقاء. وأما القدرة فإيجادها نفس الإسعاد والإشقاء في الوقت الذي خصَّصته الإرادةُ من غير تقدُّم ولا تأخُّر. وأما الكلام فإخباره إيَّانا بالأسباب المسعدة والأسباب المشقية، والأسباب منها ما اطَّلع عليه العِباد من أن الطاعة مسعدة وأن المعصية مشقية، ومنها ما خفيَ فلا اطِّلاع لأحد عليه، وذلك لخفي المكر والألطاف الموجِبات للتقريب والإبعاد، فهذه أبواب من الإيمان يجب التصديق بها كلها (و) ممَّا يجب عليه في معرفته في توحيد الأفعال (أنه) تعالىٰ (لو أهلك العالَمين) جميعًا (لم يبالِ، ولم يمنعه مانعٌ) لوحدة ذاته، ففي الحديث: «لمَّا خلق الله آدم ومسح علىٰ ظهره فاستخرج منه ذرِّيته قبض قبضة فقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وقبض أخرىٰ فقال: هؤلاء في النار ولا أبالي» (وتارةً يكون) الخوف (لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي) أي ارتكابها وملابستها، وذلك يستدعي أن يعرف أولاً أن كل ما سوىٰ الله تعالىٰ قابل للإهلاك والإتلاف والعقاب؛ لِما تقدَّمه من نقص العدم، وما لحقَه بعد الإيجاد من نقص الافتقار إلىٰ الله تعالىٰ، وكيف لا وذات الإنسان أضعف ذوات العالَم كله، الكلمة الطيبة تنعش قلبه، وقرصة البَقَّة تزعج بدنه، وليس فيه جزء ثابت، فإذا عرف العبد هذا أحس بذلِّه وعجزه وقبول تأثُّره بالمحقَّرات، فكيف يقهر جبارَ السموات؟! ثم علمُه أن لسيده عليه نعمًا تَتْرَىٰ، ظاهرة وباطنة، عقلية وحِسِّية، ثم علمُه بكثرة جنايته علىٰ منهاج سيده وشريعته، وأن النعم قابلة للسلب والذهاب،

والجنايات مرتَّب عليها العذاب. هذه معرفته بنفسه في هذا الباب وفي باب علاج الكبر، فإن لكل بابٍ معرفةً تناسبه، والإيمان بالاعتراف بذلِّ العبودية وكثرة النعم واستحقاق العقوبة علىٰ الجنايات واجب، وهو فرض عين **(وتارةً يكون)** الخوف **(بهما جميعًا وبحسب معرفته بعيوب نفسه)** علىٰ ما ذكرناه **(ومعرفته بجلال الله)** تعالىٰ وتعاليه **(واستغنائه)** علىٰ ما سردناه **(وأنه لا يُسئل عمَّا يفعل وهم يُسئلون، تكون قوة خوفه)** ومَن نقصت معرفته بهما يضعُف خوفُه **(فأخوَفُ الناسِ لربِّه أعرَفُهم بنفسه وبربه، ولذلك قال ﷺ: أنا أخوَفُكم لله)** قال العراقي[1]: رواه البخاري[2] من حديث أنس: «واللهِ إني لأخشاكم لله وأتقاكم له». وللشيخين[3] من حديث عائشة: «واللهِ لأنا أعلمُهم بالله وأشدهم له خشية». انتهىٰ.

قلت: وروىٰ أحمد[4] من حديث رجل من الأنصار: «أنا أتقاكم لله، وأعلمكم بحدود الله».

(وكذلك قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر:٢٨]**)** وهم العارفون بأنفسهم وبربهم **(ثم إذا كملت المعرفةُ أورثت حالةَ الخوف واحتراق القلب، ثم يفيض أثر الحرقة من القلب علىٰ البدن وعلىٰ الجوارح وعلىٰ الصفات، أما في البدن فبالنحول والصفار)** مع الكدرة **(والغشية والزعقة والبكاء، وقد)** يغلب ذلك عليه حتىٰ **(تنشقَّ به المرارةُ فيفضي إلىٰ الموت أو يصعد إلىٰ الدماغ فيَفسد العقلُ)** ويصير لا يعي **(أو يقوَىٰ فيورث القنوطَ واليأس. وأما في الجوارح فبكفِّها عن المعاصي وبقيدها في الطاعات تلافيًا)** أي تداركًا **(لِما فرط)** منه **(واستعدادًا للمستقبل، ولذلك قيل: ليس الخائف مَن يبكي ويمسح عينيه)** ويتألَّم علىٰ حاله

(١) المغني ٢/ ١٠٦٣.
(٢) صحيح البخاري ٣/ ٣٥٤.
(٣) صحيح البخاري ١/ ٢٣، ٤/ ١١٠، ٣٦٣. صحيح مسلم ٢/ ١١٠٦.
(٤) مسند أحمد ٣٩/ ٨٧.

وما هو فيه من فساد دينه **(بل)** الخائف **(مَن يترك ما يخاف أن يعاقَب عليه)** أي بسببه. ولفظ القشيري في الرسالة: وقيل: ليس الخائف مَن يبكي ويمسح عينيه، إنما الخائف مَن يترك ما يخاف أن يعذَّب عليه. انتهىٰ. فالخوف المحمود ما صان العبدَ عن الإخلال بشيء من المأمورات أو الوقوع في شيء من المنهيَّات.

(وقال أبو القاسم الحكيم: مَن خاف شيئًا هرب منه، ومَن خاف اللهَ هرب إليه) نقله القشيري في الرسالة. والحكيم هذا هو أبو[1] القاسم إسحاق بن محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم السمرقندي، ولي قضاءَ سمرقند مدةً، ودُوِّنت حِكَمه، وانتشر في الأرض ذِكرُه، روىٰ عنه أبو جعفر ابن منيب السمرقندي وغيره. ومعنىٰ قوله: أن الخوف حقيقةً إنما يكون من الله؛ لأنه الفاعل لكل مخوف، فإذا خاف العبدُ غيرَ الله مع غفلته عن الله هرب منه، وإذا ذكر الله وخشي أن يسلِّطه عليه هرب إلىٰ الله، أي رجع إليه، فلا يهرب من المخوفات إلا الغافل عن الله، وإلا فمَن علم أنها مسخَّرة بيد الله هرب ورجع إلىٰ الله القادر علىٰ خلاصه منها لا غيره.

(وقيل لذي النون) المصري قُدِّس سره: **(متىٰ يكون العبد خائفًا)**؟ ولفظ الرسالة: متىٰ يتيسَّر علىٰ العبد سبيلُ الخوف؟ **(قال: إذا أنزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي)** من كل شيء **(مخافةَ طول السقام)** أي متىٰ أنزلها منزلته وعرف ضعفها وعجزها عن تحصيل ما ينفعها ودفع ما يضرُّها إلا بالله وأدام النظرَ في ذلك سهُلَ عليه أمرُ الخوف، أي عمل بمقتضاه، وبعُدَ عمَّا يخشاه، ولم يلتفت لِما يطرقه من المشقة في ارتكاب المخالفة لهواه لِما يؤمِّله في عُقباه، ولذلك شبَّهه بالمريض الذي يحتاج إلىٰ الأدوية ويتحمَّل في تناولها ما تكرهه نفسه وتأباه رجاءَ العافية من سقمه وبلواه **(وأما في الصفات فهو بأن يقمع الشهوات ويكدِّر اللذَّات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهًا عند مَن يشتهيه)** ويحبه **(إذا عرف أن فيه سمًّا، فتحترق الشهوات بالخوف)** قال القشيري: سمعت

(١) الأنساب للسمعاني ٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤. لباب الأنساب لابن الأثير ١/ ٣٧٩.

محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: إذا سكن الخوفُ القلبَ أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه **(وتتأدَّب الجوارح، ويحصل في القلب الذبولُ والخشوع والذلة والاستكانة، ويفارقه الكبر والحسد والحقد)** وسائر أوصاف الرعونة **(بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته، فلا يتفرَّغ لغيره، ولا يكون له شغلٌ إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة)** والتفكُّر **(والضنة بالأنفاس واللحظات)** أي البخل بها، فلا تمر في غير ذِكر الله **(ومؤاخذة النفس بالخطرات)** التي تمر **(والخطوات)** التي يخطو بها **(والكلمات)** وعلىٰ هذه الأصول بناء السادة النقشبندية في طريقتهم العليَّة التي منها حفظُ الأنفاس، والعقل في النفس، والنظر علىٰ القدم، والتذكُّر، والرجوع، وغير ذلك ممَّا هو مذكور في محلِّه[1] **(ويكون حاله حال مَن وقع في مخالب سبع ضارٍ لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت)** أي يخلُص **(أو يهجم عليه فيهلك، فيكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه، لا متسَع فيه لغيره. هذا حال مَن غلبه الخوفُ واستولىٰ عليه، وهكذا كان حال جماعة من الصحابة)** رضوان الله عليهم، منهم أبو بكر الصدِّيق وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وأبو الدرداء **(والتابعين)** منهم القاسم بن محمد بن أبي بكر والحسن البصري وكميل بن زياد ومطرِّف بن عبد الله وغيرهم **(وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألُّم القلب واحتراقه، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله)** وعظمته **(وصفاته)** الحسنىٰ **(وأفعاله، و)** بحسب قوة المعرفة **(بعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال. وأقل درجات الخوف ممَّا يظهر أثره في الأعمال أن يمتنع عن المحظورات)** الشرعية **(ويسمَّىٰ الكف الحاصل عن المحظورات ورعًا)** وحقيقته: مجانبة الشيء حذرًا من ضرره، وله درجات أربع ذُكرت في كتاب الحلال والحرام **(فإن زادت قوَّته كفَّ عمَّا يتطرَّق إليه إمكانُ التحريم فيكف أيضًا**

---

(١) انظر: مفتاح المعية في دستور الطريقة النقشبندية لعبد الغني النابلسي ص ١٠٨ - ١١٠، ١١٣.

عمَّا لا يتيقَّن تحريمه، ويسمَّىٰ ذلك تقوىٰ) وهذه هي الدرجة الثالثة من درجات الورع وهي ما لا تحرِّمه الفتوىٰ ولا شُبهة في حِلِّه، ولكن يُخاف أداؤه إلىٰ محرَّم، وهو ورع المتَّقين (إذ التقوىٰ أن يترك ما يريبه إلىٰ ما لا يريبه، وقد يحمله علىٰ أن يترك ما لا بأس به مخافةَ ما به بأس، وهو الصدق في التقوىٰ، فإذا انضمَّ إليه التجرُّدُ للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلىٰ دنيا يعلم أنها تفارقه ولا يصرف إلىٰ غير الله تعالىٰ نفَسًا من أنفاسه فهو الصدق، وصاحبه جدير بأن يسمَّىٰ صِدِّيقًا) وهو فِعِّيل من الصدق للمبالغة فيه (ويدخل في الصدق التقوىٰ، ويدخل في التقوىٰ الورع، ويدخل في الورع العفة، فإنها عبارة عن الامتناع عن مقتضَىٰ الشهوات خاصةً، فإذًا الخوف يؤثِّر في الجوارح بالكف والإقدام، ويتجدَّد له بسبب الكف اسمُ العفَّة وهو كفٌّ عن مقتضَىٰ الشهوة، وأعلىٰ منه الورع فإنه أعم؛ لأنه كفٌّ عن كل محظور، وأعلىٰ منه التقوىٰ فإنه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعًا، ووراءه اسم الصدِّيق والمقرَّب، وتجري الرتبة الآخرة ممَّا قبلها مَجرىٰ الأخصِّ من الأعمِّ، فإذا ذكرتَ الأخصَّ فقد ذكرتَ الكل) وقال صاحب القوت: الخوف اسم جامع لمقامات المتقين، ثم يشتمل علىٰ أهل طبقات خمس، في كل طبقة ثلاث مقامات: فالمقام الأول من الخوف هو التقوىٰ، وفي هذا المقام المتقون والصالحون والعاملون. والمقام الثاني هو الحذر، وفي هذا المقام الزاهدون والوَرِعون والخاشعون. والمقام الثالث هو الخشية، وفي هذا طبقات العالِمين والعابدين والمحسنين. والمقام الرابع [هو] الوَجَل، وهذا للذاكرين والمُخبِتين والعارفين. والمقام الخامس هو الإشفاق، وهو للصدِّيقين والشاهدين والمحبِّين وخصوص المقرَّبين، وخوف هؤلاء عن معرفة الصفات لأجل الموصوف لا عن مشاهدة الاكتساب لأجل العقوبات.

وقال في موضع آخر: إن الخائف بوصف ما غلب عليه من الحال عمَّا قويَ عليه من الشهادة يندرج الرجاءُ في مقامه، فيكون الرجاء له شهودًا، والخوف منه

وجدًا، ويوصَف الراجي بما قويَ عليه من الحال عن غلبة شهادته، وينطوي الخوف في مقامه، فيصير الخوف له علمًا، والرجاء له وجدًا، ولا كُنْه للمخوِّف تعالىٰ، فيتناهَىٰ الخوفُ، ولا نهاية للمرجوِّ، فينقضي منه الرجاء، فأما الشهيد الموقن العالِم المقرَّب، فبالحالين جميعًا يوصَف مع اعتدالهما، وبالوصفين جميعًا يُعرَف مع استوائهما، ثم يغلب عليه الوصف التامُّ والحال الكامل من القيام بشهادة التوحيد والتحقُّق بحق المعرفة لموجب المزيد، فإذا عُرف به اندرج الوصفان فيه، فيقال: صِدِّيق؛ لأنه تحقَّق بالصدق في جميع معانيه، فأغنىٰ عن أن يقال: مخلص. ثم يقال: عارف؛ لأنه قد رسخ في العلم رسوخَ الجبل، فكفىٰ أن يقال: صادق. ثم يقال: مقرَّب؛ لأنه أُشهِد القرب فاقترب، فلم يحتجْ أن يقال: عامل. وهذه أسماء الكمال وصفات التمام، لا يفتقر إلىٰ ذِكر حال، ولا يوصَف بصفة مقال كما يقال في غيره من ذِكر الأحوال: خائف أو راجٍ؛ لوجودهما فيه بالكفاء، واعتدالهما عنده بالسواء؛ لأن الخوف والرجاء قد فاضا عليه ثم غاصا فيه، فإذا قلتَ: عارف أو مقرَّب أو صِدِّيق، فقد دخل فيه حالُ محبٍّ ووصفُ خائفٍ ومقامُ راجٍ ونعتُ عالِمٍ وسَمْت عامل لا محالة (**كما أنك تقول**) في تعالي الأنساب واندراجها في عوالي الأحساب: (**الإنسان إما عربي وإما عجمي، والعربي إما قرشي أو غيره، والقرشي إما هاشمي أو غيره، والهاشمي إما علوي أو غيره، والعَلَوي إما حَسَني أو حُسَيني، فإذا ذكرتَ أنه حَسَني مثلاً فقد وصفتَه بالجميع، وإن وصفتَه بأنه علوي وصفتَه بما هو فوقه ممَّا هو أعم منه**) ولفظ القوت: فإذا قلتَ: فلان هاشميٌّ، استغنيتَ أن تقول: عربي أو قرشي؛ لأن كل هاشميٍّ عربيٌّ قرشيٌّ لا محالة، ثم تصفه بعد ذلك بوصف التمام والكمال أيضًا، كما ذكرناه [من نهاية الأوصاف] في قولنا: عارف، فتندرج الأنسابُ فيه فتقول: فلان حَسَنيٌّ، فاكتفيتَ أن تقول: قرشي أو هاشمي أو عَلَوي، وإن كان قرشيًّا هاشميًّا علويًّا، لا شك أنه قد عُرف أن كل حسنيٍّ فهو قرشي هاشمي علوي لا محالة، فأما أن تقول: فلان عربي أو قرشي أو هاشمي، فهو مقصور علىٰ ما وسمتَه به؛ لأنه قد يكون علويًّا وهو الغاية في الحسب، ثم لا

يكون حسنيًّا فتنتقص رتبة منزلته، وقد يكون قرشيًّا غير هاشمي فينحط درجةً، وقد يكون عربيًّا غير قرشي فينزل مرتبةً، فيلزمه وصفُ ما عرفتَه حَسْب، فإذا قلتَ: حسني: أدخلتَ الأحساب كلها فيه، وغنيتَ أن تصفه بما دونها (**فكذلك إذا قلتَ: صدِّيق، فقد قلتَ: إنه تقيٌّ ووَرِع وعفيف**) ولفظ القوت: كذلك قولنا: عارف أو موقن أو مقرَّب أو صِدِّيق، هو اسم التمام والكمال في السمات التي عُرفت بها كل المقامات، تدخل الأحوال والمقامات في هذه السمات، فاكتفيتَ أن تقول: هو مؤمن أو صالح أو عابد أو زاهد أو خائف أو راجٍ، كما رتَّبنا في الأحساب من قولنا: فلان حسنيٌّ، دخل فيه كل حسب رفيع، وكُفينا أن نقول: عربي أو قرشي أو هاشمي أو علوي؛ إذ جميع ذلك داخل فيه؛ لأن العارف لا يوسَم بحال دون حال؛ إذ قد غاصت فيه الأحوالُ، ولا يوسَم بمقام دون مقام؛ إذ قد استوعب كلَّ مقام بحقيقة معناه، عارف بالمعروف الذي هو بكل نهاية وفضل موصوفٌ، وغموض غُربته عند غير أبناء جنسه أن ينكروه، فإن تعرَّف إليهم به أو عرَّفوه بهم فليس بعارف (**فلا ينبغي أن تظن أن كثرة هذه الأسامي تدل علىٰ معانٍ كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط علىٰ مَن طلب المعاني من الألفاظ ولم يُتبع الألفاظ بالمعاني.**

فهذه إشارة إلىٰ مَجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجِبة له، ومن جانب السفل كالأعمال الصادرة منه كفًّا وإقدامًا) ودخل فيه ما يتعلق بثمرته وعلمه الذي هو الورع. والله الموفِّق.

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ (أن الخوف محمود) ومطلوب وفرض عين (وربما يُظَن أن كل ما هو خوفٌ محمودٌ فكلَّما كان أقوىٰ وأكثر كان أحمد، وهو غلط، بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلىٰ المواظبة علىٰ العلم والعمل؛ لينالوا بهما رتبةَ القرب من الله تعالىٰ) قال القشيري: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن علي الحيري يقول: سمعت محفوظًا يقول: سمعت أبا حفص يقول: الخوف سوط الله يقوِّم به الشاردين عن بابه (والأصلح للبهيمة أن لا تخلو عن سوط، وكذا الصبي) العرم (ولكن ذلك لا يدل علىٰ أن المبالغة في الضرب محمودة) كما هو ظاهر (وكذلك الخوف له قصور) وهو مرتبة التفريط (وله إفراط) وهو مرتبة التجاوز (وله اعتدال) وهو مرتبة الوسط (والمحمود) من ذلك (هو الاعتدال والوسط) فخير الأمور أوساطها (فأما القاصر منه فهو الذي يجري مَجرىٰ رقَّة النساء تخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فتورِث البكاءَ وتُفيض الدموعَ، وكذلك عند مشاهدة سبب هائل) عظيم مخوف (فإذا غاب ذلك السبب عن الحس) والمشاهدة (رجع القلب إلىٰ الغفلة، فهذا خوف قاصر، قليل الجدوىٰ، ضعيف النفع، وهو كالقضيب الضعيف الذي تُضرَب به دابة قوية لا يؤلمها ألمًا مبرِّحًا فلا يسوقها إلىٰ المقصد، ولا يصلُح لرياضتها، وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفون والعلماء) ولذا قال سهل: الناس كلهم هلكىٰ إلا العالِمون، والعالِمون كلهم هلكىٰ إلا المخلصون، والمخلصون علىٰ خطر (ولستُ أعني بالعلماء المترسِّمين برسوم العلماء والمتسمَّينَ بأسمائهم، فإنهم أبعدُ الناسِ عن الخوف، بل أعني بهم العلماءَ بالله) وبآلائه (وبآياته وأفعاله، وذلك ممَّا قد عزَّ وجوده الآن، ولذلك قال الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالىٰ: (إذا قيل

لك: هل تخاف اللهَ؟ فاسكت، فإنك إن قلتَ لا كفرتَ، وإن قلتَ نعم كذبتَ) إذ ليس وصفك وصف مَن يخاف الله. نقله صاحب القوت (وأشار به إلىٰ أن الخوف هو الذي يكفُّ الجوارح عن المعاصي ويقيِّدها بالطاعات، وما لم يؤثِّر في الجوارح فهو حديث نفس وحركه خاطر لا يستحق أن يسمَّىٰ خوفًا. وأما المفرط فهو الذي يقوَىٰ ويجاوز حدَّ الاعتدال حتىٰ يخرج إلىٰ اليأس والقنوط، وهو مذموم أيضًا؛ لأنه يمنع من العمل) وربما أورثه الكفرَ (فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل علىٰ العمل، ولولاه لَما كان الخوف كمالاً؛ لأنه بالحقيقة نقصان؛ لأن منشأه الجهل والعجز، أما الجهل فإنه ليس يدري عاقبة أمره، ولو عرف لم يكن خائفًا؛ لأن المخوف هو الذي يتردَّد فيه، وأما العجز فهو أنه متعرِّض لمحذور ولا يقدر علىٰ دفعه، فإذًا هو محمود بالإضافة إلىٰ نقص الآدمي، وإنما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصَف الله تعالىٰ به، و) أما (ما لا يجوز وصفُ الله تعالىٰ به فليس كمالاً في ذاته، وإنما يصير محمودًا بالإضافة إلىٰ نقص هو أعظم منه، كما يكون احتمال ألم الدواء محمودًا؛ لأنه أهون من ألم المرض والموت، فما يُخرِج إلىٰ القنوط فهو مذموم) لِما تقدَّم أنه يمنع العمل (وقد يُخرِج الخوف أيضًا إلىٰ المرض والضعف) الشديدين (وإلىٰ) ألم (الوَلَه) والحيرة (والدهشة وزوال العقل، وقد يُخرِج إلىٰ الموت) إذا أثَّر في المرارة (وكل ذلك مذموم، وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يُهلك الدابةَ أو يمرضها أو يكسر عضوًا من أعضائها، وإنما ذكر رسول الله ﷺ أسباب الرجاء) فيما تقدَّم من الأخبار (وأكثرَ منها ليعالج بها صدمة الخوف المفرط المفضي إلىٰ القنوط أو أحد هذه الأمور) المذكورة (فكل ما يُراد لأمر فالمحمود منه ما يفضي إلىٰ المراد المقصود منه، وما يقصُر عنه أو يجاوزه فهو مذموم) إلا أن ما يفضي منه إلىٰ اليأس والقنوط فهو حرام وإن لم يوجب ذلك ولكن أدَّىٰ إلىٰ فساد العقل وضعف البدن فإنه مكروه؛ لخروجه عن الاعتدال المحبوب (وفائدة الخوف الحذرُ والورع والتقوىٰ والمجاهدة والعبادة والفكر والذِّكر وسائر الأسباب الموصلة إلىٰ الله

تعالىٰ، وكل ذلك يستدعي الحياةَ مع صحة البدن وسلامة العقل، فكل ما يقدح في هذه الأسباب فهو مذموم) والقدر الواجب منه ما يحثُّ علىٰ فعل الواجبات وتركِ المحظورات، ويُستحَب استيلاؤه علىٰ القلب حتىٰ ينفي بذلك كلَّ سبب يشغل عن الله.

(فإن قلتَ: فمَن خاف فمات من خوفه فهو شهيد، فكيف يكون حاله مذمومًا)؟ وقد ذكرتَ أن الخوف إذا تجاوز عن حدِّ الاعتدال حتىٰ أدَّىٰ إلىٰ الموت فهو مذموم **(فاعلمْ أن معنىٰ كونه شهيدًا أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف، فهو بالإضافة إليه فضيلة، فأما بالإضافة إلىٰ تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة)** لِما ورد: «طوبَىٰ لمَن طال عمرُه وحسُنَ عملُه» **(بل للسالك إلىٰ الله تعالىٰ بطريق الفكر والمجاهدة والترقِّي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء)** ولذا ورد: «يوزَن مِداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مِدادُ العلماء»(١). وقال صاحب القوت: إذا جاوز الخوفُ الحدَّ خرج به إلىٰ أن يسري إلىٰ النفس فيحرقها [فيتلف العبدُ] فيكون له شهادة، وليس هذا بأرفع مقامات الخائفين في باب العلوم والمشاهدات عن مكاشفة [معاني] تجلِّي الصفات، إلا أنه قد قال بعضهم: ما شهداء بدر بأعظم أجرًا ممَّن مات وجدًا. وهذه صفات ضعاف المريدين؛ إذ للعلماء الموقنين بكل شهادة من اليقين أجر شهيد، وبكل معاينة قدرةٍ من مقتدر ليلةُ قدر، وعن كل قصد مَحَجَّةٍ بتعظيم عظيمٍ حَجَّةٌ، وبكل عمارة قلبٍ بحالِ محبةٍ عمرةٌ **(ولولا هذا لكانت رتبة صبي يُقتَل أو مجنون يفترسه سبع أعلىٰ من رتبة نبي أو وليٍّ يموت حتف أنفه، وهو مُحال، فلا ينبغي أن يُظَن هذا، بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله)** كما ورد معناه في الخبر **(فكل ما أبطل العمرَ أو العقل أو الصحة التي يتعطَّل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالإضافة إلىٰ أمور، وإن**

---

(١) وهو حديث موضوع بهذا اللفظ، وانظر الفوائد المجموعة للشوكاني ص٢٨٧.

كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة إلىٰ أمور أخرىٰ، كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة إلىٰ ما دونها لا بالإضافة إلىٰ درجة النبيين والصدِّيقين، فإذًا الخوف إذا لم يؤثِّر في العمل فإنَّ وجوده كعدمه، مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابَّة، وإن أثَّر فله درجات بحسب ظهور أثره، وإن لم يحمل إلا علىٰ العفَّة - وهي الكف عن مقتضَىٰ الشهوات - فله درجة، فإن أثمر الورعَ فهو أعلىٰ) لعلوِّ مرتبة الورع علىٰ العفَّة (وأقصىٰ درجاته) أي الخوف (أن يثمر درجات الصدِّيقين وهو أن) يستولي علىٰ القلب حتىٰ (يسلب الظاهرَ والباطن عمَّا سوىٰ الله تعالىٰ حتىٰ لا يبقىٰ لغير الله فيه متسَع، فهذا أقصىٰ ما يُحمَد منه) لأن الغاية المقصودة أن يموت العبد محبًّا لله تعالىٰ، ولا تحصل المحبة إلا بالذِّكر والفكر، ولا يحصلان إلا بفراغ القلب عن شواغل الدنيا وعلائقها، ولا يكفُّ عنها إلا الخوف، فإذا عرفتَ منزلته من الدين فلا تتعدَّاها (وذلك مع بقاء الصحة والعقل) وجملة القول في تفصيل هذه المخاوف: أن للخوف سبع مفائض يفيض إليها من القلب، فإلىٰ أيِّ مفيض فاض من القلب إليه أتلف صاحبه به إلا ما يُستثنَىٰ، فقد يفيض الخوف من القلب إلىٰ المرارة فيحرقها، وهؤلاء هم الذين يموتون من الغَشْي، وهم ضعفاء العمَّال، وقد يطير الخوف من القلب إلىٰ الدماغ فيحرق العقل فيتيه العبدُ فيذهب الحال ويسقط المقامُ، وقد يحل الخوف الرئة فيثقبها فيذهب الأكل والشرب حتىٰ يسلَّ الجسمُ وينشف الدمُ، وهذا لأهل الجوع والطي والاصفرار، وقد يسكن الخوفُ الكبدَ فيورث الكَمَدَ ويُحدِث الفكرَ الطويل والسهر، وهذا من أفضلها، وفي هذا الخوفِ العلمُ والمشاهدة، وهو من خوف العاملين. وقد يقدح الخوف في الفرائص وهي لحمة الكتف، ومنه يكون الاضطراب والارتعاش واختلاف الحركة، وقد يبدو الخوف من القلب فيغشىٰ العقلَ فيمحي سلطانَه، كقهر سلطان القدرة محو الشمس إذا برزت ضوءَ القمر البادي الذي يبدو علىٰ السر من خزائن الملكوت فتضعُف لُحمةُ العقل ويضطرب الجسم لضعفه فلا يتمكَّن العبد من القرار لضعف صفته، وهؤلاء أشبهُ بالفضل وأدخَلُ في [وصف] العلم، وقد سلك في هذا الطريق أفاضل أهل القلوب، وهم

في التابعين كثير، منهم الربيع بن خثيم وأويس القرني وزُرارة بن أوفَىٰ ونُظَراؤهم، ولم ينكر هذا عليهم الصحابةُ ممَّن عرفه مثل عمر وابن مسعود وحذيفة ﷺ، وقد كان عمر يُغشَىٰ عليه حتىٰ يقع ويضطرب كالبعير، وكان سعيد بن جذيم من خيار الصحابة ومن أمراء الأجناد، وكان يغشىٰ عليه. وقد يفيض الخوف من القلب إلىٰ النفس فيحرق الشهوات ويطفئ شُعَل الهوىٰ، وهذا أحمدُ المخاوف وأعلاها، وهؤلاء أفضل الخائفين وأرفعهم مقامًا، وهو خوف النبيين والصدِّيقين وخصوص الشهداء، وليس فوق هذا وصفٌ يُغبَط عليه خائف ولا يفرح به عارف (**فإن جاوز هذا**) عن حدِّ الاعتدال (**إلىٰ إزالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه إن قدر عليه، ولو كان محمودًا لَما وجب علاجُه بأسباب الرجاء وبغيره حتىٰ يزول**) أي إن جاوز الخوفُ هذه الأوصافَ فقد خرج عن حدِّه وجاوز قدره، فحينئذٍ تجب معالجته بما يزيله، ثم إن لم يُعصَم العبد من مجاوزة حد الخوف خرج به إلىٰ أحد ثلاثة معانٍ، خيرها: أن يسري إلىٰ النفس فيحرقها فيَتلف العبدُ، وأوسطها: أن يعلو إلىٰ الدماغ [فيذيبه] فتنحل عقدة العقل لذوبه، فتضطرب الطبائع لانحلال عقدة العقل، ثم تختلط المزاجات فيكون منه الوسواس والهذيان والوَلَه والتوه، وهذا مكروه عند العلماء، وعاقبته غير محمودة، وقد أصاب ذلك بعضَ المحبِّين في مقام المحبة فانطبق عليهم فولهوا بوجده، ومنهم مَن فُرِّغ ذلك عن قلبه فسُرِّي عنهم فنطقوا بعلم وصفِه (**ولذلك كان**) أبو محمد (**سهل**) التستري (**رحمه الله تعالىٰ يقول للمريدين الملازمين للجوع أيامًا كثيرة**) من أهل عَبَّادان: (**احفظوا عقولكم**) باستعمال الدسم (**فإنه لم يكن وليٌّ لله ناقص العقل**) نقله صاحب القوت، وقد ذُكر في كتاب رياضة النفس، ويؤيِّده ما اشتهر علىٰ لسان العامة: ما اتخذ الله وليًّا جاهلاً، ولو اتخذه لعلَّمه. قال صاحب القوت: وحدثني بعض إخواني قال: كنا حول أبي الحسن ابن سالم، فدخل شاب عريان فوقف علىٰ الحلقة يهذي، فزجرناه نطرده، فقال لنا الشيخ: دعوه حتىٰ يقضي ما في نفسه. قال: وكان يتكلم بوساوس من معاني التوحيد وبهذيان مختلط من علوم المعارف إلىٰ أن فتر وسكن، ثم انصرف، فقال

لنا أبو الحسن: لا بارك الله في علماء السوء. ثم قال: لم يكن في أصحابنا أحسن عقلاً ولا أكثر تعبُّدًا ولا اجتهادًا من هذا الشاب، وكنت أنهاه عن العَسَف بنفسه والحمل عليها، وآمره بأكل الدسم والحلواء، فكان مستقيم الأمر، ففارقنا وذهب إلىٰ أهل عَبَّادان، فقالوا له: إن ابن سالم قد ركن إلىٰ الدنيا وترك العبادة والاجتهاد، وأمروه بالجوع الدائم والطي وتركِ الدسم والحلاوة، حتىٰ احترق دماغه وزال عقلُه فذهب الحال وبطلت العبادة. والمعنىٰ الثالث من مذموم الخوف وهو شرها في المجاوزة: أن يعظُم ويقوَىٰ فيذهب الرجاء؛ إذ لم يواجَه بعلم الأخلاق من الجود والكرم والإفضال وقديم الإحسان وخفيِّ الامتنان، فهذه المعاني بها تعديل المقام من فرط الاهتمام وترويح الحال من كروب الأثقال، فلا يساعده القدَر بذلك فيخرجه وجدُه إلىٰ القنوط من رحمة الله، ويعطف به همُّه علىٰ الإياس من رَوْح الله، وتوقفه شهادتُه علىٰ الهرب من قرب الله، دخلت عليهم هذه المشاهدة من قِبَل المواجهة بالإنصاف والعدل بمعيار العقل وإتلاف الجد فجاوزت بهم العلمَ بأخلاقه المرجوَّة من الكرم وخفيِّ الألطاف فتعدَّت بهم الحدودَ من قِبَل قوة نظرهم إلىٰ الاكتساب والحكم علىٰ الحاكم الراحم بعقولهم وعلومهم من غير تفويض منهم إلىٰ مشيئة ولا استسلام [لقدرة] فحُجبوا، يدلُّك علىٰ صحة ما ذكرناه أن أكثر هذه المخاوف كانت في البصريين والعسكريين وأهل عَبَّادان، وكان مذهبهم القدَر، فوقعوا في غاية الخطر. والله الموفِّق.

بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يُخاف منه

(اعلمْ) هداك الله تعالىٰ (أن الخوف المتحقق لا يكون) وفي نسخة: أن الخوف لا يتحقق (إلا بانتظار مكروه) في الاستقبال (و) ذلك (المكروه) لا يخلو (إما أن يكون مكروهًا في ذاته كالنار) مثلاً (وإما أن يكون مكروهًا) لا لذاته بل (لأنه يفضي إلىٰ المكروه) فتكون كراهته عارضة (كما تُكرَه المعاصي) لا لذاتها ولكن (لأدائها إلىٰ مكروه في الآخرة) وهو العقاب والعذاب (و) هذا (كما يكره المريض الفواكه المضرَّة لأدائها إلىٰ الموت، فلا بد لكل خائف من أن يتمثَّل في نفسه مكروهًا من أحد القسمين ويقوَىٰ انتظارُه في قلبه حتىٰ يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه، ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب علىٰ قلوبهم من المكروهات المحذورة، فالذين يغلب علىٰ قلوبهم ما ليس مكروهًا لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة، أو خوف نقض التوبة) بعد العصمة (أو) خوف (نكث العهد) بالخيانة (أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالىٰ) أو خوف وهن العزم بعد القوة، أو خوف قلة الوفاء بترك المعاملة بالصفاء (أو خوف زوال رقَّة القلب وتبدُّلها بالقساوة) أو خوف حدوث الفترة بعد الشره عن المعاملة، أو خوف ظهور الصفة بعد استتار الشهوة والآفة (أو خوف المَيل عن الاستقامة، أو خوف استيلاء العادة في اتِّباع الشهوات المألوفة) أو خوف الجنايات والأكساب، أو خوف الوعيد وسوء العقاب، أو خوف التقصير عن الأمر بتسبيب الأسباب، أو خوف مجاوزة الحد، أو خوف سلب المزيد، أو خوف حجاب اليقظة عن القلب بالغفلة، أو خوف قطع اليقين من العقل بالوسوسة (أو خوف أن يكله الله إلىٰ حسناته التي اتَّكل عليها وتعزَّز بها في عبادة الله، أو خوف البَطَر بكثرة نعم الله عليه، أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله، أو خوف الاستدراج بتواتُر

النعم، أو خوف انكشاف غوائل طاعته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب، أو خوف تبعات الناس عنده في الغِيبة والخيانة والغش وإضمار السوء) أو خوف الوقوع في الفتنة بتسبيب الخدعة بالمحنة ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾ [القمر: ٢٧] أو خوف البلوىٰ بعَوْد جَرْي العادة، أو خوف الرجوع عن قصد الإرادة، أو خوف استذلال المهانة بعد الكرامة، أو خوف الحور بعد الكور وهو الرجوع عن المَحَجَّة بعد إيقاع الحكم عليه إلىٰ طريق الهوىٰ **(أو خوف ما لا يدري أنه يحدث في بقية عمره، أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا أو الافتضاح قبل الموت، أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا، أو خوف اطِّلاع الله علىٰ سريرته في حال غفلته عنه، أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء)** أو خوف اطِّلاع الله عليهم عند ما سلف من ذنوبهم ونظره إليهم علىٰ قبيح أعمالهم فيُعرِض عنهم ويمقتهم **(أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل. فهذه كلها مخاوف العارفين)** وطرقات الطالبين، وبعضها أعلىٰ من بعض، وفيها ما هو أشد من بعض **(ولكل واحدة خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عمَّا يفضي إلىٰ المخوف، فمَن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب علىٰ الفِطام عن العادة، والذي يخاف من اطِّلاع الله علىٰ سريرته يشتغل بتطهير قلبه من الوساوس)** والخطرات **(وهكذا إلىٰ بقية الأقسام)** المذكورة **(وأغلب هذه المخاوف علىٰ المتقين خوفُ الخاتمة، فإن الأمر فيه مخطر)** أي صعب ذو خطر **(وأعلىٰ الأقسام وأدلُّها علىٰ كمال المعرفة خوفُ السابقة؛ لأن الخاتمة تبعٌ للسابقة وفرع يتفرَّع عنها بعد تخلُّل أسباب كثيرة، فالخاتمة تُظهِر ما سبق به من القضاء في أم الكتاب)** قال صاحب القوت: وقد نوَّعَ بعضُ العارفين خوفَ المؤمنين علىٰ مقامين فقال: قلوب الأبرار معلَّقة بالخاتمة يقولون: ليت شِعري ماذا يُختَم لنا به؟ وقلوب المقرَّبين معلَّقة بالسابقة يقولون: ترىٰ ماذا سبق لنا منه؟ وهذان المقامان عن مشاهدتين إحداهما أعلىٰ وأنفذ من الأخرىٰ لحالين أحدهما أتمُّ وأكملُ، وهذا كما قيل: ذنوب المقرَّبين حسنات الأبرار، أي ما يرغب فيه الأبرار فهو عندهم باب قد زهد فيه المقرَّبون، فهو عندهم

حجاب، ومَن حقَّت عليه كلمةُ العذاب وسبق له من مولاه الختمُ بسوء الاكتساب لم ينفعه شيء، فهو [يعمل] في بطالة لا أجر له ولا عاقبة من قِبَل أن سوء الخاتمة قد يكون في وسط العمر فلا ينتظر بها آخره؛ إذ هما في سبق العلم سواء، فالخاتمة حينئذٍ فاتحة، والوقتان واحد، فينظر إليه نظرةَ بُعدٍ، فهو يزداد بأعماله بعدًا، فإذا انقطعت الآجال وتناهت الأعمال تناهَىٰ في الإبعاد فحلَّ في دار البعد (**والخائف من الخاتمة بالإضافة إلىٰ الخائف من السابقة كرجلين وقَّع الملك في حقِّها بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حزُّ الرقبة**) أي هلاكه (**ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليهما، ولم يصل التوقيع إليهما بعدُ، فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وأنه عمَّاذا يظهر، ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيَّته وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب، وهذا التفات إلىٰ السبب، وهو أعلىٰ من الالتفات إلىٰ ما هو فرع، فكذلك الالتفات إلىٰ القضاء الأزلي الذي جرىٰ بتوقيعه القلمُ أعلىٰ من الالتفات إلىٰ ما هو يظهر في الأبد**) بعدما كان في حيِّز العدم (**وإليه أشار النبي ﷺ، حيث كان**) ذات يوم (**علىٰ المنبر، فقبض كفه اليمنىٰ، ثم قال: هذا كتاب الله، كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم**) وأنسابهم (**لا يُزاد فيهم ولا ينقص. ثم قبض كفه اليسرىٰ وقال: هذا كتاب الله، كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم**) وأنسابهم (**لا يُزاد فيهم ولا ينقص، ولَيعملنَّ أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتىٰ يقال كأنَّهم منهم، بل هم هم، ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة**) وهذا يكون عند بلوغ الروح التراقي، وتكون النفس قد خرجت من جميع الجسد واجتمعت في القلب إلىٰ الحلقوم، وهذا هو «شبر» كما في الرواية الأخرىٰ، وفُواق الناقة هو ما بين الحَلْبتين، وقيل: هو شوط من عَدْوها بين سَيْرينِ (**وليعملنَّ أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتىٰ يقال كأنَّهم منهم، بل هم هم، ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفُواق ناقة**) وهذا من تقلُّبات القلوب عن حقيقة وجهة التوحيد إلىٰ وجهة الضلال والشرك عندما يبدو له من زوال عقل الدنيا وذهاب علم المعقول، فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب (**السعيد مَن سعد**

بقضاء الله، والشقي مَن شقيَ بقضاء الله، والأعمال بالخواتيم) قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال: حسن صحيح غريب.

قلت: وروىٰ الطبراني[٣] والبزار من حديث ابن عمرو: «إن العبد يلبث مؤمنًا أحقابًا ثم أحقابًا ثم يموت والله عَزَّوَجَلَّ عليه ساخط، وإن العبد يلبث كافرًا أحقابًا ثم أحقابًا ثم يموت والله عز جل عنه راضٍ».

وروىٰ الخطيب[٤] من حديث عائشة: «إن العبد لَيعملُ الزمن الطويل من عمره أو كله بعمل أهل الجنة وإنه لَمكتوبٌ عند الله من أهل النار، وإن العبد لَيعملُ الزمن الطويل من عمره أو أكثره بعمل أهل النار وإنه لَمكتوبٌ عند الله من أهل الجنة».

وروىٰ الطبراني[٥] من حديث ابن مسعود: «إن العبد يولَد مؤمنًا ويعيش مؤمنًا ويموت كافرًا، وإن العبد يولَد كافرًا ويعيش كافرًا ويموت مؤمنًا، وإن العبد لَيعملُ بُرهةً من دهره بالسعادة ثم يدركه ما كُتب له فيموت شقيًّا، وإن العبد لَيعملُ بُرهةً

---

(١) المغني ٢/ ١٠٦٣.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٢٠. ولفظه: «خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ فقلنا: لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا. فقال للذي في يده اليمنىٰ: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل علىٰ آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا. ثم قال للذي في شماله: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل علىٰ آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا. فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فُرغ منه؟ فقال: سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أيَّ عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل. ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما، ثم قال: فرغ ربكم من العباد: فريق في الجنة، وفريق في السعير».

(٣) المعجم الكبير ١٤/ ١٢٤.

(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٧٦.

(٥) المعجم الكبير ١٠/ ٢٧٦.

من دهره بالشقاء ثم يدركه ما كُتب له فيموت سعيدًا».

وقال صاحب القوت بعد أن ذكر خوف أهل الخصوص: وقد جاء معنىٰ ما ذكرناه في حديثين، أحدهما عامٌّ، والآخر خاص، وكل مَن لم يستعمل قلبه في بدايته ويجعل الخوف حشو إرادته لم ينجب في خاتمته، ولم يكن إمامًا للمتقين عند علوِّ معرفته، وأعلىٰ الخوف أن يكون قلبه معلَّقًا بخوف الخاتمة، ولا يسكن إلىٰ علم ولا عمل، ولا يقطع علىٰ النجاة بشيء من العلوم وإن عَلَتْ، ولا بسبب من الأعمال وإن جلَّت؛ لعدم علمه بتحقيق الخواتم، فقد قيل: إنما يوزَن من الأعمال خواتيمها. وعن النبي ﷺ: «إن العبد لَيعملُ بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتىٰ يقال إنه من أهل الجنة – وفي خبر آخر: حتىٰ ما يبقىٰ بينه وبين الجنة إلا شبر، وفي لفظ آخر: إلا فُواق ناقة – ثم يسبق عليه الكتاب فيُختَم له بعمل أهل النار». قال: ولا يتأتَّىٰ في هذا المقدار من الوقت شيءٌ من عمل الجسم بالجوارح، إنما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول، وهو شرك التوحيد الذي لم يكن [متحقِّقًا به، وشكٌّ في اليقين الذي لم يكن] في الحياة الدنيا مشاهَدًا له، فظهر له بيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفُه وبَدَتْ فيه حالُه، كما تظهر له أعماله السيئة فيستحليها قلبُه أو ينطق بها لسانه أو يخامرها وجدُه، فتكون هي خاتمته التي تخرج عليها روحه، وذلك هو سابقته التي سبقت له من الكتاب، كما قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الأعراف: ٣٧] تكون عند مفارقة الروح الجسد ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ [هود: ١٠٩].

وروىٰ البزار[١] من حديث أبي هريرة: «السعيد مَن سعدَ في بطن أمه، والشقي مَن شقيَ في بطن أمه». وسنده صحيح.

وروىٰ مسلم وابن ماجه وابن عساكر من حديث معاوية: «إنما الأعمال

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار ٣/ ٢٣.

بخواتيمها ...» الحديث[1]، وقد تقدم.

ومن هنا خوف العارفين، حيث إنهم لم يعرفوا أنهم من أيِّ القبضتين المذكورتين ومن أيِّ الفريقين المذكورين في قوله تعالىٰ: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى: ٧] وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۝١٠٥﴾ [هود: ١٠٥] وقوله تعالىٰ: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] وقوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٣].

(وهذا كانقسام الخائفين إلىٰ مَن يخاف معصيته وجنايته وإلىٰ مَن يخاف الله تعالىٰ نفسه لصفته وجلاله) وعظمته **(وأوصافه التي تقتضي الهيبةَ لا محالة، فهذا أعلىٰ رتبةً، ولذلك يبقىٰ خوفه)** ويدوم ويستمر **(وإن كان في طاعة الصدِّيقين، وأما الآخَر)** وهو الذي يخاف معصيته وجنايته **(فهو في عرصة الغرور والأمن إن واظب علىٰ الطاعات، فالخوف من المعصية)** والجناية **(خوف الصالحين)** من المؤمنين **(والخوف من الله خوف الموحِّدين والصدِّيقين، وهو ثمرة المعرفة بالله تعالىٰ، فكل مَن عرفه وعرف صفاته علمَ من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جناية، بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف اللهَ ولم يخَفْ معصيته)** ومن ذلك قول عمر في صهيب رضي الله عنه: نِعم العبد صهيب لو لم يخف اللهَ لم يعصِه **(ولولا أنه مخوف في نفسه لَما سخَّره للمعصية ويسَّر له سبيلها ومهَّد له أسبابها، فإن تيسير أسباب المعصية إبعاد)** وطرد عن الحضرة **(ولم تسبق منه قبل المعصية معصيةٌ استحقَّ بها أن يسخَّر للمعصية وتجري عليه أسبابها، ولا سبقت قبل الطاعة له وسيلة توسَّل بها مَن يُسِّرت له الطاعات ومُهِّد له سبيل القربات، فالعاصي قد قُضي عليه بالمعصية شاء أم أبىٰ، وكذا المطيع)** قد قُضي عليه بالطاعة شاء أم أبىٰ **(فالذي يرفع محمدًا ﷺ إلىٰ أعلىٰ علِّيين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده)** بل

---

(١) هذا المتن ليس عند مسلم، وهو في سنن ابن ماجه ٥/ ٦١٠ بلفظ (إنما الأعمال كالوعاء). وهو باللفظ الذي ذكره الشارح عند ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/ ٢٥٠، ٦٧/ ٥٠.

هو محض عناية وفضل (ويضع أبا جهل) وأضرابه (في أسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف منه لصفة جلاله، فإنَّ مَن أطاع الله أطاع بأن سلَّط عليه إرادة الطاعة) وسهَّل له سبيلها (وآتاه) الله (القدرة) عليها (وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريًّا، والذي عصىٰ عصىٰ لأنه سلَّط عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة، فكان الفعل بعد القدرة والإرادة ضروريًّا، فليت شِعري ما الذي أوجب إكرامَ هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه؟ وما الذي أوجب إهانةَ الآخر وإبعاده بتسليط دواعي المعصية عليه؟ وكيف يُحال ذلك علىٰ العبد؟ وإذا كانت الحوالة ترجع إلىٰ القضاء الأزلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممَّن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد حزمٌ عند كل عاقل) وهذا هو الخوف الذي يُراد لذاته إلىٰ أن ينكشف عند الخاتمة بما سبق به القضاء الأزليُّ، وهو خوف العارفين، ويجب اعتقاد ذلك لأنه من عقود الإيمان بالله؛ إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون؛ لأن أحكام الرب تعالىٰ في العِباد علىٰ ما اقتضته إرادته ومشيئتُه لا رعاية لإصلاح العباد، وكلَّما زادت المعرفة بهذا زاد الخوف (ووراء هذا المعنىٰ سر القدَر الذي لا يجوز إفشاؤه) وقد جاء في الخبر: «القدَر سر الله فلا تفشوه»، فهذا خطاب لمَن كوشِفَ به. وفي لفظ آخر: «سترُ الله»، فهذا خطاب لمَن لم يكاشَف به، وهذا نهيٌ عن السؤال عنه، وهو داخل في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] أي لا تتبع نفسَك عِلمَ ما لم تُكلَّف، ولا تسأل عمَّا لم يُجعل من علمك ولم يوكل إليك فتصنع بما لا يعينك كما كُلِّفتَه، وقوله تعالىٰ في قصة نوح ﷺ: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦] أي عمَّا ليس من علمك الذي جعلتُه علمًا لك، هذا هو علمي وسرِّي في خلقي، وهو من معنىٰ قوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣] أي ليس هو ممَّا يصلُح أن تتعلمه وتسأل عنه؛ لأني لم أتعبَّدك به. قال صاحب القوت: وليس يصلُح أن يُكشَف سر المخاوف من الخاتمة والسابقة؛ لأن ذلك يكون عن حقائق

معاني الصفات التي ظهرت عن حقيقة الذات فأظهرت بدائع الأفعال وغرائب المآل، وأعادت الأحكامَ علىٰ مَن أظهر بها وجُعل لها ممَّن حقَّت عليه الكلماتُ وجُعلت نصيبه من معاني هذه السرائر من الصفات، فيؤدي ذلك منا إلىٰ كشف باطن الأوصاف، وهو من سر القدر، وقد نُهي عن إفشائه في غير خبر (**ولا يمكن تفهُّمُ الخوف منه في صفاته إلا بمثال لولا إذن الشرع**) بضرب الأمثلة (**لم يستجرئ علىٰ ذكره ذو بصيرة**) ولم يُقدِم عليه لصعوبة المقام (**فقد جاء في الخبر: إن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ داود ﷺ: يا داود، خَفْني كما تخاف السبع الضاري**)[١] قال العراقي[٢]: لم أجد له أصلاً، ولعل المصنف قصد بإيراده أنه من الإسرائيليات، فإنه عبَّر عنه بقوله «جاء في الخبر»، وكثيرًا ما يعبِّر بذلك عن الإسرائيليات التي هي غير مرفوعة (**فهذا المثال يفهمك حاصل المعنىٰ، وإن كان لا يقف بك علىٰ سببه، فإن الوقوف علىٰ سببه وقوفٌ علىٰ سر القدر، ولا يُكشَف ذلك إلا لأهله**) ممَّن له علمٌ بأسراره المخفية ممَّن كوشِف بها (**والحاصل أن السبع يُخاف لا لجناية**) من الإنسان (**سبقت إليه**[٣]**، بل لصفته وبطشه وسطوته و**) ما أُلبِس وجهه من (**كبره وهيبته، ولأنه يفعل ما يفعل ولا يبالي، فإن قتلك لم يرقَّ قلبه ولم يتألَّم لقتلك، وإن خلاَّك**) أي تركك (**لم يخلِّك شفقةً عليك وإبقاء علىٰ روحك، بل أنت عنده أخس من أن يلتفت إليك حيًّا كنت أو ميتًا، بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك نملة عنده علىٰ وتيرة واحدة**) أي طريقة واحدة (**إذ لا يقدح ذلك في عالَم سبعيَّته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته، ولله المَثل الأعلىٰ**) وكذلك مثَّل النبيُّ ﷺ للرجل الذي أوصاه بالحياء، مثَّل له بالرجل الصالح في قوله: «استحِ من الله كما تستحي من الرجل الصالح». فإنما تستحي من الرجل الصالح لوصفه؛ لأنه يقتضي الحياءَ، ويوجب علىٰ الناظر إليه الاستحياءَ، فالحياء أيضًا وإن كان ألطف فهو باب من

---

(١) تقدم هذا الخبر في كتاب ذم الغرور.

(٢) المغني ٢/ ١٠٦٣.

(٣) في طبعتي الشعب والمنهاج: سبقت إليه منك.

الخوف؛ لأنه يمنع ويردع كما يرتدع من المخافة ويمتنع **(ولكن مَن عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة - التي هي أقوىٰ وأوثق وأجلىٰ من المشاهدة الظاهرة - أنه صادق في قوله تعالىٰ)** فيما رواه أحمد[١] وابن سعد[٢] والحكيم[٣] والحاكم[٤] من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بسند رجاله ثقات أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالىٰ خلق آدم، ثم أخذ الخلق من ظهره فقال: **(هؤلاء إلىٰ الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلىٰ النار ولا أبالي)** قيل: يا رسول الله، فعلىٰ ماذا نعمل؟ قال: «علىٰ مواقع القدَر».

وفي حديث عمر بن الخطاب: «إن الله تعالىٰ خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرِّية فقال: خلقتُ هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره بشِماله فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون». فقال رجل: يا رسول الله، ففيمَ العمل؟ قال: «إن الله تعالىٰ إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتىٰ يموت علىٰ عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنةَ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتىٰ يموت علىٰ عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النارَ». رواه مالك[٥] وأحمد[٦] وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه[٧] وأبو داود[٨] والترمذي[٩] وحسَّنه والنسائي[١٠] وابن

---

(١) مسند أحمد ٢٩/ ٢٠٦.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ١/ ١٤، ٩/ ٤٢٠.

(٣) نوادر الأصول ص ١٢٥٨.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٧.

(٥) الموطأ ٢/ ٨٩٨.

(٦) مسند أحمد ١/ ٤٠٠.

(٧) التاريخ الكبير ٨/ ٩٧.

(٨) سنن أبي داود ٥/ ٢٢٩.

(٩) سنن الترمذي ٥/ ١٥٨.

(١٠) السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٠٢.

جرير[١] وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان[٢] والآجري في الشريعة[٣] وأبو الشيخ[٤] وابن مردويه والحاكم[٥] والبيهقي في الأسماء والصفات[٦] والضياء في المختارة[٧]. والمعنىٰ: لا أبالي من ملامة أحد؛ إذ لا يجب علىٰ الله شيء لا من إثابة المطيع ولا من تعذيب العاصي. أو لا أبالي من طاعة مطيع ولا من معصية عاصٍ. أو لا أبالي لعدم تأثير الإثابة والتعذيب في زيادة ملكي ونقصانه. أو لا أبالي لأني متصرِّف في مُلكي، أفعل ما أشاء، وأحكم ما أريد بالعدل. أو لأني متفضِّل غير مائل، عادل غير جائر.

(ويكفيك من موجِبات الهيبة والخوف المعرفةُ بالاستغناء وعدم المبالاة) وبالله التوفيق.

(الطبقة الثانية من الخائفين: أن يتمثَّل في أنفسهم ما هو المكروه) في ذاته. اعلمْ أن الخوف الذي يُراد لغيره علىٰ قسمين؛ لأنَّا قدَّمنا أن الله تعالىٰ علىٰ العبد نعمًا يخاف سلبها، وله جنايات يخاف العقوبة عليها، فمن القسم الثاني الذي هو خوف العقوبات المرتَّبة علىٰ الجنايات وهو السوط الذي يُساق به الأخِسَّاء من العبيد، وليتنا تلك العبيد **(وذلك مثل)** خوف ما يقع في الدنيا من خسف وكسف ومحنة وفقر و**(سكرات الموت وشدته، أو)** ما يقع في الآخرة إما من **(سؤال منكَر ونكير)** في القبر **(أو)** من **(عذاب القبر، أو)** من **(هول المطلع، أو)** من **(هيبة الموقف بين يدي الله تعالىٰ، أو)** من **(الحياء من كشف الستر، أو السؤال)** في الموقف **(عن النقير**

---

(١) جامع البيان ١٠/ ٥٥٣.

(٢) صحيح ابن حبان ١٤/ ٣٨.

(٣) الشريعة ٢/ ٧٤٢ - ٧٤٣.

(٤) ذكر الأقران ص ٧٤ (ط - دار الكتب العلمية).

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢، ٢/ ٣٨٦، ٦٤٠.

(٦) الأسماء والصفات ٢/ ١٤٥.

(٧) الأحاديث المختارة ١/ ٤٠٧.

والقِطمير، **أو الخوف من)** مَزَلَّة **(الصراط وحدَّته وكيفية العبور عليه)** باختلاف الأحوال، أو خوف المحشر والميزان **(أو الخوف من النار وأغلالها)** وأنكالها **(وأهوالها)** وأشار المصنف إلىٰ القسم الأول وهو خوف سلبِ النعم بقوله: **(أو الخوف من الحرمان من الجنة دار النعيم والمُلك المقيم و)** نحو ذلك مثل الخوف **(من نقصان الدرجات)** العلىٰ **(أو الخوف من الحجاب عن الله تعالىٰ)** وهو يكفُّ عن شاغل الأكوان(١)، وكذلك الخوف من الفراق وهو يكفُّ عن ملابسة الشهوات، ثم خوف قطع أسباب الاتصال وهو يحثُّ علىٰ معرفة النعمة ورؤية المنَّة، ثم خوف نسيانه وهو يحثُّ علىٰ اليقظة وعدم الغفلة، ثم قطع أسباب الخير والتلاقي وهو يحثُّ علىٰ مجالسة الصالحين والمذكِّرين والتوَّابين **(وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها، فهي لا محالة مخوفة)** وتحثُّ علىٰ ترك المحظورات وفعلِ الطاعات، فإن لم تحثَّ عليها فلا فائدة فيه وتزداد المعصية به غلظةً؛ لأنها مخالَفة علىٰ مشاهدة الوعيد، وكل حال يُراد لغيره ففائدته أن يؤدي إلىٰ مقصوده، فإن لم يؤدِّ كان العلم حُجة **(وتختلف أحوال الخائفين فيها، وأعلاها رتبةً هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالىٰ)** فإنه أشد العذاب عند أولي الألباب **(وهو خوف العارفين، وما قبل ذلك هو خوف)** العابدين و**(الصالحين والزاهدين وكافَّة العالِمين)** من المؤمنين **(ومَن لم تكمُل معرفتُه ولم تنفتح بصيرته)** لم يهتدِ إلىٰ الكمال و**(لم يشعر بلذَّة الوصال ولا بألم البعد والفراق، وإذا ذُكر له أن العارف لا يخاف النار إنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرًا وتعجَّب منه في نفسه)** كما قال الشاعر:

ولو يذوق عاذلي صَبابتي صَبا معي لكنه ما ذاقها(٢)

---

(١) أي: أعيان الموجودات. وانظر: الدرر الجوهرية في شرح الحكم العطائية للمناوي ص١٥٩ (ط الهيئة العامة للكتاب).

(٢) تقدم هذا البيت غير مرة.

(وربما أنكر لذة النظر إلىٰ وجه الله الكريم) في دار النعيم (لولا منع الشرع إيَّاه من إنكاره، فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد، وإلا فباطنه لا يصدِّق به؛ لأنه لا يعرف) هو (إلا لذة البطن والفرج والعين بالنظر إلىٰ الألوان) المختلفة من الزهور وغيرها (والوجوه الحِسان، وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم، فأما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم) لأن فُهومهم لا تحتمل ذلك (وتفصيل ذلك وشرحه) يطول، ومع طوله فإنه (حرام علىٰ مَن ليس أهلاً له، ومَن كان أهلاً له استبصر بنفسه واستغنىٰ عن أن يشرحه له غيرُه، فإلىٰ هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين) وبالله التوفيق.

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه

(اعلمْ أن فضل الخوف تارةً يُعرَف بالتأمُّل والاعتبار، وتارةً بالآيات والأخبار. أما الاعتبار فسبيله أن) تعرف أن (فضيلة الشيء بقدر غنائه في الإفضاء إلىٰ سعادة لقاء الله تعالىٰ في الآخرة؛ إذ لا مقصود سوىٰ السعادة) إذ هي الغاية المطلوبة (ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه، فكل ما أعان عليه فله فضيلة، وفضيلته بقدر إعانته، وقد ظهر أنه لا وصول إلىٰ سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبَّته والأنس به في الدنيا) فيموت علىٰ ذلك (ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة) لأنها فرعها، فمَن لم يعرف لم يحبَّ (ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر) في مشاهدة جلاله تعالىٰ (ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذِّكر) لآلاء الله تعالىٰ (ولا تتيسَّر المواظبة علىٰ الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب) وفراغه منه (ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذَّات الدنيا وشهواتها، ولا يمكن تركُ المشتهَيات إلا بقمع الشهوات) وكفِّ النفس عنها (ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف) فإذا عرفتَ منزلته من الدين فلا تتعدَّاها (فالخوف هو النار المحرقة للشهوات) والمزيل لآثار آفتها (فإنَّ فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكفُّ عن المعاصي ويحثُّ علىٰ الطاعات) وهو القدر الواجب منه، وأما استيلاؤه علىٰ القلب فهو مستحَب (ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف، كما سبق) قريبًا. نعم، يُستحَب اكتسابه وتذكاره عند وجود أسبابه، مثل قراءتك ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ و﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ وعند تذكُّر ما أعدَّه الله للعصاة، وعند الكسوف والخسوف والصواعق والزلازل، يكون هذا تعبُّدًا لله تعالىٰ ولو كنتَ فيما هو أشرف منه، كما تنتقل من قراءة القرآن إلىٰ إجابة المؤذِّن من أجل أنها عبادة الوقت، فالعالِم هو القائم بما هو أَولىٰ بالوقت (وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة

وبه تحصل العفَّة والورع والتقوىٰ والمجاهدة، وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرِّب إلىٰ الله زلفَىٰ) وفي هذا القدْر مَقنع لأهل التأمُّل والاعتبار، وعِبرة لأولي الأبصار.

(وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار، فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر) والإحصاء **(وناهيك دلالة علىٰ فضيلته جمعُ الله تعالىٰ للخائفين)** ما فرَّقه علىٰ المؤمنين بين **(الهدىٰ والعلم والرحمة والرضوان، وهي مجامع مقامات أهل الجِنان، قال الله تعالىٰ: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾)** [الأعراف: ١٥٤] والرهبة من لواحق الخوف ومقام من مقاماته **(وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾** [فاطر: ٢٨] **فوصفهم بالعلم لخشيتهم)** أي جعل الخشية مقامًا في العلم حقَّقه بها، والخشية مقام من مقامات الخوف، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣] فرفع العلم علىٰ العقل وجعله مقامًا فيه **(وقال تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾)** [البينة: ٨] والخشية – كما ذُكر – من مقامات الخوف، فخصَّ الرضوان بأهل الخشية **(وكل ما دلَّ علىٰ فضيلة العلم دلَّ علىٰ فضيلة الخوف؛ لأن الخوف ثمرة العلم)** بالله تعالىٰ **(ولذلك جاء في خبر موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وأما الخائفون فإنَّ لهم الرفيق الأعلىٰ، لا يشارَكون فيه)** [(١)] كذا في القوت، وهو من الإسرائيليات **(فانظر كيف أفردهم)** من غير مشاركة **(بمرافقة الرفيق الأعلىٰ)** كما حقَّقهم اليوم بشهادة التصديق، وهذا مقام من النبوَّة، فهم مع الأنبياء في الرتبة **(وذلك لأنهم العلماء، والعلماء لهم رتبة مرافقة الأنبياء؛ لأنهم ورثة الأنبياء)** كما ورد بذلك الخبر **(ومرافقة الرفيق الأعلىٰ للأنبياء ومَن يلحق بهم)**

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٤/ ١٨٨ مرفوعا من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالىٰ ناجىٰ موسىٰ بمائة ألف وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام وصايا كلها ...» فذكر الحديث، وفي آخره: «وأما البكاؤون من خيفتي فلهم الرفيق الأعلىٰ، لا يشاركون فيه». ورواه أيضا ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال ص ٧٦، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١١٩، وعبد الله بن أحمد في السنة ص ٢٨٤، ٤٧٩.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ ثم قال في وصف منازلهم: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩] بمعنىٰ رفقاء، عبَّر عن جماعتهم بالواحد لأنهم كأنَّهم واحد، وقد يكون «رفيقًا» مقامًا في الجنة كعلوِّ علِّيين، وإليه أشار بقوله: (**ولذلك لمَّا خُيِّر رسول الله ﷺ في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم علىٰ الله تعالىٰ كان يقول: أسألك الرفيق الأعلىٰ**) قال العراقي[1]: متفق عليه[2] من حديث عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يُقبَض نبيٌّ حتىٰ يرىٰ مقعده من الجنة ثم يخيَّر». فلما نزل به ورأسه في حِجري غُشي عليه، ثم أفاق فأشخص ببصره إلىٰ سقف البيت ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلىٰ». فعلمتُ أنه لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدِّثنا وهو صحيح ... الحديث. انتهىٰ.

قلت: ورواه أحمد[3] مختصرًا، ورواه الترمذي في الشمائل مطولاً.

ثم جاء في خبر موسىٰ عليه السلام: «فأولئك لهم الرفيق الأعلىٰ»، فدلَّ علىٰ أنهم مع الأنبياء بتفسير النبي ﷺ لذلك، وشرُفَ مقامهم فوق كل مقام لطلب رسول الله ﷺ ذلك.

(**فأما إن نظر إلىٰ مثمره**) الذي هو السبب (**فهو العلم**) أو إلىٰ حقيقته فالخشية (**وإن نظر إلىٰ ثمرته فالورع والتقوىٰ**) والكفُّ عمَّا سوىٰ الله (**ولا يخفىٰ ما ورد في فضائلهما**) أي الورع والتقوىٰ. وبعد إذ فهمتَ سببه وحقيقته وثمرته سهلت عليك معرفةُ فضيلته (**حتىٰ إن العاقبة صارت موسومة بالتقوىٰ، مخصوصة بها، كما صار الحمد مخصوصًا بالله تعالىٰ، والصلاة مخصوصة برسول الله ﷺ، حتىٰ يقال: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة علىٰ سيدنا محمد وآله**

---

(١) المغني ٢/ ١٠٦٣ - ١٠٦٤.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٨٢، ١٨٧، ٤/ ١٦٢، ١٩٣. صحيح مسلم ٢/ ١١٤٣.

(٣) مسند أحمد ٤٠/ ٥١٠، ٤١/ ١٣٠، ٤٣/ ٣٦٦.

أجمعين. وقد خصَّص الله التقوىٰ بالإضافة إلىٰ نفسه) تشريفًا له، ومعنىٰ وصله به وأكرم عباده عليه تعظيمًا له (فقال) في هذين المعنيين: (﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] وإنما التقوىٰ عبارة عن كفٍّ بمقتضىٰ الخوف، كما سبق، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾) [الحجرات: ١٣] وفي القوت: والخوف اسم لحقيقة التقوىٰ، والتقوىٰ معنىٰ جامع للعبادة، ينتظم هذا المعنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] (ولذلك أوصىٰ الله تعالىٰ الأوَّلين والآخِرين بالتقوىٰ فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾) [النساء: ١٣١] وهذه الآية قطب القرآن؛ لأن مدار القرآن كله علىٰ هذا (وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥] فأمر بالخوف) منه (وأوجبه وشرطَه في الإيمان) ولفظ الرسالة: والخوف من الله تعالىٰ هو أن يخاف أن يعاقبه الله إما في الدنيا وإما في الآخرة، وقد فرض الله علىٰ العباد أن يخافوه فقال: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ وقال: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: ٥١] (فلذلك لا يُتصوَّر أن ينفكَّ مؤمن عن خوف وإن ضعُفَ، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه) كما أن قوة خوفه تكون بحسب قوة معرفته وإيمانه.

(وقال رسول الله ﷺ في فضيلة التقوىٰ: إذا جمع الله الأوَّلين والآخِرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم فيقول: يا أيها الناس، إني قد أنصتُّ لكم منذ خلقتكم إلىٰ يومكم هذا، فأنصتوا إليَّ اليوم، إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم. أيها الناس، إني جعلت نسبًا، وجعلتم نسبًا، فوضعتم نسبي، ورفعتم نسبكم، قلتُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وأبيتم إلا أن تقولوا: فلان ابن فلان وفلان أغنىٰ من فلان، فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي، ألا أين المتقون؟ فيُرفَع للقوم لواء، فيتَّبع القومُ لواءهم إلىٰ منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب)

قال العراقي[١]: رواه الطبراني في الأوسط[٢] والحاكم في المستدرك[٣] بسند ضعيف والثعلبي في التفسير[٤] مقتصرًا على آخره: إني جعلت نسبًا ... الحديث، من حديث أبي هريرة.

قلت: ورواه كذلك ابن مردويه مطولاً. ولفظ الحاكم: «إن الله تعالىٰ يقول يوم القيامة: أمرتكم فضيَّعتم ما عهدتُ إليكم، ورفعتم أنسابكم، فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم، أين المتقون؟ إن أكرمكم عند الله أتقاكم». وقد صحَّحه وتُعُقِّب، ورواه كذلك ابن مردويه والبيهقي[٥].

وفي الباب عن علي، وحديثه عند الخطيب[٦]، ولفظه: «إذا كان يوم القيامة وقف العبادُ بين يدي الله تعالىٰ غُرْلاً بُهْمًا، فيقول الله تعالىٰ: عبادي، أمرتكم فضيَّعتم أمري، ورفعتم أنسابكم فتفاخرتم بها، اليوم أضع أنسابكم، أنا الملك الدَّيَّان، أين المتقون؟ أين المتقون؟ إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

(وقال ﷺ: **رأس الحكمة**) أي أصلها وأُسُّها (**مخافة الله**) وفي لفظ: خشية الله. قال العراقي[٧]: رواه ابن لال في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب[٨] وضعَّفه من حديث ابن مسعود، ورواه في دلائل النبوة[٩] من حديث عقبة بن عامر، ولا يصح

---

(١) المغني ٢/ ١٠٦٤.

(٢) المعجم الأوسط ٤/ ٣٨٨.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٥٤٥ - ٥٤٦، قال: «هذا حديث عالٍ غريب الإسناد والمتن».

قال الذهبي في التلخيص: «فيه المخزومي ابن زبالة، ساقط».

(٤) الكشف والبيان ٢٤/ ٤٠٦ (ط - دار التفسير).

(٥) شعب الإيمان ٧/ ١٣٣.

(٦) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٤٧، وقال: حديث منكر.

(٧) المغني ٢/ ١٠٦٤.

(٨) شعب الإيمان ٢/ ٢٠٢.

(٩) دلائل النبوة ٥/ ٢٤٢ ضمن خطبة طويلة خطبها النبي ﷺ في غزوة تبوك.

أيضًا.

قلت: ورواه أيضًا الحكيم في النوادر[١] من حديث ابن مسعود.

(وقال ﷺ لابن مسعود: إن أردتَ أن تلقاني فأكثِرْ من الخوف بعدي)[٢] قال العراقي[٣]: لم أقف له على أصل.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: **(مَن خاف اللهَ دلَّه الخوف علىٰ كل خير)**[٤] أي أرشده إلىٰ كل ما فيه خير إما ظاهرًا وإما باطنًا.

(وقال) أبو بكر **(الشِّبْلي رحمه الله تعالىٰ: ما خفتُ الله يومًا إلا رأيتُ له بابًا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط)**[٥] فالحكمة هي أسرار المعارف المكتوبة، والعِبرة اسم من الاعتبار.

(وقال يحيىٰ بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالىٰ: **(ما من مؤمن يعمل سيئة إلا وتلحقه حسنتان: خوف العقاب ورجاء العفو، كثعلب بين أسدين)**[٦] فإن خاف منها مُحيتْ له، وإن أقدم علىٰ رجائه رُحِم له.

(وفي خبر موسىٰ عليه السلام: وأما الورعون فإنه لا يبقىٰ أحد إلا ناقشتُه الحساب وفتَّشت عمَّا في يديه إلا الورعين فإني أستحي منهم وأُجِلُّهم أن أوقفهم للحساب) كذا في القوت. وروىٰ الحكيم في النوادر[٧] من حديث ابن عباس: «قال الله تعالىٰ: يا موسىٰ، إنه لن يلقاني عبدٌ في حاضر القيامة إلا فتَّشته عمَّا في يديه، إلا ما كان

---

(١) نوادر الأصول ص ٨٦٢.

(٢) أورده الخركوشي في تهذيب الأسرار ص١٤٣، وعنه ينقل الغزالي.

(٣) المغني ٢/ ١٠٦٤.

(٤) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص١٤٣.

(٥) السابق ص١٤٤.

(٦) السابق، ورواه ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ ٢/ ٦٦١ دون قوله (كثعلب بين أسدين).

(٧) نوادر الأصول ص ٧٦٧ - ٧٦٨، ٨٣٣ - ٧٣٤.

من الورعين فإني أستحييهم وأجلُّهم وأُكرِمُهم وأُدخِلُهم الجنة بغير حساب». ولم يتعرَّض له العراقي هنا لكونه من الإسرائيليات وليس من المرفوع، لكن تقدم للمصنف في أوائل الكتاب هذا الخبر بعينه وقال هناك: وفي الخبر .. ثم ساق هذا: وأما الورعون فإني أستحييهم. وقال العراقي هناك: لم أقف له على أصل. وقد دللناك على أصله.

(والورع والتقوىٰ أسامٍ اشتُقَّت من معانٍ شرطُها الخوف، فإن خلت عن الخوف لم تُسَمَّ بهذه الأسامي، وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يخفَىٰ، وقد جعله الله مخصوصًا بالخائفين فقال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ١٠﴾) [الأعلىٰ: ١٠] والخشية من مقامات الخوف، ثم قال: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ١١﴾ [الأعلىٰ: ١١] أي يتجنَّب التذكرةَ الشقيُّ، فجعل مَن عدمَ الخوفَ شقيًّا وحرمه التذكرةَ. فخوف عموم المؤمنين بظاهر القلب عن ظاهر العلم بالعقد، وخوف خصوصهم - وهم الموقنون - بباطن القلب عن باطن العلم بالوجد، فأما خوف اليقين فهو للصدِّيقين من شهداء العارفين عن مشاهدة ما أُمر به من الصفات المخوفة (**وقال تعالىٰ:** ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقال ﷺ: قال الله عَزَّوَجَلَّ: وعزَّتي لا أجمع علىٰ عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فإن أمنني في الدنيا أخفتُه يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمَّنته يوم القيامة) قال العراقي[(١)]: رواه ابن حبان في صحيحه[(٢)] والبيهقي في الشعب[(٣)] من حديث أبي هريرة، ورواه ابن المبارك في الزهد[(٤)] وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسلاً.

---

(١) المغني ٢/ ١٠٦٥.

(٢) صحيح ابن حبان ٢/ ٤٠٦.

(٣) شعب الإيمان ٢/ ٢٢٣.

(٤) الزهد والرقائق ص ٨٥.

قلت: وروىٰ أبو نعيم في الحلية[١] من حديث شداد بن أوس: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: وعزَّتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي». وأما حديث أبي هريرة فقد رواه كذلك ابن المبارك في الزهد، وكلهم من رواية أبي سلمة عنه. ومرسَل الحسن رواه كذلك الحكيم في النوادر[٢]، ولكن لفظه: «يقول الله: وعزتي». وعند ابن عساكر[٣] من حديث أنس: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: وعزَّتي وجلالي وارتفاعي فوق خلقي لا أجمع علىٰ عبدي خوفين، ولا أجمع لعبدي أمنين، فمَن خافني في الدنيا أمنته اليوم، ومَن أمنني في الدنيا أخفته اليوم».

(وقال ﷺ: مَن خاف اللهَ تعالىٰ خافه كلُّ شيء، ومَن خاف غيرَ الله خوَّفه الله من كل شيء) قال العراقي[٤]: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدًّا. ورواه ابن أبي الدنيا[٥] في كتاب الخائفين بإسناد معضل، وقد تقدم.

قلت: ورواه أبو الشيخ[٦] أيضًا من حديث واثلة بلفظ: «مَن خاف اللهَ أخاف اللهُ منه كلَّ شيء، ومَن لم يخَف اللهَ أخافه الله من كل شيء». ورواه الحكيم[٧] بلفظ: «مَن اتَّقىٰ اللهَ أهاب اللهُ منه كلَّ شيء، ومَن لم يتقِ الله أهابه الله من كل شيء». ورواه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم الكرخي في أماليه

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٧٠، ٥/ ١٨٩، ٦/ ٩٨.

(٢) نوادر الأصول ص ١٠٣١.

(٣) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٦٧.

(٤) المغني ٢/ ١٠٦٥.

(٥) ومن طريقه رواه الدولابي في الكنىٰ والأسماء ص ٧٧٢ عن إسماعيل بن عياش قال: حدثنا مشيختنا أن رسول الله ﷺ قال: من خاف الله ... فذكره.

(٦) وكذلك القضاعي في مسند الشهاب ١/ ٢٦٥.

(٧) نوادر الأصول ص ٥٠٨.

والرافعي في تاريخه(١) من حديث ابن عمر.

(وقال ﷺ: أتمُّكم عقلاً أشدكم خوفًا لله تعالىٰ وأحسنُكم فيما أمر الله به ونهىٰ عنه نظرًا) قال العراقي(٢): لم أقف له علىٰ أصل(٣)، ولم يصحَّ في فضل العقل شيءٌ.

(وقال يحيىٰ بن معاذ) الرازي **(رحمه الله تعالىٰ: مسكين ابن آدم، لو خاف النار كما يخاف الفقرَ دخل الجنة)**(٤) نقله القشيري في الرسالة، أي لأن خوفه من الفقر يحمله علىٰ أن يشحَّ بما معه علىٰ نفسه وعياله، ويخلُّ بقيامه بكثير من الواجبات كفرض ولده ووالده وحق زكاته، ويقع في كثير من المحرَّمات لتحصيل المال كالتلبيس والغش في العيوب وتعاطي المعاملات الفاسدة، فلو خاف من النار كما يخاف من الفقر لهرب من أسباب دخولها وتعاطَىٰ أسباب دخول الجنة ولَما غلبت عليه الشهواتُ.

(وقال ذو النون) المصري رحمه الله تعالىٰ: **(مَن خاف اللهَ ذاب قلبُه، واشتد لله حبُّه، وصح له لُبُّه)**(٥) وهو داخل القلب.

(وقال ذو النون أيضًا: ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء) أي في حال

---

(١) التدوين في أخبار قزوين ٢/ ١٨٧.

(٢) المغني ٢/ ١٠٦٥.

(٣) تقدم هذا الحديث في الباب السابع من كتاب كتاب العلم بزيادة: (وإن كان أقلكم تطوعا) وقال العراقي هناك: رواه داود بن المحبر من حديث أبي قتادة. قلت: ومن طريق ابن المحبر رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده (بغية الباحث ص ٨٠٤) ولفظه: قلت: يا رسول الله، أرأيت قول الله ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ما عنىٰ به؟ قال: أيكم أحسن عقلا. ثم قال رسول الله ﷺ: أتمكم عقلا ... فذكره.

(٤) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص١٤٤، ورواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٣١٠.

(٥) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص١٤٥.

صحته وقوة شبابه (**فإذا غلب الرجاءُ**) في القلب (**تشوَّش القلبُ**)[١] أي اضطرب وآلَ أمرُه إلىٰ الفساد. ومثله قول الداراني: إذا غلب الرجاء علىٰ القلب فسد القلبُ[٢].

(**وكان أبو الحسين الضرير**) رحمه الله تعالىٰ (**يقول: علامة السعادة خوف الشقاوة**) أي مخافة أن تدركه (**لأن الخوف زمام بين الله تعالىٰ وبين عبده، فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين**)[٣].

(**وقيل ليحيىٰ بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالىٰ: (**مَن آمَنُ الخلقِ غدًا**)؟ أي مَن أكثرهم أمنًا في يوم القيامة؟ (**فقال: أشدهم خوفًا اليوم**)[٤] أي في الدنيا.

(**وقال**) أبو محمد (**سهل**) التستري رحمه الله تعالىٰ: (**لا تجد الخوف**) أي لا تكون خائفًا خوفًا حقيقيًّا (**حتىٰ تأكل الحلال**)[٥].

وقيل للحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**يا أبا سعيد**) وهي كنية الحسن (**كيف نصنع؟ نجالس أقوامًا يخوِّفوننا حتىٰ تكاد قلوبنا تطير**) أي تزول من مواضعها من شدة الخوف (**فقال**) الحسن: (**واللهِ إنك إن تخالط أقوامًا يخوِّفونك حتىٰ يدركك الأمنُ خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمِّنونك حتىٰ يدركك الخوف**)[٦] فيه استحسان لتغليب جانب الخوف علىٰ الرجاء.

---

(١) السابق.

(٢) نص القشيري في الرسالة: «قال أبو سليمان الداراني: ينبغي للقلب أن لا يكون الغالب عليه إلا الخوف، فإنه إذا غلب الرجاء علىٰ القلب فسد القلب. ثم قال: يا أحمد، بالخوف ارتفعوا، فإن ضيعوه نزلوا».

(٣) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص١٤٥.

(٤) السابق ص١٤٧.

(٥) السابق.

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٢١ - ١٢٢ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٥٠ أن المغيرة بن مخادش سأل الحسن فقال: كيف نصنع ... فذكره.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالىٰ: **(ما فارق الخوفُ قلبًا إلا خربَ)** قال القشيري: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت الحسين بن أحمد الصَّفَّار يقول: سمعت محمد بن المسيب يقول: سمعت هاشم بن خالد يقول: سمعت أبا سليمان الداراني يقول ذلك. والمعنىٰ أن الخوف درجات، ومن انتقل إلىٰ مقام شريف إن لم يحذر ممَّا يفسده عليه أو لا يكمله أو لا يرقِّيه إلىٰ ما هو أعلىٰ منه فسد عليه ما هو فيه، فلا يستغني مقامُ عن الخوف.

(و) قال القشيري في الرسالة: أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي، أخبرنا أحمد بن عبيد، حدثنا محمد بن عثمان، حدثنا القاسم بن محمد، حدثنا يحيىٰ بن يمان، عن مالك بن مغول، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب قال: **(قالت عائشة ﵂: قلت: يا رسول الله)** قوله تعالىٰ: (﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] **أهو الرجل يسرق ويزني)** ويشرب الخمر **(قال: لا، بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدَّق ويخاف أن لا يُقبَل منه)** ففيه دليل علىٰ أن الخوف يكون مع كمال طاعة العبد؛ لكونه لا يعرف صحة عمله ولا قبوله؛ لخفاء ما يطرق الأعمالَ من الآفات.

قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] وابن ماجه[٣] والحاكم[٤] وقال: صحيح الإسناد. قلت: بل منقطع بين عائشة وبين عبد الرحمن بن سعيد بن وهب، قال الترمذي: ورُوي عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة.

---

(١) المغني ٢/ ١٠٦٥.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٢٣٦.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٠٩.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٤٦٣.

قلت: لفظ[١] الترمذي رواه كذلك الفريابي وأحمد[٢] وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين وابن جرير[٣] وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب[٤]. واللفظ الثاني الذي أشار له الترمذي رواه ابن أبي الدنيا وابن جرير[٥] وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه عن أبي هريرة: قالت عائشة: يا رسول الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهم الذين يخطئون ويعملون بالمعاصي – وفي لفظ: هو الذي يذنب الذنب وهو وجِل منه؟ – قال: «لا، ولكنهم الذين يصلُّون ويصومون ويتصدَّقون وقلوبهم وجلة».

(والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر، وكل ذلك ثناء علىٰ الخوف؛ لأن مَذَمَّة الشيء ثناء علىٰ ضده الذي ينفيه، وضد الخوف الأمن، كما أن ضد الرجاء اليأس، وكما دلَّت مَذَمَّة القنوط علىٰ فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الأمن علىٰ فضيلة الخوف المضادِّ له، بل نقول: كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل علىٰ فضل الخوف؛ لأنهما متلازمان، فإنَّ كل مَن رجا محبوبًا فلا بد وأن يخاف فواته، فإن كان لا يخاف فواته فهو إذًا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيًا، فالخوف والرجاء متلازمان، يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخَر) ولفظ القوت في باب الرجاء: ومن علامة صحة الرجاء في العبد كونُ الخوف باطنًا في رجائه؛ لأنه لما تحقَّق برجاء شيء خاف فوتَه لعِظَم المرجوِّ في قلبه وشدة اغتباطه به، فهو لا ينفكُّ في حال رجائه من الخوف لفوت الرجاء **(نعم، يجوز أن يغلب أحدُهما علىٰ الآخَر وهما مجتمعان)** وهذا خلاف ما قاله بعضهم: إنه لا يجوز أن يتغلَّب أحدهما علىٰ الآخَر لاستوائهما في التعلُّق بالأسباب، فتأملْ ذلك **(ويجوز**

---

(١) الدر المنثور ١٠/ ٥٩٩ – ٦٠٠.

(٢) مسند أحمد ٤٢/ ١٥٦، ٤٦٥.

(٣) جامع البيان ١٧/ ٧٠.

(٤) شعب الإيمان ٢/ ٢١٤.

(٥) جامع البيان ١٧/ ٧٠.

أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلىٰ الآخَر في الحال لغفلته عنه، وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلُّقهما بما هو مشكوك فيه) أو مظنون (إذ المعلوم لا يُرجَىٰ ولا يُخاف) كما سبق (فإذًا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة، فتقدير وجوده يروِّح القلبَ وهو الرجاء، وتقدير عدمه يوجع القلبَ وهو الخوف، والتقديران يتقابلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر المنتظَر مشكوكًا فيه. نعم، أحد طرفَي الشك قد يترجَّح علىٰ الآخَر بحضور بعض الأسباب، ويسمَّىٰ ذلك ظنًّا) وهذا هو المراد لغيره، وأما المراد لذاته فإنه مبنيٌّ علىٰ الشك (فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما علىٰ الآخر، فإذا غلب علىٰ الظن وجودُ المحبوب قويَ الرجاءُ) وغلب (وخفيَ الخوفُ بالإضافة إليه، وكذا بالعكس) فهذا معنىٰ غلبة أحدهما علىٰ الآخَر ولو استويا في التعلُّق بالأسباب (وعلىٰ كل حال فهما) وصفان (متلازمان) لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر (ولذلك قال تعالىٰ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال عزوجل: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] ولذلك عبَّر العرب عن الخوف بالرجاء) وسمَّوه به (فقال تعالىٰ) علىٰ هذه اللغة: (﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح: ١٣] أي لا تخافون) لله عظمةً، أجمعوا علىٰ هذا التفسير، وهو مخرَّج علىٰ قولهم: ما لك لا ترجو كذا؟ وهم يريدون: ما لك لا تخاف؟ وهو أيضًا أحد وجهَي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠] أي يخاف من لقائه (وكثيرًا ما ورد في القرآن الرجاء بمعنىٰ الخوف) كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤] أي لا يخافون عقوبات الله. وكذا قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] أي تخافون منه ما لا يخافون (لتلازُمهما) ولولا أنهما كشيء واحد لَما فُسِّر أحدهما بالآخر (إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه) أي من مذهبهم أن الشيء إذا كان لازمًا للشيء أو وصفًا له أو سببًا عنه أن يعبِّروا عنه به، ومَثل أحدهما من الآخَر مَثلُ اليوم من الليلة لمَّا لم ينفكَّ أحدهما عن الآخر

جاز أن يعبَّر عن المدة بأحدهما فيقال: ثلاثة أيام، ويقال: ثلاث ليالٍ، ومنه قوله تعالىٰ مخبرًا عن قصة واحدة: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠﴾ [مريم: ١٠] ثم قال: ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗا﴾ [آل عمران: ٤١] فلمَّا لم يكن اليوم ينفكُّ عن ليلته والليلة لا تنفكُّ عن يومها أخبر عن أحدهما بالآخر؛ لأن أحدهما متصل بصاحبه فصارا كشيء واحد، فكيف وأن الليل والنهار أحدهما لبسة الآخر، مندرج فيه، ولا يظهر إلا أحدهما بحكمة الله تعالىٰ وقدرته؛ لتفاوُت أحكامه فيهما وافتراق إنعامه بهما، فإذا ظهر النهار اندرج الليل فيه بقدرة الله تعالىٰ، وإذا ظهر الليل استتر النهارُ بحكمة الله تعالىٰ، وهو حقيقة إيلاجه أحدهما في الآخَر وتحقيق تكويره أحدهما علىٰ صاحبه، فكذلك حقيقة الرجاء والخوف في معاني الملكوت، إذا ظهر الخوف كان العبد خائفًا وظهرت عليه أحكام الخوف من مشاهدة التجلِّي بوصف المخوف فسُمِّي العبد خائفًا لغلبته عليه، وبطنَ الرجاءُ في خوفه، وإذا ظهر الرجاء كان العبد خائفًا راجيًا وظهرت منه أحكام الرجاء من مشاهدة تجلِّي الربوبية بوصفٍ مرجوٍّ، فوُصِفَ العبد به لأنه الأغلب عليه وبطنَ الخوفُ في رجائه[١] **(بل أقول: كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفضيلة الخشية، فإن البكاء ثمرة الخشية، فقد قال تعالىٰ: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾)** [التوبة: ٨٢] وفي حديث أنس: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا»، وقد سبق **(وقال تعالىٰ)** في وصفه الباكين من العلماء في السجود لمزيد اليقين بالخشوع: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ [الإسراء: ١٠٩] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ٥٩ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ٦٠ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ٦١﴾) أي رافعون رؤوسكم متحيِّرون ﴿فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦٢].

(وقال ﷺ: ما من عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعةٌ وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالىٰ ثم تصيب شيئًا من حُر وجهه إلا حرَّمه الله علىٰ النار)

(١) قوت القلوب ١/ ٣٦١.

قال العراقي[١]: رواه الطبراني[٢] والبيهقي في الشعب[٣] من حديث ابن مسعود بسند ضعيف.

قلت: وروىٰ[٤] ابن النجار من حديث أنس: «ما من عين خرج منها مثل الذباب من الدموع من مخافة الله إلا آمنها اللهُ يوم الفزع الأكبر». وعند الحاكم[٥]: «مَن ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتىٰ يصيب الأرض من دموعه لم يعذِّبه الله يوم القيامة».

(**وقال ﷺ: إذا اقشعرَّ جلدُ المؤمن من خشية الله تحاتَّت عنه خطاياه كما يتحاتُّ عن الشجرة ورقُها**) قال العراقي[٦]: رواه الطبراني والبيهقي[٧] من حديث العباس بسند ضعيف.

قلت: ولفظهما: «جلد العبد»، وفيه: «عن الشجرة البالية ورقها». ورواه كذلك الحكيم في النوادر[٨] وأبو بكر الشافعي[٩] وسمويه في فوائده والخطيب[١٠].

(**وقال ﷺ: لا يَلِجُ النارَ أحدٌ بكىٰ من خشية الله حتىٰ يعود اللبن في الضرع**)

---

(١) المغني ٢/ ١٠٦٦.
(٢) المعجم الكبير ١٠/ ٢٠.
(٣) شعب الإيمان ٢/ ٢٣٦.
(٤) كنز العمال ٣/ ١٤٨.
(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٩٢.
(٦) المغني ٢/ ١٠٦٦.
(٧) شعب الإيمان ٢/ ٢٣٧.
(٨) نوادر الأصول ص ٣٥١، ٥١٠.
(٩) الغيلانيات ص ١٢٨.
(١٠) تاريخ بغداد ٥/ ٩١.

قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] - وقال: حسن صحيح - والنسائي[٣] وابن ماجه[٤] من حديث أبي هريرة.

قلت: وزاد الترمذي والنسائي: «ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخرَي مسلم أبدًا». وقد رواه كذلك أحمد[٥] وهناد[٦] والحاكم[٧] والبيهقي[٨]. وقال القشيري في الرسالة: أخبرنا أبو بكر ابن عبدوس الحيري، أنبأنا أبو بكر ابن دلويه الدَّقَّاق، حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا عامر بن أبي الفرات، حدثنا المسعودي، عن محمد بن عبد الرحمن، عن عيسىٰ بن طلحة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره. وعند البيهقي وحده: «لا يلج النارَ مَن بكىٰ من خشية الله، ولا يدخل الجنة مصرٌّ علىٰ معصية الله، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم».

(وقال عُقبة بن عامر) الجُهَني رضي الله عنه: قلت: **(ما النجاة يا رسول الله؟ قال: أمسِكْ عليك لسانك، وليسعك بيتُك، وابْكِ علىٰ خطيئتك)** رواه ابن أبي الدنيا في الصمت[٩] والترمذي[١٠] وحسَّنه وأبو نعيم في الحلية[١١] والبيهقي في

---

(١) المغني ٢/ ١٠٦٦.

(٢) سنن الترمذي ٣/ ٣٧٢، ٤/ ١٤٤.

(٣) سنن النسائي ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

(٤) لم يذكر ابن ماجه الشطر الأول من الحديث وهو موضع الشاهد، وإنما روىٰ ٤/ ٣٢٠ الشطر الثاني فقط وهو قوله: لا يجتمع غبار ... الخ.

(٥) مسند أحمد ١٦/ ٣٣٠.

(٦) الزهد ١/ ٢٦٨.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٩٢.

(٨) شعب الإيمان ٢/ ٢٣٣، ٢٣٥.

(٩) الصمت وآداب اللسان ص ٤٣.

(١٠) سنن الترمذي ٤/ ٢٠٨.

(١١) حلية الأولياء ٢/ ٩، ٨/ ١٧٥.

الشعب[١]، وقد تقدم في كتاب الصمت. ورواه أحمد[٢] من حديث أبي أمامة، والطبراني[٣] من حديث ابن مسعود، ولفظهما: أملِكْ، بدل: أمسِكْ.

(**وقالت عائشة ﵂: قلت: يا رسول الله، أيدخل أحد من أمَّتك الجنة بغير حساب؟ قال: نعم، مَن ذكر ذنوبه فبكىٰ**) أغفله العراقي[٤].

(**وقال ﷺ: ما من قطرة أحب إلىٰ الله تعالىٰ من قطرة دمع من خشية الله تعالىٰ أو قطرة دم أهريقت في سبيل الله تعالىٰ**) قال العراقي[٥]: رواه الترمذي[٦] من حديث أبي أمامة وقال: حسن غريب. وقد تقدم.

(**وقال ﷺ: اللهم ارزقني عينين هَطَّالتين تشفيان القلب بذروف الدمع**) وفي لفظ: الدموع (**قبل أن تصير**) وفي لفظ: تكون (**الدموع دمًا والأضراس جمرًا**) قال العراقي[٧]: رواه الطبراني في الكبير وفي الدعاء[٨] وأبو نعيم في الحلية[٩] من حديث ابن عمر بإسناد حسن. ورواه الحسين المروزي في زياداته علىٰ الزهد والرقائق[١٠] لابن المبارك من رواية سالم بن عبد الله مرسلاً دون ذِكر أبيه. وذكر الدارقطني في

---

(١) شعب الإيمان ٢/ ٢٣٩.

(٢) مسند أحمد ٣٦/ ٥٧١.

(٣) المعجم الكبير ١٠/ ٢١٠.

(٤) لم يغفله العراقي، وإنما ذكره في المغني ٢/ ١٠٦٦ وقال: «لم أقف له علىٰ أصل».

(٥) المغني ٢/ ١٠٦٧.

(٦) سنن الترمذي ٣/ ٢٩٨، ولفظه: «ليس شيء أحب إلىٰ الله من قطرتين وأثرين: قطرة من دموع في خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله. وأما الأثران: فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله».

(٧) المغني ٢/ ١٠٦٧.

(٨) الدعاء ص ١٤٨٠.

(٩) حلية الأولياء ٢/ ١٩٦ - ١٩٧.

(١٠) الزهد والرقائق ص ١٦٦.

العلل[١] أن مَن قال فيه «عن أبيه» وهمَ، وإنما هو عن سالم بن عبد الله مرسلاً. قال: وسالم هذا يشبه أن يكون سالم بن عبد الله المحاربي، وليس بابن عمر. ا.هـ. وما ذكره من أنه سالم المحاربي هو الذي يدل عليه كلام البخاري في التاريخ[٢] ومسلم في الكنىٰ[٣] وابن أبي حاتم[٤] عن أبيه وأبي أحمد الحاكم، فإنَّ الراوي له عن سالم ثابت بن سرج أبو سلمة، وإنما ذكروا له رواية عن سالم المحاربي، والله أعلم. نعم، حكىٰ ابن عساكر في تاريخه[٥] الخلافَ في أن الذي يروي عنه سالم المحاربي أو سالم بن عبد الله بن عمر.

قلت: وممَّن جزم أنه سالم المحاربي لا ابن عمر أبو زُرعة[٦]، كما هو بخط الحافظ ابن حجر.

(**وقال ﷺ: سبعة يظلُّهم الله يوم لا ظل إلا ظله ... ذكر منهم رجلاً ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**) رواه أحمد والشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة، ورواه الترمذي عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد، ورواه مسلم عنهما معًا، وقد تقدم مِرارًا.

(**وقال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: مَن استطاع أن يبكي فليبكِ، ومَن لم يستطع**

---

(١) العلل ١٢/ ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) التاريخ الكبير ٢/ ١٦٤ - ١٦٥.

(٣) الكنىٰ والأسماء ص ٣٧٩.

(٤) الجرح والتعديل ٢/ ٤٥٣.

(٥) تاريخ دمشق ١١/ ١١٩ - ١٢٣.

(٦) كتاب الضعفاء لأبي زرعة الرازي ٢/ ٣٤٤ - ٣٤٥ (ط - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة)، وعبارته: «ثابت بن سرج الدوسي مجهول، لا أعرفه إلا في حديث رواه عنه الوليد بن مسلم عن سالم، ولا أحسبه ابن عبد الله بن عمر، هو عندي لسالم بن عبد الله المحاربي أشبه، وإن كان مرسلا».

فليتباكَ)[١] أي ليتكلَّف البكاء.

(وكان) أبو[٢] عبد الله **(محمد بن المنكدِر)** بن عبد الله بن الهُذَير التيمي، من حفَّاظ التابعين، مات سنة ثلاثين ومائة عن نيِّف وسبعين سنة، روىٰ له الجماعة، قال ابن حبان[٣]: من سادات القرَّاء، لا يتمالك من البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ **(إذا بكىٰ مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعًا مسَّته الدموعُ**[٤]**)**.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلمَ أحدُكم لصرخ حتىٰ ينقطع صوته، وصلىٰ حتىٰ ينكسر ظهره) رواه أحمد في الزهد: حدثنا وكيع، حدثنا عبد الجبار بن الورد، عن ابن أبي مُلَيكة، عن عبد الله بن عمرو قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا، ولو تعلمون حق العلم لصرخ أحدكم حتىٰ ينقطع صوته، ولسجد حتىٰ ينقطع صلبه. ورواه أبو نعيم في الحلية[٥] من طريقه. وروىٰ[٦] من طريق قسامة بن زهير قال: خطبنا أبو موسىٰ الأشعري بالبصرة فقال: أيها الناس، ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون الدموع حتىٰ تنقطع، ثم يبكون الدماء حتىٰ لو أُرسِلت فيها السفن لجرت.

(وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ: ما تغرغرت عينٌ بمائها إلا لم

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٧٩، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٤٠، والخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ٢٧٣.

(٢) تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٠٣ - ٥٠٩.

(٣) الثقات ٥/ ٣٥٠.

(٤) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٢٦٩ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/ ٥٠ عن سفيان بن عيينة.

(٥) حلية الأولياء ١/ ٢٨٩.

(٦) السابق ١/ ٢٦١، ٣/ ١٠٣.

يرهق وجهَ صاحبها قَتَرٌ ولا ذلَّةٌ يوم القيامة، فإن سالت دموعه أطفأ الله بأول قطرة منها بحارًا من النيران، ولو أن رجلاً بكىٰ في أمَّة ما عُذِّبت تلك الأمَّة)[١] نقله صاحب القوت. أي إذا كان بكاؤه من خشية الله تعالىٰ.

(**وقال أبو سليمان**) رحمه الله تعالىٰ أيضًا: (**البكاء من الخوف**) أي منشؤه منه؛ لأنه إنما يخاف أن يحلَّ به مكروه أو يفوته محبوب، كما تقدم، فمنه يحصل البكاء (**والرجاء من الطرب والشوق**)[٢] لِما يؤمِّله في الاستقبال.

(**وقال كعب الأحبار**) رحمه الله تعالىٰ: (**والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله حتىٰ تسيل دموعي علىٰ وجنتي أحب إليَّ من أن أتصدَّق بجبل من ذهب**) أخرجه أبو نعيم في الحلية[٣].

(**وقال عبد الله بن عمر**) بن الخطاب[٤] (ﷺ: **لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إليَّ من أن أتصدَّق بجبل من ذهب**[٥]) وفي لفظ: بألف دينار. أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**ورُوي عن**) أبي[٦] رِبْعي (**حنظلة**) بن الربيع بن صيفي بن رياح بن

---

(١) هذا الأثر روي مرفوعا، فرواه عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ١٨٩ ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٤٢ عن مسلم بن يسار مرسلا. ورواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص ٤٧ عن النضر بن سعيد مرسلا أيضا. ورواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٩٧ من حديث ابن مسعود. ورواه ابن عدي في الكامل ٢/ ٥١٥ من حديث أنس بن مالك. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٤٢ من قول الحسن البصري.

(٢) في الجميع: والرجاء والطرب من الشوق.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٣٦٦.

(٤) بل هو عبد الله بن عمرو بن العاص، كما رواه عنه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٥٣، والرافعي في التدوين ٢/ ٢٨٥.

(٥) في الجميع: أتصدق بألف دينار.

(٦) تهذيب الكمال للمزي ٧/ ٤٣٨ - ٤٤٣. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٦/ ١٧٢، ٨/ ١٧٧. تاريخ دمشق لابن عساكر ١٥/ ٣٢٢ - ٣٢٩.

الحارث بن معاوية بن مجاشع التميمي الأُسَيِّدي، المعروف بالكاتب، أخو رياح بن الربيع، وابن أخي أكثم بن صيفي حكيم العرب، نزل الكوفة، ثم انتقل إلىٰ قرقيسياء، له ولأخيه صحبة. قال الواقدي: كتب للنبي ﷺ مرةً كتابًا، فسُمِّي بذلك الكاتب، وكانت الكتابة في العرب قليلة. وقال ابن البرقي: سُمِّي الكاتب لأنه كتب للنبي ﷺ الوحي، وتوفي بعد علي، وكان معتزلاً للفتنة حتىٰ مات، جاء عنه حديثان. روىٰ له مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه (**قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فوعظنا موعظةً رقَّت لها القلوبُ، وذرفت منها العيونُ**) أي سالت دموعها (**وعزفنا أنفسنا**) أي كرهناها (**فرجعت إلىٰ أهلي، فدنت مني المرأة، وجرىٰ بيننا من حديث الدنيا، فنسيتُ ما كنت عليه عند رسول الله ﷺ، وأخذنا في الدنيا، ثم تذكَّرت ما كنت فيه فقلت في نفسي: قد نافقت حتىٰ تحوَّل عني ما كنت فيه من الخوف والرقَّة، فخرجت وجعلت أنادي: نافق حنظلة، فاستقبلني أبو بكر الصدِّيق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فأخبرته الخبر (**فقال: كلاًّ، لم ينافق حنظلة. فدخلت علىٰ رسول الله ﷺ وأنا أقول: نافق حنظلة. فقال رسول الله ﷺ: كلاًّ لم ينافق حنظلة. فقلت: يا رسول الله، كنا عندك، فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوبُ، وذرفت منها العيون، وعزفنا أنفسنا، فرجعت إلىٰ أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه. فقال: يا حنظلة، لو أنكم كنتم أبدًا علىٰ تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلىٰ فُرُشكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**) قال العراقي[1]: رواه مسلم[2] مختصرًا.

قلت: ولفظه: حدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ التيمي وقَطَن بن نُسَير - واللفظ ليحيىٰ - أخبرنا جعفر بن سليمان، عن سعيد بن إياس الجُرَيري، عن أبي عثمان النَّهْدي، عن حنظلة الأسيدي - قال: وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ - قال: لقيني أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلةُ. قال: سبحان الله!

---

(١) المغني ٢/ ١٠٦٨.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٦٠ - ١٢٦١.

ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكِّرنا بالنار والجنة كأنَّا رأي عينٍ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا. قال أبو بكر: فواللهِ إنَّا لَنلقىٰ مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتىٰ دخلنا علىٰ رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك»؟ قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكِّرنا بالجنة والنار كأنَّا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده أن لو تدومون علىٰ ما تكونون عندي وفي الذِّكر لصافحتكم الملائكة علىٰ فُرُشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات.

(فإذًا كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوىٰ والورع وفضل العلم ومَذَمَّة الأمن فهو دلالة علىٰ فضل الخوف؛ لأن جملة ذلك متعلق به إما تعلُّق السبب أو تعلُّق المسبب) وهذه عباراتهم في الخوف: قال القشيري في الرسالة: سمعت أبا علي الدَّقَّاق يقول: الخوف علىٰ مراتب: الخوف والخشية والهيبة، فالخوف من شرط الإيمان وقضيَّته، قال الله تعالىٰ: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥] والخشية من شرط العلم، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ﴾ [فاطر: ٢٨] والهيبة من شرط المعرفة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: ٢٨، ٣٠]. وقال أبو القاسم الحكيم: الخوف علىٰ ضربين: رهبة وخشية، فصاحب الرهبة يلتجئ إلىٰ [الهرب إذا خاف، وصاحب الخشية يلتجئ إلىٰ] الرب إذا خاف، ورهبَ وهربَ يصح أن يقال هما واحد مثل جذب وجبذ، فإذا هرب انجذب في مقتضَىٰ هواه كالرهبان الذين اتَّبعوا أهواءهم، فإذا كبحهم لِجامُ العلم وقاموا بحق الشرع فهو الخشية. وقال أبو حفص: الخوف سراج القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر. سمعت أبا علي الدَّقَّاق يقول: الخوف أن لا تعلِّل نفسَك بعسىٰ وسوف. وقال أبو عمرو الدمشقي: الخائف من يخاف من نفسه أكثر ممَّا يخاف من الشيطان. وقال ابن الجلاء: الخائف مَن يأمن المخوفات. وقيل

للفضيل: ما لنا لا نرىٰ خائفًا؟ فقال: لو كنت خائفًا لرأيت الخائفين، إن الخائف لا يراه إلا الخائفون، وإن الثَّكْلَىٰ تحب أن ترىٰ الثكلىٰ. وقال شاه الكِرْماني: علامة الخوفِ الحزنُ الدائم. وقال معاذ بن جبل: إن المؤمن لا يطمئن قلبه ولا يسكن روعه حتىٰ يخلف جسر جهنم خلفه(١). وقال بشر الحافي: الخوف ملك لا يسكن إلا في قلب متَّقٍ(٢). وقال أبو عثمان الحيري: عيب الخائف في خوفه السكونُ [إلىٰ خوفه] لأنه أمرٌ خفيٌّ. وقال النوري: الخائف يهرب من ربه إلىٰ ربه. وقال بعضهم: علامة الخوف التحيُّر [والوقوف] علىٰ باب الغيب. وقال الجنيد: الخوف توقُّعُ العقوبة مع مجاري الأنفاس. وقال أبو سليمان الداراني: ما فارق الخوفُ قلبًا إلا خربَ. وقال أبو عثمان: صِدقُ الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرًا وباطنًا. وقال ذو النون: الناس علىٰ الطريق ما لم يُزُلْ عنهم الخوفُ، فإذا زال عنهم الخوف ضلُّوا عن الطريق. وقال حاتم الأصم: لكل شيء زينة، وزينة العبادة الخوف، وعلامة الخوف قِصَر الأمل. وقال رجل لبشر: أراك تخاف الموت. فقال: القدوم علىٰ الله شديد. وقال ابن المبارك: الذي يهيِّج الخوفَ حتىٰ يسكن في القلب دوامُ المراقبة في السر والعلانية. وقيل: الخوف: قوة العلم بمجاري الأحكام. وقيل: الخوف: حركة القلب من جلال الرب. وقال الحسين(٣): مَن خاف من شيء سوىٰ الله أو رجا سواه أغلق عليه أبواب كل شيء، وسلَّط عليه المخافة، وحجبه بسبعين حجابًا أيسرها الشك، وإن ممَّا أوجب شدةَ خوفهم فكرهم في العواقب وخشية تغيُّر أحوالهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر: ٤٧].

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين ٤/ ٣٥٥ وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢٦، ١٠/ ٣١ مرفوعا من حديث معاذ.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الهم والحزن ص ٩٦ بلفظ: «الحزن ملك لا يسكن إلا قلبا مطهرا، وهو أول درجة من درجات الآخرة».

(٣) في الرسالة: الحسين بن منصور. وهو المعروف بالحلاج.

بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما

(اعلمْ) هداك الله تعالىٰ (أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت، وربما ينظر الناظر إليها فيعتريه شكٌّ في أن الأفضل أيهما، وقول القائل: الخوف أفضل أم الرجاء؟ سؤال فاسد) فإن أعمال المقامات إذا اتَّحدت فلا يصح التفاضُل فيها إلا بأسبابها وأحوالها التي هي حوادث علىٰ الأعمال، بل (يضاهي) قولُه (قولَ القائل: الخبز أفضل أم الماء؟ وجوابه أن يقال: الخبز أفضل للجائع، والماء أفضل للعطشان، فإن اجتمعا نُظر إلىٰ الأغلب، فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل، وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل، وإن استويا فهما متساويان. وهذا لأن كل ما يُراد لمقصود ففضلُه يظهر بالإضافة إلىٰ مقصوده لا إلىٰ نفسه، والخوف والرجاء دواءان تُداوَىٰ بهما القلوب، ففضلهما بحسب الداء الموجود، فإن كان الغالب علىٰ القلب داء الأمن من مكر الله تعالىٰ والاغترار به فالخوف أفضل، وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله تعالىٰ فالرجاء أفضل، وكذلك إن كان الغالب علىٰ العبد المعصية فالخوف أفضل. ويجوز أن يقال مطلقًا: الخوف) الذي يُراد لذاته هو (أفضل) مطلقًا (علىٰ التأويل الذي يقال فيه: الخبز أفضل من السكنجبين؛ إذ يعالَج بالخبز مرض الجوع، وبالسكنجبين مرض الصفراء، ومرض الجوع أغلب وأكثر، فالحاجة إلىٰ الخبز أكثر فهو أفضل، فبهذا الاعتبار غلبةُ الخوف أفضل؛ لأن المعاصي والاغترار علىٰ الخلق أغلب) فالخوف يربط زمام ابتهاج المحبِّين وانبساطهم من الإفراط إلىٰ الاعتدال (فإن نظر إلىٰ مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل؛ لأنه مستقّىٰ من بحر الرحمة، ومستقَىٰ الخوف من بحر الغضب، و) شتَّان بينهما؛ لأن (مَن لاحظ من صفات الله تعالىٰ ما يقتضي اللطفَ والرحمة كانت المحبة عليه أغلب) وموجِبات الرحمة في الوجود أكثر من موجِبات الغضب

(وليس وراء المحبة مقام) لأنها من الغايات **(وأما الخوف فمستنده الالتفات إلىٰ الصفات التي تقتضي العنفَ، فلا تمازجه المحبةُ ممازجتها للرجاء. وعلىٰ الجملة، فما يُراد لغيره ينبغي أن يُستعمَل فيه لفظ «الأصلح» لا لفظ «الأفضل»، فنقول: أكثر الخلق الخوفُ لهم أصلح من الرجاء، وذلك لأجل غلبة المعاصي)** وكثرة الاغترار **(فأما التقيُّ الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيَّه وجليَّه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه، ولذلك قيل: لو وُزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا)**[١] هو قول مطرِّف بن عبد الله، رواه أبو نعيم في الحلية[٢]: حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا سفيان قال: قال مطرف: لو وُزِنَ خوف المؤمن ورجاؤه لوُجِدا سواء لا يزيد أحدهما علىٰ صاحبه.

(ورُوي أن عليًّا كرَّم الله وجهه قال لبعض ولده) يعظه: **(يا بني، خَفِ اللهَ خوفًا ترىٰ أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبَّلها منك، وارْجُ اللهَ رجاءً ترىٰ أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك)** وكما أوصىٰ لقمان ابنه فقال: يا بني، خف اللهَ خوفًا لا تيأس فيه من رحمته، وارْجُه رجاءً لا تأمن فيه مكره - وفي لفظ آخر: وارْجُه رجاءً أشد من خوفك - فقال: وكيف أستطيع ذلك؟ وإنما لي قلب واحد. قال: أما علمتَ أن المؤمن كذي قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر[٣]؟ وفي القوت: وكان علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: عليكم بالنمط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع عنه الداني[٤]. وهذا قول فصل، غير شطط ولا هزل، وهو طريق أهل السنَّة

---

(١) أورده الطوسي في اللمع ص٩١ مرفوعًا بلفظ الغزالي، والخركوشي في تهذيب الأسرار ص١٤٣ بلفظ: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه ما مال أحدهما بصاحبه».

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٠٨.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢٧٣ وأحمد في الزهد ص ٨٨ والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٣٨ وهناد في الزهد ١/ ٣٠٦ عن عون بن عبد الله. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله ص ٨٢ عن داود بن شابور المكي.

(٤) تقدم هذا الأثر في الباب السادس من كتاب العلم.

ومذهب أولي المعرفة، فصِدقُ الرجاء واعتدال الخوف من حقيقة العلم بالله، والمؤمن حقًّا هو المعتدل بين الرجاء والخوف.

(**ولذلك قال عمر** رضي الله عنه**: لو نودي: ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحدًا، لخشيتُ أن أكون أنا ذلك الرجل، ولو نودي: ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحدًا لرجوتُ أن أكون أنا ذلك الرجل**) رواه أبو نعيم في الحلية[1] عن محمد بن معمر، حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحَرَّاني، حدثنا يحيىٰ بن عبد الله البابلتي، حدثنا الأوزاعي، حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير، عن عمر بن الخطاب قال: لو نادىٰ منادٍ من السماء: أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحدًا لخِفتُ أن أكون أنا هو، ولو نادىٰ منادٍ: أيها الناس إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحدًا لرجوت أن أكون أنا هو.

(**وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن علىٰ سبيل التقاوُم والتساوي**) لأنهما لا يُبنَيان علىٰ سابقة ولا وسيلة، بل علىٰ كمال العلم والإرادة بخفيِّ المكر والألطاف، والشك فيما يصدر عنهما متساوٍ فلا يغلب أحدهما الآخر (**فأما العاصي إذا ظن أنه الرجل الذي استُثني من الذين أُمِروا بدخول النار كان ذلك دليلاً علىٰ اغتراره.**

فإن قلت: مثل عمر رضي الله عنه **لا ينبغي أن يساوي خوفُه رجاءه، بل ينبغي أن يغلب رجاؤه، كما سبق في أول كتاب الرجاء، وأن قوَّته ينبغي أن تكون بحسب قوة أسبابه، كما مُثِّلَ بالبذر والزرع**) ومر في كتاب الرجاء (**ومعلوم أن مَن بث البذر الصحيح**) عن التسويس (**في أرض نقيَّة**) صالحة (**وواظب علىٰ تعهُّدها**) ومراعاتها (**وجاء بشروط الزراعة جميعها غلب علىٰ قلبه رجاءُ الإدراك ولم يكن خوفه مساويًا لرجائه، فهكذا ينبغي أن تكون أحوال المتقين. فاعلمْ أن مَن يأخذ المعارف من الألفاظ والأمثلة يكثُر زَلَلُه**) أي خطأه (**وذلك وإن أوردناه مثالاً فليس يضاهي**

(١) حلية الأولياء ١/ ٥٣.

ما نحن فيه من كل وجه؛ لأن سبب غلبة الرجاءِ العلمُ الحاصل بالتجربة؛ إذ عُلم بالتجربة صحة الأرض ونقاؤها) عن المؤذيات (وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها. وإنما مثال مسألتنا بذرٌ لم يجرَّب جنسه وقد بُثَّ في أرض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها، وهي في بلاد ليس يدري أتكثر بها الصواعقُ أم لا، فمثل هذا الزارع وإن أدَّىٰ كُنْهَ مجهوده) أي خالصه (وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه علىٰ خوفه. والبذر في مسألتنا هو الإيمان، وشروط صحته دقيقة، والأرض القلب، وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفيِّ والنفاق والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة، والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا، والتفات القلب إليها في مستقبل الزمان وإن سلمَ في الحال فذلك ممَّا لا يتحقق ولا يُعرَف بالتجربة؛ إذ قد يَعرِض من الأسباب ما لا تُطاق مخالفته ولم يجرَّب مثله، والصواعق هي أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده، وذلك ممَّا لم يجرَّب مثله، ثم الحصاد والإدراك عند المنصرَف من القيامة إلىٰ الجنة، وذلك ممَّا لا يجرَّب[1]، فمَن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضعيف القلب جبانًا في نفسه غلب خوفه علىٰ رجائه لا محالة، كما سنحكي في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين) ومَن بعدهم (وإن كان قويَّ القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوىٰ خوفه ورجاؤه) فصار في الاعتدال (فأما أن يغلب رجاؤه) علىٰ خوفه (فلا. ولقد كان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يبالغ في تفتيش قلبه حتىٰ كان يسأل حذيفة) بن اليمان (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئًا؟ إذ كان رسول الله ﷺ قد خصَّه بعلم المنافقين) قال العراقي[2]: روىٰ مسلم[3] من حديث حذيفة: «في أصحابي اثنا عشر منافقًا، ثمانية

---

(١) في الجميع: وذلك لم يجرب.

(٢) المغني ٢/ ١٠٦٨.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢٨٢. وفي رواية له: «في أمتي اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتىٰ يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة، سراج من النار يظهر في أكتافهم حتىٰ ينجم من صدورهم».

لا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل في سَمِّ الخِياط ...» الحديث.

قلت: ورواه كذلك أحمد(١).

(فمَن ذا الذي يقدر علىٰ تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفيِّ؟ وإن اعتقد نقاءَ قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالىٰ بتلبيس حاله عليه وإخفاء عيبه عنه؟ وإن وثقَ به فمن أين يثق ببقائه علىٰ ذلك إلىٰ تمام حُسن الخاتمة؟ وقد قال ﷺ: إن الرجل لَيعملُ عمل أهل الجنة خمسين سنة) حتىٰ يقال إنه من أهل الجنة. وفي لفظ: **(حتىٰ لا يبقىٰ بينه وبين الجنة إلا شبر. وفي رواية: إلا قدْر فواق ناقة، فيسبق عليه الكتاب فيُختَم له بعمل أهل النار)** هكذا هو في القوت، وقد سبق ذِكره قريبًا. وقال العراقي(٢): روىٰ مسلم(٣) من حديث أبي هريرة: «إن الرجل لَيعملُ الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يُختَم له عمله بعمل أهل النار». [وللبزار(٤)] والطبراني في الأوسط(٥): سبعين سنة. وإسناده حسن. وللشيخين(٦) في أثناء حديث لابن مسعود: «إن أحدكم لَيعملُ بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ...» الحديث، ليس فيه [تقدير] زمن العمل بخمسين سنة، ولا ذِكر شبر ولا فُواق ناقة.

قلت: وتمام حديث أبي هريرة: «فيجعله من أهل النار، وإن الرجل لَيعملُ الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم الله عمله بعمل أهل الجنة فيجعله الله من أهل الجنة فيدخله الجنةَ». ورواه كذلك أحمد(٧).

---

(١) مسند أحمد ٣١/ ١٨١، ٣٨/ ٣٤٥.

(٢) المغني ٢/ ١٠٦٨.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢٢٣.

(٤) مسند البزار ١٥/ ١٩.

(٥) المعجم الأوسط ٣/ ٥٣، ٢٢٩.

(٦) صحيح البخاري ٢/ ٤٢٤، ٤٥١، ٤/ ٢٠٨، ٣٩٦. صحيح مسلم ٢/ ١٢٢٠.

(٧) مسند أحمد ١٦/ ١٩٧.

(**وقدْر فواق الناقة**) وكذا الشبر (**لا يحتمل عملاً**) أي لا يتأتّىٰ في هذا المقدار من الوقت شيءٌ من عمل الجسم (**بالجوارح، إنما هو**) من أعمال القلوب بمشاهدة العقول (**بمقدار خاطرٍ يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمةَ السوء**) وذلك هو شرك التوحيد الذي لم يكن [متحقّقًا به، وشكٌّ في اليقين الذي لم يكن] في الحياة الدنيا مشاهدًا له، فظهر له بيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفُه وبدت فيه حالُه، كما تظهر له أعماله السيئة فيستحليها قلبُه أو ينطق بها لسانه أو يخامرها وجدُه، فتكون هي خاتمته التي تخرج عليها روحه، وذلك هو سابقته التي سبقت له من الكتاب، كما قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الأعراف: ٣٧] ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ [هود: ١٠٩] (**فكيف يؤمن ذلك؟ فإذًا أقصىٰ غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه، و**) أما (**غلبة الرجاء في غالب الناس تكون مستندة للاغترار وقلة المعرفة، ولذلك جمع الله بينهما في وصفِ مَن أثنىٰ عليهم فقال تعالىٰ**: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾) [السجدة: ١٦] والطمع هو الرجاء (**وقال** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾) [الأنبياء: ٩٠] والرغبة من الرجاء، والرهبة من الخوف (**وأين مثل عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) في قوته وثباته (**فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الأصلح لهم غلبة الخوف**) علىٰ الرجاء (**بشرط أن لا يخرجهم إلىٰ اليأس**) من رَوْح الله (**وتركِ العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببًا للتكاسل عن العمل وداعيًا إلىٰ الانهماك في المعاصي، فإنَّ ذلك قنوط**) وهو كفرٌ (**وليس بخوف، وإنما الخوف هو الذي يحثُّ علىٰ العمل ويكدِّر جميعَ الشهوات**) ويستأصلها (**ويزعج القلب عن الركون إلىٰ الدنيا**) أي المَيل إليها (**ويدعوه إلىٰ التجافي عن دار الغرور**) وإذا تحقق ذلك (**فهو الخوف المحمود**) شرعًا (**دون حديث النفس الذي لا يؤثِّر في الكف**) عن المنهيّات (**والحث**) علىٰ المأمورات (**ودون اليأس الموجِب للقنوط، وقد قال يحيىٰ بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالىٰ: (**مَن عبد اللهَ تعالىٰ بمحض الخوف**) أي دون الرجاء (**غرق في بحار الأفكار**) إذ الخوف يحمله

إلىٰ كل وادٍ (**ومَن عبده بمحض الرجاء**) أي دون الخوف (**تاه في مفاوز الاغترار، ومَن عبده بالخوف والرجاء استقام في مَحَجَّة الأذكار**) نقله صاحب القوت.

(**وقال مكحول الدمشقي**) هكذا في سائر النسخ، ولفظ القوت: وقال مكحول النسفي في معناه إلا أنه أفرط فيه: (**مَن عبد اللهَ بالخوف فهو حروري، ومَن عبده بالرجاء فهو مرجئ، ومَن عبده بالمحبة فهو زنديق**) كذا في النسخ، ولفظ القوت: فهو جهميٌّ. أي يتجهَّم عليه بالمقال ويتجاوز الحدَّ في الأفعال (**ومَن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحِّد**)[1] شبَّه هذه المقامات من معاني المقالات للمبالغة من طريق المعنىٰ لا علىٰ التحقيق، أي إنه إذا انفرد بحال منها لا بد وأن يخرج عن معيار علم أو عن سنَّة أو معروف أو معتاد مألوف، فإذا جمعها فقد استقام علىٰ العلم والسنَّة، وهو وصفُ العالِم العارف الظاهري الباطني (**فإذًا لا بد من الجمع بين هذه الأمور، وغلبة الخوف هو الأصلح، ولكن**) عند صحة طواعيته، وذلك إلىٰ (**قبل الإشراف علىٰ الموت، أما عند الموت**) وشدة المرض (**فالأصلح**) في حقه (**تغليب**) جانب (**الرجاء وحُسن الظن**) بالله تعالىٰ (**لأن الخوف**) كما سبق (**جارٍ مَجرىٰ السوط الباعث علىٰ العمل**) بالجوارح (**وقد انقضىٰ وقتُ العمل، فالمشرف علىٰ الموت لا يقدر علىٰ العمل**) ولا يتأتَّىٰ منه (**ثم**) هو (**لا يطيق أسباب الخوف، فإنَّ ذلك يقطع نِياط قلبه**) وهو بكسر النون: عِرق معلَّق به القلب (**ويعين علىٰ تعجيل موته، وأما روح الرجاء فإنه يقوِّي قلبَه ويحبِّب إليه ربَّه الذي إليه رجاؤه، ولا ينبغي أن يفارق أحدٌ الدنيا إلا محبًّا لله تعالىٰ؛ ليكون محبًّا للقاء الله تعالىٰ، فإنَّ مَن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**) ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه، كما ورد ذلك في الخبر، وتقدم (**والرجاء تقارنه المحبةُ، فمَن ارتجَىٰ كرمه فهو محبوب، والمقصود من العلوم**) والمعارف (**والأعمال كلِّها معرفة الله تعالىٰ**) وإليه يشير تفسير ابن عباس للعبادة بها (**حتىٰ تثمر**) تلك (**المعرفةُ المحبةَ**) المحضة (**فإن المصير إليه،**

---

(١) انظر: فتاوىٰ السبكي ٢/ ٥٥٥.

والقدوم بالموت عليه، و) لا يخفَىٰ أنه (مَن قدم علىٰ محبوبه عظُمَ سروره) وذلك (علىٰ قدر محبَّته) من قبل (ومَن فارق محبوبَه اشتدت محنتُه وعذابه، فمهما كان الغالب علىٰ القلب عند الموت حب الأهل والمال والولد والمسكن والعقار والرفقاء والأصحاب) وبالجملة كل ما يشغله عن الله تعالىٰ (فهذا رجل محابُّه كلها في الدنيا، فالدنيا إذًا جنَّته) التي يتمتَّع بها (إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المَحابِّ، فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه، ولا يخفَىٰ حالُ مَن يُحال بينه وبين ما يشتهيه) فإنه يتكدَّر عيشُه، ولا يصفو خاطرُه (فأما إذا لم يكن له محبوب سوىٰ الله تعالىٰ وسوىٰ ذِكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب، فالدنيا إذًا سجنه؛ إذ السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الانسراح إلىٰ مَحابِّه، فموته قدومٌ علىٰ محبوبه وخلاص من السجن، ولا يخفَىٰ حال مَن أفلت من السجن وخُلِّي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدِّر) وهذا هو معنىٰ الخبر السابق ذِكره: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (فهذا أول ما يلقاه كلُّ مَن فارق الدنيا عقب موته من الثواب والعقاب فضلاً عمَّا أعدَّه الله لعباده الصالحين ممَّا لم تره عينٌ[1] ولا خطرَ علىٰ قلب بشر) كما في خبر أبي هريرة (وفضلاً عمَّا أعدَّه الله للذين استحبُّوا الحياة الدنيا علىٰ الآخرة ورضوا بها واطمأنُّوا إليها من الأنكال والسلاسل والأغلال وضروب الخزي والنَّكال، فنسأل الله تعالىٰ أن يتوفَّانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين) من عباده (ولا مَطمع في إجابة هذا الدعاء إلا باكتساب حب الله تعالىٰ، ولا سبيل إليه إلا بإخراج حب غيره) من كل ما يشغله عنه (من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوىٰ الله تعالىٰ من جاه ومال ووطن) وأهل وأصحاب (فالأولىٰ أن ندعو بما دعا به نبيُّنا ﷺ؛ إذ قال: اللهم ارزقني حبَّك، وحب مَن أحبَّك، وحب ما يقرِّبني إلىٰ حبك، واجعلْ حبك أحب إليَّ من الماء البارد) رواه الترمذي من حديث أبي الدرداء، وقد تقدم في كتاب

---

(١) زاد في طبعتي الشعب والمنهاج ٧/ ٥٤٧: ولم تسمعه أذن.

الأذكار والدعوات.

(**والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح؛ لأنه أجلب للمحبة**) والأنس (**وغلبة الخوف قبل الموت أصلح؛ لأنه أحرَقُ لنار الشهوات وأقمع لمحبة الدنيا عن القلب، ولذلك قال ﷺ: لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظنَّ بربِّه**) رواه مسلم من حديث جابر، وقد تقدم قريبًا.

(**وقال**) ﷺ: قال (**الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء**) رواه ابن أبي الدنيا والحاكم وابن حبان وابن عدي والطبراني والحكيم والبيهقي وتمام، كلهم من حديث واثلة، وقد تقدم قريبًا في فضيلة الرجاء.

(**ولما حضرت سليمانَ**) بن طَرْخان (**التيمي الوفاةُ**) ولفظ القوت: ولمَّا احتضر سليمان التيمي (**قال لابنه: يا بني، حدِّثْني بالرُّخَص واذكرْ لي الرجاء حتىٰ ألقىٰ اللهَ علىٰ حُسن الظن به**) كذا في القوت، وابنه هو المعتمر بن سليمان. وهذا قد أخرجه المِزِّي في التهذيب[1] بسنده إلىٰ المعتمر قال: قال لي أبي عند موته: يا معتمر، حدِّثْني بالرُّخَص لعلِّي ألقىٰ اللهَ تعالىٰ وأنا حَسن الظن به[2]. قال ابن سعد[3]: كان سليمان من العُبَّاد المجتهدين، وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد فيصلِّيان في هذا المسجد مرةً وفي هذا المسجد مرةً حتىٰ يصبحا.

(**وكذلك لما حضرت سفيانَ الثوري الوفاةُ واشتد جزعه جمع**) ولفظ القوت: وكذلك لمَّا حضرت الثوريَّ الوفاةُ جعل (**العلماء حوله يرجُّونه.**

و) كذلك (**قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالىٰ لابنه**) عبد الله (**عند الموت:**

---

(١) تهذيب الكمال ١٢/ ١٢.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٣١، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣١٩، وابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله ص ٢٧.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ٩/ ٢٥١ - ٢٥٢.

اذكرْ لي الأخبار التي فيها الرجاء وحُسن الظن) فلولا أن الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في آخر الأوقات عند فراق العمر ولقاء المولىٰ لتكون الخاتمة به، وهم يسألون الله حُسن الخاتمة طول الحياة.

(والمقصود من ذلك كله أن يحبِّب الله تعالىٰ إلىٰ نفسه، ولذلك أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ داود عليه السلام **أن: حبِّبْني إلىٰ عبادي. فقال: بماذا؟ قال: بأن تذكر لهم آلائي ونعمائي)** تقدم ذِكرُه قريبًا.

(فإذًا غاية السعادة) ونهاية الفوز **(أن يموت العبد)** حالةَ كونه **(محبًّا لله تعالىٰ)** أي يفارق هذا العالَمَ وهو متَّصف بهذا الوصف **(وإنما تحصل المحبة بالمعرفة)** فإنَّ مَن لم يعرف كيف يحب **(وبإخراج حب الدنيا من القلب)** بأن لا يميل إليها باطنًا، وإن كان لا بد له منها في الظاهر بحسب عروض الحاجات الضرورية **(حتىٰ تصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب)** أي من وصاله ومشاهدته وملاقاته **(ولذلك رأىٰ بعض الصالحين أبا سليمان الداراني)** رحمه الله تعالىٰ **(في المنام وهو يطير)** في الهواء **(فسأله)** عن حاله **(فقال: الآن أفلتُّ)** أي خلصت من السجن **(فلما أصبح سأل عن حاله، فقيل له: إنه مات البارحة)** فدلَّت رؤياه علىٰ أنه كان محبوسًا كالطير في القفص، فلما مات وصل إلىٰ مطلوبه كما يفلت الطير بعد حبسه. والله الموفِّق.

بيان الدواء الذي به يُستجلَب حال الخوف

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ (أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كافٍ في هذا الغرض؛ لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء؛ لأن أول مقامات الدين) هو (اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالىٰ واليوم الآخر والجنة والنار) وله درجات ومراتب قد تقدم ذِكرُها في كتاب العلم (وهذا اليقين بالضرورة يهيِّج الخوفَ من النار و) يثير (الرجاء للجنة، والرجاء والخوف يقوِّيان علىٰ الصبر، فإن الجنة قد حُفَّت بالمكاره) أي شدائد الأمور ممَّا تكرهه النفوس (فلا يصبر علىٰ تحمُّلها إلا بقوة الرجاء، والنار قد حُفَّت بالشهوات) أي المَلاذِّ النفسية من كل ما تميل إليه النفوس (فلا يصبر علىٰ قمعها) أي دفعها ومنعها (إلا بقوة الخوف، ولذلك قال علي كرَّم الله وجهه: مَن اشتاق إلىٰ الجنة سلا) وفي لفظ: تبتَّل (عن الشهوات) أي انقطع عنها (ومَن أشفق من النار رجع عن المحرَّمات)[1] كذا في القوت، وقد رُوي مرفوعًا من طريقه بلفظ: «مَن اشتاق إلىٰ الجنة سابقَ إلىٰ الخيرات، ومَن أشفق من النار لها عن الشهوات، ومَن ترقَّب الموت صبر عن اللذَّات، ومَن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات». رواه البيهقي[2] وتمام[3] وابن عساكر[4] وابن النجار (ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلىٰ مقام المجاهدة والتجرُّد لذكر الله والفكر فيه علىٰ الدوام) أي

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٧٨، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٨٤٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢/ ٥١٥، وابن أبي الدنيا في كتاب الصبر ص ٢٥.

(٢) شعب الإيمان ١٣/ ١٧٦.

(٣) فوائد تمام ٥/ ٨٠ - ٨١.

(٤) تاريخ دمشق ١٣/ ٣١، ١٤/ ٣٠، ٢٥/ ٢٩٢.

كل من الذكر والفكر من غير انقطاع، بل يكون بإزائهما، فإذا سئمَ من الذِّكر اشتغل بالمراقبة والتفكُّر، ثم إذا أراد أن ينفصل عنه فليعُدْ إلىٰ الذكر حتىٰ يثبُت له الدوامُ ولا يتخلَّل بينهما الشيطان **(ويؤدي دوام الذكر إلىٰ الأنس)** بالله تعالىٰ **(ودوام الفكر يؤدي إلىٰ كمال المعرفة)** بالله تعالىٰ **(ويؤدي كمال المعرفة والأنس إلىٰ المحبة)** وهو أعلىٰ المقامات **(ويتَّبعها)** أي المحبة **(مقامُ الرضا والتوكل وسائر المقامات)** الآتي ذِكرها **(فهذا هو الترتيب في سلوك منازل)** السائرين في **(الدين)** وفي عروج مقامات الطائرين إليه[1] **(فليس بعد أصل اليقين مقام سوىٰ الخوف والرجاء، وليس بعدهما مقام سوىٰ الصبر، وبه المجاهدة والتجرُّد لله ظاهرًا وباطنًا، ولا مقام بعد المجاهدة لمَن فُتح له الطريق)** وأُذن له بالدخول فيه **(إلا الهداية والمعرفة)** لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] **(ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأنس، ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب)** كيف كان **(والثقة بعنايته وهو)** بعينه مقام **(التوكل. فإذًا فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية، ولكنا نفرد الخوف بكلام جمليٍّ)** أي إجمالي **(فنقول: الخوف يحصل بطريقين مختلفين أحدهما أعلىٰ من الآخَر)** وتقريب ذلك إلىٰ الأذهان إنما يكون بمثال يُضرَب له في الظاهر فيقيس الغائب علىٰ الشاهد **(ومثاله: أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف، وربما مد اليد إلىٰ الحية ليأخذها ويلعب بها، ولكن إذا كان معه أبوه - وهو عاقل - خاف)** في الحال **(من الحية)** أو من السبع **(وهرب منها، فإذا نظر الصبي إلىٰ أبيه وهو ترتعد فرائصه ويحتال في الهرب منها قام معه، وغلب عليه الخوف، ووافقه في الهرب. فخوف الأب عن بصيرة)** وعقل **(ومعرفة بصفة الحية وسمِّها وخاصِّيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته، وأما خوف الابن فإيمان بمجرَّد التقليد)** والتبعيَّة **(لأنه يُحسِن الظنَّ بأبيه، ويعلم أنه لا يخاف إلا**

---

(١) هذه العبارة مأخوذة من اسم كتاب وهو «منارات السائرين ومقامات الطائرين» لنجم الدين ابن داية الرازي.

من سبب مخوف في نفسه، فيعلم أن السبع مخوف) وأن الحية مخوفة (ولا يعرف وجهه) لجهله (وإذا عرفتَ هذا المثال، فاعلمْ أن الخوف من الله تعالىٰ علىٰ مقامين، أحدهما: الخوف من عذابه، والثاني: الخوف منه في ذاته، فأما الخوف منه) تعالىٰ في ذاته (فهو خوف العلماء) بالله (وأرباب القلوب و) البصائر النافذة (العارفين من صفاته تعالىٰ ما يقتضي الهيبةَ والخوف والحذر) وهي صفات الربوبية (المطَّلعين علىٰ سر قوله تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨، ٣٠] وقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] فأما الأول فهو خوف عموم الخلق) أي الخوف من عذابه (وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين علىٰ الطاعة والمعصية) وقد يقوىٰ ذلك وقد يضعُف (وضعفُه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الإيمان، وإنما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة، وتزول أيضًا بالنظر إلىٰ الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم) في حركاتهم وسكناتهم (فإن فاتت المشاهدةُ فالسماع) أي التلقُّف من الأفواه (لا يخلو عن تأثير، وأما الثاني وهو الأعلىٰ) مقامًا (فأن يكون الله عَزَّوَجَلَّ هو المَخُوفَ، أعني أن يخاف البعدَ) عنه (والحجاب منه، ويرجو القرب منه) ويدل لذلك ما (قال ذو النون) المصري (رحمه الله تعالىٰ: خوف النار عند خوف الفراق كقطرات قطرت في بحر لُجِّيٍّ)(١) أي فما يكون مقدارها بالنسبة إلىٰ البحر المتلاطم الأمواج (وهذه خشية العلماء، حيث قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾) [فاطر: ٢٨] وهو مقام كُمَّل العارفين (ولعموم المؤمنين أيضًا حظٌّ من هذه الخشية، ولكن هو بمجرَّد التقليد) لغيره (يضاهي خوفَ الصبي من الحية) أو السبع (تقليدًا لأبيه) إذا رآه قد هرب منها (وذلك لا يستند إلىٰ بصيرة، فلا جَرَمَ يضعُف ويزول علىٰ قرب، حتىٰ إن الصبي ربما يرىٰ المعزِّم) وهو الذي يمسك الحيات بالعزائم (يُقدِم علىٰ أخذ الحية فينظر إليه ويغترُّ به فيتجرَّأ علىٰ

---

(١) الخركوشي في تهذيب الأسرار ص١٤٦.

أخذها تقليدًا له) فيكون فيه هلاكه (كما احترز من أخذها تقليدًا لأبيه، والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب، إلا إذا قويتْ بمشاهدة أسبابها المؤكِّدة لها علىٰ الدوام وبالمواظبة علىٰ مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدةً طويلة علىٰ الاستمرار) والملازَمة (فإذًا مَن ارتقَىٰ إلىٰ ذروة المعرفة) أي صار في أعلاها (وعرف الله تعالىٰ خافه بالضرورة، فلا يحتاج إلىٰ علاج لجلب الخوف، كما أن مَن عرف السبع ورأىٰ نفسه واقعًا في مخالبه لا يحتاج إلىٰ علاج لجلب الخوف إلىٰ قلبه، بل يخافه بالضرورة، شاء أم أبىٰ، ولذلك أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ) نبيِّه (داود عليه السلام: خَفْني كما تخاف السبع الضاري) وهو من الإسرائيليات، وقد تقدم الكلام عليه قريبًا (ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري إلا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه، فلا يحتاج إلىٰ حيلة سواه، فمَن عرف الله تعالىٰ عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي، ويحكم ما يريد ولا يخاف، قرَّب الملائكةَ) إلىٰ حضرته (من غير وسيلة) منهم (سابقةٍ) تستدعي قربهم (وأبعدَ إبليسَ من غير جريمة سالفة) توجب إبعادَه (بل صفته) علىٰ (ما ترجمه قولُه تعالىٰ) في الحديث القدسي المتقدم بذكره: قبض قبضة من بني آدم فقال: (هؤلاء في الجنة ولا أبالي، و) قبض أخرىٰ منهم فقال: (هؤلاء في النار ولا أبالي) لكن يُشترَط في هذه المعرفة أن يكون الفكر فيها بإمعان، فإنه هو المستجلِب للخوف، وإلا فالفكر الخفيف لا ينضج قساوة القلب، أرأيت لو أوقدت نارًا تحت قِدر ثم أخمدت قبل الإنضاج ثم أوقدت ثم أخمدت فني الوقودُ وما حصل الإنضاج، فلا بد من الإقبال بكُنْه الهمَّة علىٰ الفكر المحتاج إليه حتىٰ ينضج القلبُ علىٰ الفور لئلاً يفنىٰ الزمانُ ولا يتحصَّل المقصود (وإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا علىٰ معصية ولا يثيب إلا علىٰ طاعة فتأملْ أنه لم يمدَّ المطيع بأسباب الطاعة حتىٰ يطيع شاء أم أبىٰ، ولم يمدَّ العاصي بدواعي المعصية حتىٰ يعصي شاء أم أبىٰ، فإنه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة علىٰ قضاء الشهوة كان الفعل واقعًا بها بالضرورة، فإن كان أبعدَه لأنه عصاه فلِمَ حمله علىٰ المعصية؟

هل ذلك لمعصية سابقة حتىٰ يتسلسل لغير نهاية أو يقف لا محالة علىٰ أول لا علَّة له من جهة العبد بل قُضي عليه في الأزل، وعن هذا المعنىٰ عبَّر ﷺ؛ إذ قال: احتجَّ آدم وموسىٰ عليهما السلام عند ربِّهما، فحجَّ آدمُ موسىٰ) رواه الخطيب[١] من حديث أنس دون قوله «عند ربِّهما»، وفي لفظ آخر: احتجَّ آدمُ وموسىٰ (فقال موسىٰ: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجدَ لك ملائكته، وأسكنك جنته، ثم أهبطتَ الناسَ بخطيئتك إلىٰ الأرض) ولفظ الجماعة بعد قوله «جنته»: أخرجتَ الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم (فقال آدم: أنت موسىٰ) ولفظ الجماعة: فقال آدم: يا موسىٰ، أنت (الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه، وأعطاك الألواح فيها تِبْيان كل شيء، وقرَّبك نجيًّا، فبكم وجدتَ الله قد كتب التوراة قبل أن أُخلَق؟ قال موسىٰ: بأربعين عامًا. قال آدم: فهل وجدتَ فيها: وعصىٰ آدم ربَّه فغوىٰ؟ قال: نعم. قال: أفتلومني علىٰ أن عملتَ عملاً كتبه الله عليَّ قبل أن أعمله وقبل أن يخلقني بأربعين سنة) ولفظ الجماعة بعد قوله «وكلامه»: وأنزل عليك التوراة أتلومني علىٰ أمر كتبه الله عليَّ قبل أن يخلقني (قال ﷺ: فحجَّ آدمُ موسىٰ) أي غلب عليه في الحُجة. رواه أحمد[٢] والشيخان[٣] وأبو داود[٤] والترمذي[٥] وابن ماجه[٦] من حديث أبي هريرة. ورواه عبد بن حميد[٧] وأبو يعلىٰ[٨] وابن مردويه من حديث أبي سعيد. ورواه أبو بكر في الغيلانيات[٩]

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٥٧٣، وفيه: «عن أنس عن جندب أو غيره».

(٢) مسند أحمد ١٣/ ٣٤٣، ١٣/ ٣١، ٧٥، ٢٤٦، ٤٩٥، ١٥/ ٤٧، ٩٥، ٤٩٢، ١٦/ ٥٤.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٤٧٨، ٣/ ٢٦٠، ٤/ ٢١٢، ٤٠٧. صحيح مسلم ٢/ ١٢٢٤ - ١٢٢٥.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٢٢٨.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ١٢.

(٦) سنن ابن ماجه ١/ ١٠٣.

(٧) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ١٠٥.

(٨) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٤١٤ موقوفا علىٰ أبي سعيد.

(٩) الغيلانيات ص ٨٥ - ٨٦.

والخطيب[1] من حديث أبي موسىٰ. ورواه النسائي[2] وأبو يعلىٰ[3] والطبراني[4] والآجري في الشريعة[5] والضياء من حديث جندب البَجَلي.

(فمَن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطَّلعين علىٰ سر القدر، ومَن سمع هذا فآمن به وصدَّق بمجرَّد السماع فهو من عموم المؤمنين، ويحصل لكل واحد من الفريقين خوفٌ) ولكن يختلف في قوته وضعفه بحسب اختلاف المقامات والرتب **(فإنَّ كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع، والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخلِّيه)** ويتركه **(وقد يهجهم عليه فيفترسه، وذلك بحسب ما يتفق، ولذلك الاتفاق أسباب)** كثيرة **(مرتَّبة بقدر معلوم)** وحدٍّ ينتهي إليه **(لكن إذا أضيفَ لمَن لا يعرفه سُمِّي اتفاقًا، وإن أضيفَ إلىٰ علم الله لم يجُزْ أن يسمَّىٰ اتفاقا، والواقع في مخالب السبع لو كمُلت معرفته لكان لا يخاف السبعَ؛ لأن السبع مسخَّر، إن سلَّط الله عليه الجوع افترس، وإن سلَّط عليه الغفلة خلَّىٰ وترك، فإنما يخاف خالق السبع وخالق صفاته)** من البطش والسطوة والجراءة **(فلست أقول: مثال الخوف من الله تعالىٰ الخوف من السبع، بل إذا كُشف الغطاء عُلم أن الخوف من السبع هو غير[6] الخوف من الله تعالىٰ؛ لأن المهلك بواسطة السبع هو الله تعالىٰ)** فهو مثال غير منطبق علىٰ الممثَّل به من كل وجه عند التأمُّل **(فاعلمْ أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا، وأن الله تعالىٰ خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب، وخلق لكل واحد أهلاً يسوقه القدَر المتفرِّع عن القضاء الجزم الأزليِّ إلىٰ ما خُلق له، فخلق الجنة**

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٢) السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٦٩.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ٣/ ٩٠ - ٩١، ٩٨.

(٤) المعجم الكبير ٢/ ١٦٠.

(٥) الشريعة ٢/ ٧٧٣ - ٧٧٤، ٣/ ١١١٢.

(٦) كذا هنا، وفي الجميع: عين.

وخلق لها أهلاً سُخِّروا لأسبابها، شاؤا أم أبوا، وخلق النار وخلق لها أهلاً سُخِّروا لأسبابها، شاؤا أم أبوا) وروىٰ مسلم[١] من حديث عائشة: «إن الله تعالىٰ خلق الجنة وخلق النار، فخلق لهذه أهلاً، ولهذه أهلاً» **(فلا يرىٰ أحد نفسه في ملتطم أمواج القدَر إلا غلبه الخوف بالضرورة، فهذه مخاوف العارفين بسر القدَر، فمَن قعد به القصورُ عن الارتفاع إلىٰ مقام[٢] الاستبصار)** والاعتبار **(فسبيله أن يعالَج بسماع الأخبار والآثار، ويطالع أحوال الخائفين العارفين وأقوالهم)** ويجالس الصالحين والمذكِّرين بأيام الله وذِكر الأمم المغضوب عليهم والفكر في آثار الصفات الموجِبة للخوف، فقد أثنىٰ بها علىٰ نفسه وخوَّف بها عبادَه **(وينسب عقولهم ومناصبهم إلىٰ مناصب الراجين المغرورين)** وعقولهم **(فلا يتمارَىٰ)** أي لا يشك **(في أن الاقتداء بهم أَولىٰ؛ لأنهم الأنبياء والأولياء والعلماء)** والصالحون من عباده **(وأما الآمِنون فهم الفراعنة والجهَّال والأغبياء، أما رسولنا ﷺ فهو سيد الأوَّلين والآخرين)** روىٰ أحمد[٣] والترمذي[٤] وابن ماجه[٥] من حديث أبي سعيد: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ...» الحديث. ورواه الطبراني[٦] من حديث عبد الله بن سلام.

(وكان أشد الناس خوفًا) تقدم[٧] قبل هذا بخمسة وعشرين حديثًا قولُه: «واللهِ إني لأخشاكم لله»، وقولُه: «إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية».

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٢٢٨.

(٢) في أ، وط المنهاج: يفاع. واليفاع: هو ما ارتفع من الأرض، قال النابغة:

وحلّت بيوتي في يفاعٍ ممنّعٍ ... تخال به راعي الحمولة طائرا

انظر: الصحاح للجوهري ٣/ ١٣١٠، وديوان النابغة الذبياني ص٦٩ (ط المعارف بالقاهرة).

(٣) مسند أحمد ١٧/ ١٠.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٢١٣، ٦/ ١١.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٧٨.

(٦) المعجم الكبير ١٤/ ٣٥١.

(٧) المغني للعراقي ٢/ ١٠٦٩.

(حتىٰ رُوي أنه كان يصلي علىٰ طفل) منفوس **(ففي رواية أنه سُمع في دعائه)** له **(يقول: اللهم قِهِ عذاب القبر وعذاب النار)** كذا في القوت. وقال العراقي[١]: رواه الطبراني في الأوسط[٢] من حديث أنس: أن النبي ﷺ صلىٰ علىٰ صبي أو صبيَّة وقال: «لو كان أحد نجا من ضمَّة القبر لنجا هذا الصبي». واختُلف في إسناده، فرواه في الكبير[٣] من حديث أبي أيوب: أن صبيًّا دُفن، فقال رسول الله ﷺ: «لو أفلت أحد من ضمَّة القبر لأفلت هذا الصبي».

(وفي رواية ثانية أنه سمع قائلة تقول: هنيئًا لك عصفور من عصافير الجنة. فغضب وقال: ما يدريكِ أنه كذلك؟ واللهِ إني رسول الله) ﷺ **(وما أدري ما يُصنَع بي، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً، وخلق النار وخلق لها أهلاً، لا يُزاد فيهم ولا ينقص منهم)** كذا في القوت. وقال العراقي[٤]: رواه مسلم[٥] من حديث عائشة قالت: توفي صبي، فقلت: طوبَىٰ له عصفور من عصافير الجنة ... الحديث، وليس فيه «فغضب»، وقد تقدم.

(ورُوي أنه ﷺ قال ذلك أيضًا علىٰ جنازة عثمان بن مظعون) رضي الله عنه **(وكان من المهاجرين الأوَّلين)** من الشهداء، وهو أول مَن مات بالمدينة **(لمَّا قالت أم سلمة)** رضي الله عنها **(هنيئًا لك الجنة)** فقال لها ﷺ ما قال **(فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك: واللهِ ما أزكِّي أحدًا بعد عثمان)** كذا في القوت. وقال العراقي[٦]: رواه البخاري[٧] من حديث أم العلاء الأنصارية، وهي القائلة: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي

---

(١) السابق ٢/ ١٠٦٩ - ١٠٧٠.

(٢) المعجم الأوسط ٣/ ١٤٦.

(٣) المعجم الكبير ٤/ ١٢١.

(٤) المغني ٢/ ١٠٧٠.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ١٢٢٨.

(٦) المغني ٢/ ١٠٧٠.

(٧) صحيح البخاري ١/ ٣٨٥، ٢/ ٢٦٤، ٣/ ٧٧، ٤/ ٣٠٠، ٣٠٣ - ٣٠٤.

عليك لقد أكرمك الله. فقال: «وما يدريكِ ...» الحديث. وورد أن التي قالت ذلك أم خارجة بن زيد، ولم أجد فيه ذِكر أم سلمة.

قلت: لفظ الصحيح: عن أم العلاء قالت: لمَّا مات عثمان بن مظعون قلت: شهادتي عليك أبا السائب لقد أكرمك الله ... الحديث. وقوله: وورد أن التي قالت ذلك أم خارجة بن زيد. قلت: قال[1] ابن عبد البر[2] في ترجمة أم العلاء الأنصارية: يقال إنها والدة خارجة بن زيد بن ثابت الراوي عنها. روىٰ حديثها الشيخان من رواية الزهري عن خارجة بن زيد عن أم العلاء الأنصارية قالت: طار لنا عثمان بن مظعون في السكنىٰ لما اقترعت الأنصار ... فذكر الحديث في فضل عثمان بن مظعون، وفيه أنها رأت لعثمان عينًا جارية، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: «ذاك عمله». وفي الحديث قولها المتقدم: شهادتي عليك أبا السائب لقد أكرمك الله. والحديث المذكور الذي جاء فيه التصريح بأنه من قول أم خارجة بن زيد رواه أحمد[3] والطبراني[4] من طريق يزيد بن أبي حبيب عن سالم أبي النضر عن خارجة بن زيد عن أمه أن عثمان بن مظعون لمَّا قُبض قالت أم خارجة: طِبْتَ أبا السائب ... الحديث. قال الحافظ: فهذا ظاهر في أن أم العلاء هي والدة خارجة المذكور.

(و) أعجب من ذلك ما رُوي أنه (قال) أبو القاسم (**محمد**) بن علي بن أبي طالب، وهو (**ابن خولة الحنفيَّة**) وهي ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبد الله ابن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة، من سبي أهل الرِّدَّة (**واللهِ لا أزكِّي أحدًا غير رسول الله ﷺ ولا أبي الذي ولدني. قال: فثارت الشيعة عليه**) حين

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ١٣/ ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٢) الاستيعاب ٢/ ٥٨٩ - ٥٩٠.

(٣) مسند أحمد ٤٥/ ٤٥١ - ٤٥٢.

(٤) المعجم الكبير ٥/ ١٣٩، ٢٥/ ١٤٠ - ١٤١.

سمعوا ذلك منه (فأخذ يذكر من فضائل علي ومناقبه)[١] نقله صاحب القوت.

(ورُوي في حديث آخر: أن رجلاً من أهل الصُّفَّة استشهد، فقالت أمُّه: هنيئًا لك عصفور من عصافير الجنة، هاجرتَ إلىٰ رسول الله ﷺ، وقُتلتَ في سبيل الله. فقال ﷺ: وما يدريكِ فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه[٢] ويمنع ما لا يضرُّه) كذا في القوت. وقال العراقي[٣]: رواه أبو يعلىٰ من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ: أن أمه قالت: هنيئًا لك يا بني الجنة. ورواه البيهقي في الشعب، إلا أنه قال: فقالت أمه: هنيئًا لك الشهادة. وهو عند الترمذي، إلا أنه قال: إن رجلاً قال له: أبشِرْ بالجنة. وقد تقدم في ذم المال والبخل مع اختلاف.

(وفي حديث آخر: أنه ﷺ دخل علىٰ بعض أصحابه وهو عليل، فسمع امرأة تقول: هنيئًا لك الجنة. فقال ﷺ: مَن هذه المتألِّية علىٰ الله؟ فقال المريض: هي أمي يا رسول الله. فقال: وما يدريكِ لعل فلانًا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه) كذا في القوت. وبيَّض له العراقي[٤].

(وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو ﷺ يقول: شيَّبتني هود وأخواتها) رواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر، والترمذي في الشمائل وأبو يعلىٰ والطبراني من حديث أبي جحيفة. وفي لفظ: شيَّبتني هود (وسورة الواقعة) والمرسلات (وإذا

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٩٥ عن منذر الثوري قال: كنت عند محمد ابن الحنفية، فسمعته يقول: ما أشهد علىٰ أحد بالنجاة ولا أنه من أهل الجنة بعد رسول الله ﷺ ولا علىٰ أبي الذي ولدني. فنظر القوم إليه، فقال: من كان في الناس مثل علي، سبق له كذا، سبق له كذا.
ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٤/ ٣٤٩ بنحوه مختصرا.

(٢) في الجميع: ينفعه.

(٣) المغني ٢/ ١٠٧٠ - ١٠٧١.

(٤) لم يبيض له العراقي وإنما قال في المغني ٢/ ١٠٧١: «تقدم أيضا». قلت: قد تقدم هذا الحديث في كتاب آفات اللسان [الآفة الأولىٰ: الكلام فيما لا يعني] وعزاه العراقي هناك لابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من حديث كعب بن عجرة، وهو المريض في هذا الحديث.

الشمس كوِّرت وعمَّ يتساءلون) رواه الترمذي والحاكم من حديث ابن عباس، ورواه الحاكم أيضًا عنه عن أبي بكر. وفي لفظ: «شيَّبتني هود وأخواتها الواقعة والحاقَّة وإذا الشمس كوِّرت». رواه الطبراني وابن مردويه من حديث سهل بن سعد. وقد تقدم الكلام عليه في كتاب السماع.

(**فقال العلماء**[1]**: لعلَّ ذلك لِما في سورة هود من الإبعاد، كقوله تعالىٰ:** ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۝٦٠﴾ [هود: ٦٠] ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ۝٦٨﴾ [هود: ٦٨] ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ۝٩٥﴾) [هود: ٩٥] فهذا هو الذي شيَّبه ﷺ (**مع علمه ﷺ بأنه لو شاء الله ما أشركوا؛ إذ لو شاء لآتىٰ كلَّ نفس هُداها**) كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] (**وفي سورة الواقعة**) قوله تعالىٰ: (﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾) أي وقعت السابقة ممَّن سبقت له السابقةُ، وحقَّت الحاقةُ بمَن حقَّت عليه الحاقَّة (**أي جفَّ القلمُ بما هو كائن**) روىٰ أحمد[2] من حديث ابن عمرو: «إن الله خلق خلقه في ظلمة ...» الحديث، وفيه: «فلذلك أقول: جفَّ القلم بما هو كائن» (**وتمَّت السابقة حتىٰ نزلت الواقعة إما خافضة قومًا كانوا مرفوعين في الدنيا، وإما رافعة قومًا كانوا مخفوضين في الدنيا**) حين ظهرت الحقائق وكُشفت عواقب الخلائق، وفيها: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩٥] الحاقة ما الحاقة إذا وقعت الواقعة بمن حقَّت عليه الكلمة (**وفي سورة التكوير أهوال يوم القيامة**) وهي خواتم المصير لمَن أيقنَ (**وانكشاف الخاتمة**) وفيها تجلِّي معاني الغضب لمَن عاينَ آخر ذلك (**وهو قوله تعالىٰ:** ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ

---

(١) الكلام لصاحب القوت ١/ ٣٨٢.

(٢) مسند أحمد ١١/ ٢٢٠، ٤٤١.

﴿١٤﴾) [التكوير: ١٢ - ١٤] هذا فصلُ الخطاب، أي عند تسعير النيران واقتراب الجِنان حينئذٍ يتبيَّن للنفس ما أحضرت من شر يصلُح له الجحيم أو خير يصلح له النعيم، ويعلم إذ ذاك من أيِّ أهل الدارين تكون، وفي أيِّ المنزلين تحلُّ، فكم من قلوب قد تقطَّعت حسرات على الإبعاد من الجِنان بعد اقترابها، وكم من نفوس تصاعدت زفرات عند يقينها معاينة النيران أنها تصيبها، وكم من أبصار ذليلة خاشعة لمشاهدة الأهوال، وكم من عقول طائشة لمعاينة الزلزال **(وفي عم يتساءلون: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ الآية** [النبأ: ٤٠] **وقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾**) [النبأ: ٣٨] وهذا الذي عزاه المصنف لبعض العلماء ساقه صاحب القوت[1] وجهًا بقوله: ولعل المشهور في هذا الحديث الذي صرَّح به العلماء أن المراد منه أن في هذه السور من أهوال يوم القيامة وتبايُن أحوال السعداء والأشقياء والأمر بالاستقامة كما أُمِر ممَّا يليق بعالي مقامه الذي لا يمكن لبشر أن يتحمَّله ومن غير ذلك ممَّا لا يستوعب بعضَه إلا ديوان حافل بما يوجب استيلاءَ سلطان الخوف والحزن سيَّما علىٰ أتباعه وأمَّته؛ لعِظَم رأفته ورحمته بهم، ودوام الفكر فيما يصلحهم، وتتابُع الغم ممَّا ينوبهم أو يصدر عنهم، واشتغال القلب والبدن بأحوالهم ومصالحهم الظاهرة والباطنة، وهذا كله مستوجِب لضعف القوَىٰ البدنية، وضعفُها مستلزم لضعف الحرارة الغريزية، وبضعفها يسرع الشيبُ ويظهر قبل وقته، ولكن لمَّا كان عنده ﷺ من انشراح الصدر واتساع القلب وتَوالي أنوار اليقين والقرب ما يسلِّيه كلَّ هم وحزن لم يقدر ذلك أن يستولي إلا علىٰ قدر يسير من شعره الشريف ليكون فيه مظهر الجلال والجمال، وليتبيَّن أن جماله ﷺ غالب علىٰ جلاله. والله أعلم **(والقرآن من أوله إلىٰ آخره مخاوف لمَن قرأه بتدبُّر)** وتأمُّل **(ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾** [طه: ٨٢] **لكان كافيًا)** في المقصود **(إذ علَّق المغفرة علىٰ أربعة شروط**

---

(١) هذا ليس كلام صاحب القوت، وإنما هو كلام ابن حجر الهيتمي في أشرف الوسائل ص ١٠٥ - ١٠٦.

يعجز العبد عن آحادها) وهي التوبة، ثم الإيمان، ثم العمل الصالح، ثم الاهتداء **(وأشد منه قوله تعالىٰ:** ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾**)** [القصص: ٦٧] أي مَن وُجدتْ فيه هذه الشروط الثلاثة فعسىٰ ولعل أن يُعَدَّ من زمرة أهل الفلاح، أي الفوز والنجاة **(وقوله تعالىٰ:** ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨] **وقوله تعالىٰ:** ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن: ٣١] **وقوله تعالىٰ:** ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ **الآية** [الأعراف: ٩٩] **وقوله تعالىٰ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢] **وقوله تعالىٰ:** ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ **الآيتين** [مريم: ٨٥] **وقوله تعالىٰ:** ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ﴾ **الآية** [مريم: ٧١] **وقوله تعالىٰ:** ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ **الآية** [فصلت: ٤٠] **وقوله تعالىٰ:** ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ **الآية** [الشورىٰ: ٢٠] **وقوله تعالىٰ:** ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ **الآيتين** [الزلزلة: ٧] **وقوله تعالىٰ:** ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ **الآية)** [الفرقان: ٢٣] فهذه آي المخاوف، وهي من المحكمات، ليس فيها أمر ولا زجر، وردت في السوابق الأُوَل والخواتم الأُخَر، وجاءت بالخبر عن قديم الخبر، فيها سرائر الغيوب وغرائب الفهوم ومخاوف القلوب وزواجر النفوس وبصائر العقول لمَن كان له قلب، وهي من آي المطلع لأهل الإشراف علىٰ شرفات العرش والأعراف[1].

(وكذا قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ **إلىٰ آخر السورة** [العصر: ١ - ٣] **فهذه أربعة شروط للخلاص من الخسران)** وهي الإيمان، والعمل الصالح، والتَّواصي بالحق، والتواصي بالصبر **(وإنما كان خوف الأنبياء مع ما فاض عليهم من النعم)** الظاهرة والباطنة **(لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالىٰ، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون)** وقد كثُرت الأخبار فيمَن عبد اللهَ واجتهد أكثرَ عمرِه ثم أُحبِط ذلك بعُجْب ساعة أو بكلمة كِبرٍ أو بإزرائه علىٰ غيره، وجاءت الأخبار

---

(١) قوت القلوب ١/ ٣٨٧.

بأعمال تُرفَع إلىٰ السماء وتُبنَىٰ بها الدرجات العلىٰ، ثم ينظر الله إلىٰ صاحبها نظرةَ بُعدٍ أو يمقته، فتنهدم الدرجات وتسقُط المنازلُ (حتىٰ رُوي) في الخبر المشهور **(أن النبي ﷺ وجبريل عليه السلام بكيا خوفًا من الله عز وجل، فأوحىٰ الله إليهما: لِمَ تبكيان وقد أمنتكما؟ فقالا: ومَن يأمن مكرك)** كذا في القوت. وقال العراقي[1]: رواه الطبراني في الأوسط[2] وابن شاهين في شرح السنَّة من حديث عمر، ورويناه في مجلس من أمالي أبي سعيد النقَّاش بسند ضعيف.

(وكأنَّهما إذ علما أن الله هو علَّام الغيوب وأنه لا وقوف لهما علىٰ غاية الأمور لم يأمنا أن يكون قوله «قد أمنتكما» ابتلاء وامتحانًا لهما ومكرًا بهما حتىٰ أن سكن خوفُهما ظهر أنهما قد أَمِنا من المكر وما وفَّيا بقولهما) وعبارة القوت: فلولا أنهما علما أن مكره لا نهاية له لأن حكمه لا غاية له لم يقولا: ومَن يأمن مكرك؟ مع قوله: وقد أمنتكما. ولكان قد انتهىٰ مكرُه بقوله، ولكانا قد وقفا علىٰ آخر مكره، ولكن خافا من بقية المكر الذي هو غيبٌ عنهما، وعلما أنهما لا يقفان علىٰ كُنْه غيب الله تعالىٰ؛ إذ هو علاَّم الغيوب، فلا نهاية للعلاَّم في علم، ولا غاية للغيوب بوصف، فلم يحكم عليهما القولَ لعنايته بهما وفضلِ نظرِه لهما، ولأنهما علىٰ مزيد من معرفة الصفات؛ إذ المكر عن الوصف وإظهار القول لا يقضي علىٰ باطن الوصف، فكأنَّهما خافا أن يكون قوله عز وجل «قد أمَّنتكما مكري» مكرًا منه بالقول علىٰ وصف مخصوص عن حكمة قد استأثر بعلمها يختبر بذلك حالَهما وينظر كيف يعملان تعبُّدًا منه لهما به؛ إذ الابتلاء وصفُه من قِبَل أن «المبتلي» اسمه، فلا يترك مقتضَىٰ وصفه لتحقيق اسمه، ولا تبدَّلُ سنَّته التي قد خلت في عباده **(كما أن)** خليله **(إبراهيم ﷺ)** اختبره **(لمَّا وُضع في المنجنيق)** وأهوي به في الهواء **(قال: حسبي الله، وكانت هذه)** القولة **(من الدعاوىٰ العظام، فامتُحن وعورِضَ بجبريل**

---

(١) المغني ٢/ ١٠٧١.

(٢) المعجم الأوسط ٣/ ٨٩ - ٩٠ مطولا.

في الهواء حتىٰ قال: **ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا)** فأثبت لنفسه حاجة، كما هو مقتضىٰ وصف الخلَّة **(فكان ذلك وفاءً بمقتضىٰ قوله: حسبي الله)** فصدَّق القولَ بالعمل **(فأخبر الله تعالىٰ عنه فقال:** ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٧] **أي بموجِب قوله: حسبي الله)**[١] ولأن الله تعالىٰ لا يدخل تحت الأحكام، ولا يلزمه ما حكم به علىٰ الأنام، ولا يُختبَر صدقه تعالىٰ، ولا يجوز أن يوصَف بضد الصدق وإن بدَّل الكَلِم هو بتبديل منه؛ لأن أحكامه وكلامه قائم به، فله أن يبدِّل منه به ما شاء بما شاء، وهو الصادق في الكلامين، العادل في الحُكمين، الحاكم في الحالين؛ لأنه حاكم عليه، ولا حكم يلزمه فيه؛ لأنه قد جاوز العلومَ والعقول التي هي أماكن للحدود من الأمر والنهي، وفات الرسومَ [والمعقول] التي هي أوسط الأحكام والأقدار، وفي مشاهدة ما ذكرنا علمٌ دقيق من علوم التوحيد، ومقام رفيع من أحوال الموحِّد **(وبمثل هذا)** المعنىٰ **(أخبر عن)** كليمه **(موسىٰ ﷺ، حيث قال:** ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾) [طه: ٤٥] يعني فرعون (﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦] **ومع هذا لمَّا ألقىٰ السحرة سحرهم أوجس موسىٰ في نفسه خيفةً؛ إذ لم يأمن مكر الله والتباس الأمر عليه)**[٢] بأن يكون قد أسرَّ عنه في غيبه وقد استأثر في نفسه تعالىٰ ما لم يظهره له في القول؛ لمعرفته عليه السلام بخفيِّ المكر وباطن الوصف، ولعلمه أنه لم يعطِه الحكم؛ إذ هو محكوم عليه مقهور، فخاف خوفًا ثانيًا **(حتىٰ جدَّد عليه الأمنَ)** بحكم ثانٍ **(وقيل له:** ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾) [طه: ٦٨] ﴿وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص: ٣١] فاطمأن إلىٰ القائل، ولم يسكن إلىٰ الإظهار الأول؛ لعلمه بسعة علمه أنه هو علاَّم الغيوب التي لا نهاية لها، ولأن القول أحكام، والحاكم لا تحكم عليه الأحكام، كما لا تعود عليه الأحكام، وإنما تفصَّل الأحكام من الحاكم العلاَّم ثم تعود علىٰ المحكومات

(١) نقل السلمي في تفسيره ٢/ ٢٨٧ عن ابن عطاء قوله: وفىٰ بأربعة أشياء: نفسه للنيران، وقلبه للرحمن، وولده للقربان، وماله للإخوان.

(٢) انظر لزامًا: تفسير القرطبي ١١/ ٢٢٢، ٢٢٣.

أبدًا، ولأنه جلَّت قدرته لا يلزمه ما ألزم الخلق الذين هم تحت الحكم، ولا يدخل تحت معيار العقل والعلم، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

(ولمَّا ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال ﷺ) في دعائه: (اللهم إن تُهلِك هذه العصابةَ لم يبقَ علىٰ وجه الأرض أحد يعبدك. فقال أبو بكر رضي الله عنه: دَعْ عنك مناشدتك ربك، فإنه وافٍ لك بما وعدك) قال العراقي[1]: رواه البخاري[2] من حديث ابن عباس بلفظ: «اللهم إن شئتَ لم تُعبَد بعد اليوم ...» الحديث.

(فكان مقام الصدِّيق رضي الله عنه مقام الثقة بوعد الله، وكان مقام رسول الله ﷺ مقام الخوف من مكر الله، وهو أتمُّ؛ لأنه لم يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالىٰ وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يُعبَّر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر، وما لأحد من البشر الوقوف علىٰ كُنْه صفات الله تعالىٰ، ومَن عرف حقيقة المعرفة و) عرف (قصور معرفته عن الإحاطة بكُنْه الأمور عظُم خوفُه لا محالة، ولذلك قال المسيح) عيسىٰ ابن مريم (ﷺ لمَّا قيل له: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾) وقد علم أنه لم يقلْه، فلما عرَّض له بالقول فزع وخاف أن يكون قاله وأن الله يؤاخذه به؛ إذ جعله سببًا له (﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] وقال) مثل هذا في يوم القيامة (﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الآية [المائدة: ١١٨] فوَّض الأمر إلىٰ المشيئة) لعزَّته وحكمته (وأخرج نفسه بالكلِّية من البين؛ لعلمه بأنه ليس له من الأمر شيء) وأن الله يتحكَّم في خلقه كيف شاء من غير سبب منهم (فإنَّ الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطًا يخرج عن حدِّ المعقولات والمألوفات، فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حَدْس) أي تخمين (ولا حسبان فضلاً عن التحقيق والاستيقان، وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين) ولذلك لا يصلُح أن تُكشَف حقيقة تفصيله في

(١) المغني ٢/ ١٠٧٢.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣٣٦، ٣/ ٨٣، ٣٠١، ٣٠٢.

كتاب خشية الإنكار (**إذ الطامة الكبرىٰ هي ارتباط أمرك بمشيئة مَن لا يبالي بك، إن أهلكك فقد أهلك أمثالك ممَّن لا يُحصَىٰ، ولم يزل في الدنيا يعذِّبهم بأنواع الآلام والأمراض، ويُمرِض مع ذلك قلوبَهم بالكفر والنفاق، ثم يخلِّد العقابَ عليهم أبد الآباد، ثم يخبر عنه ويقول:** ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣] **وقال تعالىٰ:** ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ **الآية** [هود: ١١٩] **فكيف لا يخاف ما حق من القول في الأزل ولا مَطمع في تدارُكه، ولو كان الأمر أنفًا)** وفي نسخة: معاينًا **(لكانت الأطماع تمتد إلىٰ حيلة فيه، ولكن ليس إلا التسليم فيه واستقراء خفيِّ أسباب السابقة من جليِّ الأسباب الظاهرة علىٰ القلب والجوارح، فمَن يُسِّرت له أسباب الشر وحِيلَ بينه وبين أسباب الخير وأُحكِمت علاقته من**[١] **الدنيا فكأنَّه كُشف له علىٰ التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة؛ إذ كلٌّ ميسَّر لِما خُلِق له)** كما ورد ذلك في الخبر: «اعملوا، فكلٌّ ميسَّر لِما خُلِق له» **(وإن كانت الخيرات كلها ميسَّرة وكان القلب بالكلِّية منقطعًا عن الدنيا، وبظاهره وباطنه علىٰ الله مقبلاً كان هذا يقتضي تخفيفَ الخوف لو كان الدوام علىٰ ذلك موثوقًا به، ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيرانَ الخوف اشتعالاً، ولا يمكِّنها من الانطفاء، وكيف يؤمَن تغيير الحال وقلبُ المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن)** روىٰ الحاكم[٢] من حديث جابر: «إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلِّبها كيف شاء». وقد تقدم في قواعد العقائد **(وأنه أشد تقلُّبًا من القِدر في غليانها)** كما في الخبر، وتقدم في عجائب القلب **(وقد قال مقلِّب القلوب)** جلَّ جلاله **(﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾** [المعارج: ٢٨] **فأجهلُ الناسِ مَن أمنَه وهو ينادي بالتحذير من الأمن)** وأعلمُهم مَن خاف في الأمن حتىٰ يخرج من دار الخوف إلىٰ مقام أمين،

---

(١) في أ، وط المنهاج ٧/ ٥٦٤: مع.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٣٤٥ - ٣٤٦. وفيه: (يقول به هكذا) بدل قوله: يقلبها كيف يشاء.

وهذا خوف لا يقوم له شيء، وكربٌ لا يوازيه مقام ولا عمل (**ولولا أن الله لطيف بعباده العارفين إذ روَّح قلوبَهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف**) ولأخرجهم إلىٰ القنوط، ولولا أنه روَّحها برَوْح الأنس بحسن الظن لأدخلهم في اليأس، ولكن إذا كان هو المعدِّل والمروِّح كيف لا يعتدل الخوف والرجاء [والرضا] حكمة بالغة وحكم نافذ لعلم سابق وقدَر جارٍ حقيقته ما شاء الله لا قوة إلا بالله (**فأسباب الرجاء رحمة من الله تعالىٰ**) **لعباده**[1]**، وأسباب الغفلة رحمة علىٰ عوامِّ الخلق من وجه؛ إذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطَّعت القلوب من خوف مقلِّب القلوب. قال بعض العارفين: لو حالت بيني وبين مَن عرفتُه بالتوحيد خمسين سنة أسطوانةٌ فمات لم أقطع له بالتوحيد؛ لأني لا أدري ما ظهر له من التقلُّب**) كذا في القوت.

(**وقال بعضهم: لو كانت الشهادة علىٰ باب الدارِ والموتُ علىٰ الإسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت علىٰ الإسلام**) دون الشهادة. قيل: ولِمَ؟ قال: (**لأني لا أدري ما يعرض لقلبي**) من المشاهدة فيما (**بين باب الحجرة وباب الدار**) فيغيِّره عن التوحيد. كذا في القوت، قال: وروينا عن زهير بن نعيم البابي قال: ما أكثر همِّي ذنوبي، إنما أخاف ما هو أعظم عليَّ من الذنوب أن أُسلَب التوحيد وأموت علىٰ غيره.

(**وكان أبو الدرداء**) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (**يحلف بالله: ما أحد أمنَ علىٰ إيمانه أن يُسلَبه عند الموت إلا سُلِبه**) وقال مرةً: فما سُلِبه عبدٌ فوجد له فقدًا[2]. قال صاحب القوت:

---

(١) في طبعتي الشعب المنهاج ٧/ ٥٦٤: رحمة لخواص الله.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد عن محمد بن مسلم قال: بلغني عن أبي الدرداء... فذكره، واللالكائي في أصول الاعتقاد ٦/ ١٠٩١، والفريابي بلفظ أتم في صفة النفاق ص ٦٩ (ط - دار ابن زيدون ببيروت) عن يزيد بن مرثد قال: ذكر الدجال في مجلس فيه أبو الدرداء، فقال نوف البكالي: لغير الدجال أخوف مني من الدجال. فقال أبو الدرداء: وما هو؟ فقال نوف: أخاف أن أسلب إيماني =

فهذا علىٰ أمرين، أحدهما: أن يخفَىٰ ذلك عليه فلا يعلم بسلب إيمانه لخفيِّ مكر الله به، والثاني: أن يظلم قلبُه ويسودَّ لطول الغفلة وكثافة الرَّين فلا يبالي بفقده؛ إذ قد هيَّأ قلبَه علىٰ قلة المبالاة وتركِ الاكتراث لذلك، فيهون عليه فقدُ الإيمان، وقد كان بعض العلماء يقول: مَن أُعطيَ التوحيد أعطيه بكماله، ومَن مُنِعه مُنِعه بكماله؛ إذ كان التوحيد في نفسه لا يتبعَّض.

(وكان) أبو محمد **(سهل)** التستري رحمه الله **(يقول: خوف الصدِّيقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة)** وهمَّة **(وعند كل حركة)** يخافون البعد من الله تعالىٰ **(وهم الذين وصفهم الله تعالىٰ إذ قال:** ويؤتون ما آتوا ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾**)** [المؤمنون: ٦٠] ولفظ القوت: وهم الذين مدح اللهُ وجلةَ قلوبهم. وقال أيضًا: لا يصح خوفُه حتىٰ يخاف من الحسنات كما يخاف من السيئات. وقال أيضًا: أعلىٰ الخوف أن يخاف سابق علم الله تعالىٰ فيه، ويحذر أن يكون منه حدثٌ خلاف السنَّة يجرُّه إلىٰ الكفر. وقال أيضًا: خوف التعظيم ميزان خوف السابقة.

(ولمَّا احتضر سفيان) الثوري رحمه الله تعالىٰ **(جعل يبكي ويجزع، فقيل له: يا أبا عبد الله، عليك بالرجاء، فإن عفو الله أعظم من ذنوبك. فقال: أوَ علىٰ ذنوبي أبكي؟ لو علمتُ أني أموت علىٰ التوحيد لم أبالِ بأن ألقَىٰ الله بأمثال الجبال من الخطايا)** وقال مرةً: ذنوبي أهون من هذه - ورفع حبَّة من الأرض - إنما أخاف

= وأنا لا أشعر. فقال أبو الدرداء: ثكلتك أمك يا ابن الكندية، وهل في الأرض مائة يتخوفون ما تتخوف؟ ...، ثم قال أبو الدرداء: والذي نفسي بيده ما أمن عبد علىٰ إيمانه إلا سلبه أو انتزع منه فيفقده، والذي نفسي بيده ما الإيمان إلا كالقميص يتقمصه مرة ويضعه أخرىٰ. ورواه أبو بكر الخلال في السنة ٤/ ٣٣ عن الحارث بن معاوية قال: إني لجالس في حلقة فيها أبو الدرداء، وهو يومئذ يحذرنا الدجال، فقلت: والله لغير الدجال أخوف في نفسي من الدجال. قال: وما الذي أخوف في نفسك من الدجال؟ قلت: إني أخاف أن يسلب مني إيماني ولا أدري. قال: لله أمك يا ابن الكندية، أترىٰ في الناس خمسين يتخوفون مثل ما تخوف؟ ...، والله ما أمن رجل قط يسلب منه إيمانه إلا سلبه، وما سلبه فوجد له فقدًا.

أن أُسلَب التوحيد في آخر الوقت[1]. وقد كان رحمه الله أحد الخائفين، كما سيأتي في الحكايات.

(**وحُكي عن بعض الخائفين**) ولفظ القوت: وحدثني بعض إخواني عن بعض الصادقين، وكان خائفًا (**أنه أوصىٰ بعض إخوانه فقال: إذا حضرتني الوفاة فاقعدْ عند رأسي، فإذا**) عاينتُ فانظر إليَّ، فإن (**رأيتني متُّ علىٰ التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشترِ به لوزًا وسكرًا وانثرْه علىٰ صبيان أهل البلد وقلْ: هذا عُرس المنفلِّت**) الحاذق (**وإن متُّ علىٰ غير التوحيد فأعلِم الناسَ**) أني متُّ علىٰ غير الإسلام (**حتىٰ لا يغترُّوا بشهود جنازتي؛ ليحضر جنازتي مَن أحَب علىٰ بصيرة لئلاً يلحقني الرياءُ بعد الموت**) فأكون قد خدعتهم حيًّا وميتًا (**قال**) له صاحبه: (**وبِمَ أعلم ذلك؟ فذكر له علامة**) وهي أنه قال له: ضَعْ أصبعك في كفِّي، فإن أمسكتُها وشددتُ عليها فاعلمْ أني قد متُّ علىٰ التوحيد، وإن أرسلتُها ونبذتها فاعلمْ أن حالي سيئة. ففعل (**فرأىٰ علامة التوحيد عند موته**) بأن قبض علىٰ إصبعه وشدَّها، فلم يخرجها من كفِّه إلا بعد موته. قال: فنفَّذ وصيته (**فاشترىٰ السكر واللوز وفرَّقه**) عند موته كما أمر، قال: ولم أحدِّث بذلك أحدًا إلا خصوص إخواني من العلماء، وذلك أن العبد مهما عمل في حياته من سوء أعيدَ ذِكره عليه عند فراق الحياة وقُلِّب قلبه فيه وأُشهِد وجدُه إيَّاه عند آخر ساعة من وفاته، فإن استحلَىٰ ذلك بقلبه واستهوته نفسُه وقف معه وسكن إليه، فإذا وقف معه حُسب عليه وجُعل عملاً من أعماله، إلا أنه من أعمال القلوب في الوقت، وقد تقدم سعيُه فيه وهواه قبل الوقت، وكان ذلك سببًا فأتبعَ سببًا وإن قلَّ، وكان هو الخاتمة، فسبحان متيح الأسباب وجاعلها أبوابًا ومقيِّض القُرَناء وجاعلهم حجابًا.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٦١ وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ٢/ ٣٢١ عن مجيب بن موسىٰ الأصفهاني قال: كنت عديل سفيان الثوري إلىٰ مكة، فرأيته يكثر البكاء، فقلت له: يا أبا عبد الله، بكاؤك هذا خوفا من الذنوب؟ فأخذ عودا من المحل فرمىٰ به فقال: إن ذنوبي أهون عليَّ من هذا، ولكني أخاف أن أسلب التوحيد.

(وكان) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله (**يقول: المريد يخاف أن يُبتلَىٰ بالمعاصي، والعارف يخاف أن يُبتلَىٰ بالكفر**) نقله صاحب القوت، قال:

(و) كذلك (**كان أبو يزيد**) البسطامي رحمه الله تعالىٰ قبله (**يقول: إذا ذهبتُ إلىٰ المسجد كأن في وسطي زنَّار أخاف أن يذهب بي إلىٰ البيعة وبيت النار حتىٰ أدخل المسجد فينقطع عني الزنار، فهذا لي في كل يوم خمس مرات**) هذا لعلمهم بسرعة تقلُّب القلوب في قدرة علاَّم الغيوب. كذا في القوت.

وقال القشيري في الرسالة[١]: وقال أبو يزيد: منذ ثلاثين سنة أصلي واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصلِّيها كأني مجوسي أريد أن أقطع زناري.

قال الشارح[٢]: فسَّره في موضع آخر فقال: كنت ثنتي عشرة سنة حدَّاد نفسي، وخمس سنين مرآة قلبي، وسنة أنظر فيما بينهما، فإذا في وسطي زُنَّار ظاهر، فعملتُ في قطعه ثنتي عشرة سنة، ثم نظرت فإذا في وسطي زُنَّار باطن، فعملت في قطعه خمس سنين. فلمَّا قطعه رأىٰ الخلق كلَّهم - وهو منهم - كالموتىٰ فكبَّر عليهم أربع تكبيرات[٣]. وذلك لأن الحدَّاد شأنه أن يحمي الحديد ويطرقه ليصفِّيه ويُخرِج وسخه، فقال: كنت أعدِّل جوارحي وخواطري بالخوف والرجاء هذه المدة حتىٰ اعتدلت علىٰ الشريعة، فرأيت في نفسي التفاتًا إلىٰ الخلق؛ ليعرفوا ما أنا عليه من الطاعة الخالصة، فشبَّه نفسه حيث التفت في عمله إلىٰ غير الله بعلامة الشرك وهي الزُّنَّار الظاهر، فعملَ في قطعه، فلمَّا تخلَّص منه أُعجِبَ بنفسه وهواه وحمدَ نفسَه علىٰ ذلك ونسي منَّة ربه عليه، فلما أدرك ذلك رأىٰ زنَّارًا باطنًا، حيث جعل لنفسه أثرًا في طاعته، فلمَّا منَّ الله عليه برؤية فضله عليه وأن جميع الخلق كالموتىٰ في أنهم لا يضرُّون ولا ينفعون كبَّر عليهم أربع تكبيرات، فذكر الله وحده، واستند إليه دون

(١) الرسالة القشيرية ص ٦٤.

(٢) إحكام الدلالة ١/ ١١٥.

(٣) رواه عنه القشيري في الرسالة ص ١٨٨ - ١٨٩.

غيره، فقوله «كأنّي في صلاتي مجوسي» يعني في المدة التي كان يعمل فيها في قطع الزنّار الظاهر مع ما قبلها. والله أعلم.

(و) قد (رُوي) معنىٰ ذلك (عن المسيح عليه السلام أنه قال: يا معشر الحواريين، أنتم تخافون المعاصي، ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر) كذا في القوت.

(ورُوي في أخبار الأنبياء) عليهم السلام (أن نبيًّا) منهم (شكا إلىٰ الله تعالىٰ الجوع والقمل والعري سنين، وكان لباسه الصوف، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: عبدي، أما رضيتَ أن عصمتُ قلبك) أي حفظتُه من (أن تكفر بي حتىٰ تسألني الدنيا؟ فأخذ التراب فوضعه علىٰ رأسه وقال: بلىٰ، قد رضيت يا رب، فاعصمْني من الكفر) فلم يذكر له نعمته عليه بنبوَّته وعرَّضه للكفر وجوَّز دخولَه عليه بعد النبوة، فاعترف بذلك فاعتصم. كذا في القوت[1].

(وإذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء)؟ بل هم بطريق الأَولىٰ (ولسوء الخاتمة أسباب تتقدَّم علىٰ الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة) وقد رُوي في معنىٰ حديث: «مَن غشَّ أمَّتي فعليه لعنة الله». قيل: وما غشُّ أمَّتك؟ قال: «أن يبتدع لهم بدعة فيُتَّبَع عليها، فإذا فعل ذلك فقد غشَّهم» (ولذلك اشتد خوف الصحابة) رضوان الله عليهم (من النفاق) كما هو معروف من سِيَرهم وأحوالهم (حتىٰ قال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: (لو أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إليَّ ممَّا طلعت عليه الشمس)[2] هذا مع فضله وزهده وورعه. نقله صاحب القوت.

(وما عنوا به النفاقَ الذي هو ضد أصل الإيمان) كما يتبادر إلىٰ الأذهان (بل

---

(١) انظر لزامًا: أبكار الأفكار للآمدي ٤/ ١٤٤.

(٢) رواه الخلال في السنة ٥/ ٧٧ والفريابي في صفة النفاق ص ٧٣ عن طريف بن شهاب البصري قال: قلت للحسن: إن أقواما يزعمون أن لا نفاق، ولا يخافون النفاق. فقال الحسن: والله، لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحب إليَّ من طلاع الأرض ذهبا.

المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلمًا منافقًا، وله علامات كثيرة، قال ﷺ: أربع) خِصال (**مَن كنَّ فيه**) أي وُجِدن (**فهو منافق خالص وإن صلىٰ وصام وزعم أنه مسلم، وإن كانت فيه خصلة منهن ففيه شُعبة من النفاق حتىٰ يَدَعها)** أي يتركها (**مَن إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمِن خانَ، وإذا خاصم فجرَ. وفي لفظ آخر: وإذا عاهد غدرَ**) ولفظ القوت: ومن المخاوف خوف النفاق، قد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يخافون النفاق ويشفقون أن يكون فيهم شعبة منه أو دقيقة من حيث لا يعلمون، هذا لأن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث مَن كنَّ فيه فهو منافق». وفي حديث عبد الله بن عمرو: أربع. ورويناها خمسًا من ثلاثة أحاديث جمعناها فكانت خمس خصال، مَن كنَّ فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلىٰ وزعم أنه مسلم. وفي لفظ آخر: «أربعٌ مَن كنَّ فيه فقد أولج النفاق من قرنه إلىٰ قدمه، ومَن كانت فيه واحدة منهن ففيه شعبة من نفاق حتىٰ يَدَعها: مَن إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمِن خان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر» [ولمَّا حضرت عمروَ بن العاص الوفاةُ قال لبنيه: أنكِحوا فلانًا ابنتي من بعدي] قال: فجعل بعضنا ينظر إلىٰ بعض تعجُّبًا؛ إذ لم يكن الرجل كفؤًا لها، قال: إني كنت وعدتُه أن أزوِّجه ابنتي، وأخاف أن ألقىٰ الله بثلث النفاق[1]. وقد كانوا يقولون: الكذب باب من النفاق. ومن عزائم الأخبار وشدائدها خبران وردا بأربعة أخلاق أنها لا توجد في مؤمن، أحدهما: قوله ﷺ: «يُجبَل المؤمن علىٰ كل خُلُق إلا الخيانة». وبمعناه: الكذب مُجانِب الإيمان. وقد يدخل الكذب في الأفعال والأحوال دخولَه في المقال، وليس يَعْرَىٰ من الكذب اليوم إلا الصدِّيقون دون الصادقين. والخبر الآخَر: قوله ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخُلق». وليس يعرىٰ من البخل علىٰ مذهب أهل المعرفة في هذا الوقت إلا

---

(١) تقدمت هذه القصة في كتاب آفات اللسان [الآفة الثالثة عشر: الوعد الكاذب] بسياق آخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

الأبدال، فقد سُئل بعضهم عن البخل فقال: هو أن تملك الشيء فتدَّعي مِلكه لتمنع الغير أن يأخذه منك. وقال بعض العارفين: البخيل مَن لم يؤثِر بالشيء مع الحاجة إليه. فوجود بعض هذه الأخلاق الدنيَّة - وهي من صفات النفس وجِبِلَّة الطبع وآفات العقل - موجِب للخوف من النفاق، فإنَّ هذه علامة نقص [الإيمان] أو فقدِ اليقين؛ إذ العلامات قد توجد والدلائل في الحال قد تشهد ويتأخر حكمها ووقوع حقائقها إلىٰ المآل. ا.هـ.

والحديث المذكور قد تقدَّم في قواعد العقائد، وقد رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو: «أربع مَن كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومَن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يَدَعها: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجرَ». وفي لفظ للشيخين: «إذا اؤتمِن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». ورواه كذلك الخرائطي في مساوئ الأخلاق[1] وابن عساكر[2] من رواية مسروق عن ابن مسعود.

(وقد فسَّر الصحابة) ﷺ **(والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منها إلا صدِّيق؛ إذ قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالىٰ: **(إن من النفاق)** ولفظ القوت: وكان يقول: كانوا يعدُّون **(اختلاف السر والعلانية)** واختلاف الظاهر والباطن **(واختلاف اللسان والقلب)** نفاقًا **(و)** قال مرةً: كانوا يعدُّون **(اختلاف)** القول والعمل و**(المدخل والمخرج)** نفاقًا[3].

(ومَن الذي يخلو من هذه المعاني؟ بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس

---

(١) مساوئ الأخلاق ص ٧٤، ١٤٢.

(٢) تاريخ دمشق ٢٧/ ٣٩٦.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ٢٧٢، والخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ٦٢، والخلال في السنة ٥/ ٧٢، والفريابي في صفة النفاق ص ٥٤.

معتادة، ونُسي كونها منكرًا بالكلية، بل جرىٰ ذلك علىٰ قرب عهدٍ بزمان النبوَّة، فكيف الظن بزماننا؟! حتىٰ قال حذيفة) بن اليمان (رضي الله عنه: **إن كان الرجل لَيتكلم بالكلمة علىٰ عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقًا)** حتىٰ يلقىٰ اللهَ **(وإني لأسمعها من أحدكم)** يتكلم بها **(في اليوم)** ولفظ القوت: في المجلس الواحد **(عشر مرات)** ولفظ القوت: خمس مرات. رواه أحمد عن عبد الله بن نُمَير، حدثنا رزين الجُهَني، حدثنا أبو الرُّقاد قال: خرجت مع مولاي وأنا غلام، فدفعت إلىٰ حذيفة وهو يقول: إن كان الرجل لَيتكلمُ بالكلمة علىٰ عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقًا، وإني لأسمعُها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات، لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر ولتحاضُّنَّ علىٰ الخير أو ليسحتنَّكم الله جميعًا بعذاب أو ليؤمرنَّ عليكم شِراركم ثم يدعو خياركم فلا يُستجاب لكم». وقد رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه، وتقدم في قواعد العقائد.

(وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إنكم لَتعملون أعمالاً هي أدقُّ في أعينكم من الشعر، كنا نعدُّها علىٰ عهد رسول الله ﷺ من الكبائر) وفي لفظ: من الموبقات. قال العراقي[1]: رواه البخاري من حديث أنس، [وأحمد] والبزَّار من حديث أبي سعيد، وأحمد والحاكم من حديث عبادة [بن قرص] وصحَّح إسناده، وتقدم في التوبة.

قلت: وأخرج أبو نعيم في الحلية[2] عن حذيفة قال: المنافقون اليوم شرٌّ منهم علىٰ عهد رسول الله ﷺ، كانوا إذ ذاك يسرُّونه، وهم اليوم يعلنونه.

قال صاحب القوت: وهذا كما قال؛ لأن إعلان المعاصي والجهار بها أعظم من التستُّر والتخفِّي؛ لأنها إذا أُسِرَّت لم تضرَّ إلا صاحبها، وإذا أُعلِنت ضرَّت العامَّة

(١) المغني ٢/ ١٠٧٢.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٨٠.

وقد رواه أيضا البخاري في صحيحه ٤/ ٣٢٣.

ونكأت في الإسلام وأوهنت شأن الدين.

(**وقال بعضهم: علامة النفاق أن يكره من الناس ما يأتي مثله**) نقله صاحب القوت. قال: (و) روينا مسندًا: من النفاق (**أن يحب علىٰ شيء من الجور، وأن يبغض علىٰ شيء من الحق**)[1] وسُئل وهب: مَن المنافق؟ قال: الذي يحب المدح ويكره الذم[2]. ورُوي مسندًا من طريق أهل البيت: «من علامة المنافق أن يحب أن يُحمَد في جميع أموره»[3].

(**وقيل: من النفاق أنه إذا مُدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك**) كذا في القوت، وعلامات النفاق أكثر من أن تُحصَىٰ، هي سبعون علامة، ولا يعرىٰ من النفاق إلا طبقات ثلاث: الصدِّيقون والشهداء والصالحون، وهؤلاء الذين ضمَّهم الله إلىٰ الأنبياء، ووصفهم بكمال النعمة عليهم، وعافاهم من الخبرة بالبلوىٰ، ووقاهم آفة الأهواء لكمال إيمانهم وصفاء يقينهم وحقيقة معرفتهم. ودقائق النفاق وخفايا الشرك عن نقصان التوحيد وضَعف اليقين وترادُف الشهوات وتزايُد العادات عن قوة النفس وتظاهُر صفاتها، فهذه أوجبت المخاوفَ علىٰ المؤمنين خشيةَ مقتِ الله تعالىٰ وخوفَ حبوط الأعمال من حيث لا يشعرون.

(**وقال رجل لابن عمر**) ﷺ: (**إنَّا ندخل علىٰ هؤلاء الأمراء فنصدِّقهم بما يقولون**) ويعلم الله من قلوبنا خلافَ ذلك. وقال مرةً: ندخل عليهم فنمدحهم (**فإذا**

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٣٤٨ مرفوعا من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الشرك أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب شيئا من الجور، أو تبغض علىٰ شيء من الحق، وهل الدين إلا الحب والبغض».

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٤١ وأبو حاتم الرازي في الزهد ص ٥٠ بلفظ: «من خصال المنافق أن يحب الحمد ويكره الذم».

(٣) رواه ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٨٣ عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في أثناء حديث، وفيه: المرائي، بدل: المنافق.

خرجنا تكلَّمنا فيهم. فقال) ابن عمر: **(كنَّا نعدُّ هذا نفاقًا علىٰ عهد رسول الله ﷺ)** كذا نقله صاحب القوت.

(ورُوي) عنه من طريق آخر **(أنه سمع رجلاً يذمُّ الحجاج ويقع فيه)** ولفظ القوت: يسبُّ الحجاج ويذمُّه **(فقال)** له: **(أرأيتَ لو كان الحجاج حاضرًا أكنت تتكلم بما تكلمتَ به؟ قال: لا. قال)** ابن عمر: أما نحن فقد **(كنا نعدُّ هذا نفاقًا علىٰ عهد رسول الله ﷺ)** كذا في القوت، وقد تقدم في قواعد العقائد، قال العراقي[1]: ولم أجد فيه ذِكر الحجاج.

قلت: ذُكر الحجاج فيه في الغيلانيات.

قال صاحب القوت: ولعَمْري لقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يكون بعدي أمراء، مَن دخل عليهم فصدَّقهم بكذبهم وأعانهم علىٰ ظلمهم فليس مني ولست منه، ولن يَرِدَ عليَّ الحوضَ، ولكن مَن كره وأنكر».

(وأشد من ذلك ما رُوي أن نفرًا قعدوا علىٰ باب حذيفة) رضي الله عنه **(ينتظرونه، فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه، فلمَّا خرج عليهم سكتوا حياءً منه، فقال: تكلموا فيما كنتم تقولون. فسكتوا)** وفي القوت: أفيضوا، بدل: تكلموا **(فقال)**: قد **(كنا نعدُّ)** مثل **(هذا نفاقًا علىٰ عهد رسول الله ﷺ)** قال العراقي[2]: لم أجد له أصلاً.

(وهذا حذيفة) رضي الله عنه **(كان قد خُصَّ بعلم المنافقين وأسباب النفاق)** حتىٰ إن عمر رضي الله عنه كان يقول له: هل تعلم فيَّ شيئًا من النفاق؟ **(وكان يقول: إنه تأتي علىٰ القلب ساعةٌ يمتلئ بالإيمان حتىٰ لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة، وتأتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتىٰ لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة)** يعني بهذا عند قوة صفات النفس بالهوىٰ وامتلائها بالشهوة يغيب الإيمان ويحتجب احتجابَ الشمس

(١) المغني ٢/ ١٠٧٢ - ١٠٧٣.

(٢) السابق ٢/ ١٠٧٣.

تحت السحاب، فيرتفع حكمُه عن إظهار أحكامه الموجِبة لمقتضاه من الورع أو الزهد أو المراقبة أو المخافة، كما يرتفع حكم شعاع الشمس إذا حُجبت بكثيف السحاب عن الأرض ولم يقع منها ضوء، وعلىٰ هذا المعنىٰ قوله ﷺ: «لا يزني الزاني وهو مؤمن ...» الحديث. وفي الخبر الآخَر: «مثل الإيمان كالقميص يلبسه أحيانًا ويخلعه أحيانًا». وقد يكون امتلاء القلب بالنفاق بدلاً من امتلائه بالإيمان في وقت دخول الشك عليه[١]؛ لأنه يرفع اليقينَ، وعدم اليقين هو مكان لوجود النفاق، أو في وقت إنكار القدرة من قدر الله تعالىٰ وحين تكذيبه آية من آياته، فوجود ذلك نقص للإيمان، وبنقص الإيمان دخول النفاق، فإن بغت الموتُ في هذه الساعة التي يمتلئ القلب فيها نفاقًا حتىٰ لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة أليس يكون ذلك خاتمته بالنفاق؟ وكذلك إن فجأه الأمرُ بغتةً عند إحدىٰ الخِصال الخمس المذكورة في حديث عبد الله بن عمرو أليس ذلك يصير في آخر عمره من سوء الخاتمة؟

(فقد عرفتَ بهذا أن خوف العارفين من سوء الخاتمة، وأن سببه أمور متقدِّمة، منها البدع، ومنها المعاصي، ومنها النفاق) وقد يتخوَّف الخصوص إذا جُعلوا سببًا لبلاء أن يلحقهم منه ذنبٌ وإن لم يكن لهم فيه قصدٌ ولا عليهم منه حكم، من ذلك قول مريم الصدِّيقة: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ [مريم: ٢٣] لمَّا جُعلت محنة للأمة. وعلىٰ ذلك قولُ عيسىٰ عليه السلام لمَّا سُئل الشفاعة: إني لست هناك، إني أخاف؛ لأني قد عُبدتُ من دون الله تعالىٰ. ومن أعجب ما أُضيفَ إلىٰ العبد فعلُه ممَّا لا يفعله إلا أنه أُجريَ عليه وجُعل مكانًا فيه **(ومتىٰ يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك؟ وإن ظن أنه قد خلا عنه فهو النفاق؛ إذ قيل: مَن أمن النفاقَ فهو منافق)**[٢] كذا في القوت.

(وقال بعضهم لبعض العارفين: إني أخاف علىٰ نفسي النفاقَ. قال: لو كنتَ منافقًا لَما خِفتَ النفاقَ) ولفظ القوت: جاء رجل إلىٰ حذيفة باكيًا قال: هلكتُ.

---

(١) في القوت: في وقت وقوع المعصية مقدر بعلته.

(٢) رواه الفريابي في صفة النفاق ص ٧٤ عن الحسن البصري بلفظ: «من لم يخف النفاق فهو منافق».

قال: ما لك؟ قال: إني أخاف النفاق. فقال له: لو كنتَ منافقًا لم تخفِ النفاقَ، إن المنافق قد أمنَ النفاقَ[١]. فجعل خوف النفاق أمنة منه، وحسبَ الأمنَ منه عَلَمًا لوجوده منه.

(فلا يزال العارف بين الالتفات إلىٰ السابقة والخاتمة خائفًا منهما، ولذلك قال ﷺ: العبد المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضىٰ لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه. فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار) قال العراقي[٢]: رواه البيهقي في الشعب[٣] من رواية الحسن عن رجل من الصحابة، وقد تقدم في ذم الدنيا. وذكره ابن المبارك في الزهد[٤] بلاغًا، وذكره صاحب الفردوس[٥] من حديث جابر، ولم يخرجه ولده في مسند الفردوس.

قلت: لفظ ابن المبارك في كتاب الزهد: «المؤمن عبدٌ بين مخافتين: من ذنب قد مضىٰ لا يدري ما يصنع الله فيه، ومن عمر قد بقي لا يدري ماذا يصيب فيه من المهلكات».

---

(١) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٦/ ٤٤ عن سفيان الثوري قال: قال رجل لحذيفة بن اليمان: أخشىٰ أن أكون منافقا. فقال له: لو كنت منافقا لم تخشَ. ورواه قوام السنة في الترغيب والترهيب ١/ ١٦٧ عن عمران العمي قال: جاء رجل إلىٰ حذيفة فقال له: يا أبا عبد الله، إني أخشىٰ أن أكون منافقا. فقال: تصل إذا خلوت، وتستغفر إذا أذنبت؟ قال: نعم. قال: اذهب فما جعلك الله منافقا. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٥١ والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ٢٠١ عن عبد الله بن مسعود.

(٢) المغني ٢/ ١٠٧٣.

(٣) شعب الإيمان ١٣/ ١٥٣.

(٤) الزهد والرقائق ص ١٢٢.

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٩٣.

بيـان معنى سـوء الخاتمـة

فإن قلتَ: إن أكثر هؤلاء) أي الصالحين (يرجع خوفهم إلىٰ سوء الخاتمة، فما معنىٰ سوء الخاتمة؟ فاعلمْ) هداك الله تعالىٰ (أن سوء الخاتمة علىٰ رتبتين، إحداهما أعظم من الأخرىٰ، فأما الرتبة العظيمة الهائلة فأن يغلب علىٰ القلب عند سكرات الموت) وشدائده (وظهور أهواله إما الشك وإما الجحود، فتُقبَض الروح علىٰ حالة غلبة الجحود أو الشك، فيكون ما غلب علىٰ القلب من عقدة الجحود حجابًا بينه وبين الله تعالىٰ أبدًا، وذلك يقتضي البعدَ الدائم والعذاب المخلَّد) الملازم (و) الرتبة (الثانية، وهي دونها) أي دون الأولىٰ: (أن يغلب علىٰ قلبه عند الموت حبُّ أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها، فيتمثَّل ذلك في قلبه ويستغرقه) أي يغمره (حتىٰ لا يبقىٰ في هذه الحالة متسَع لغيره، فيتفق قبضُ روحه في تلك الحالة، فيكون استغراق قلبه به، منكِّسًا رأسه إلىٰ الدنيا، وصارفًا وجهه إليها، ومهما انصرف الوجه عن الله تعالىٰ حصل الحجاب، ومهما حصل الحجاب) عن الله تعالىٰ (نزل العذاب) لا محالة (إذ نار الله الموقَدة) المشار إليها في الآية (لا تأخذ إلا المحجوبين عنه، فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا، المصروف همُّه إلىٰ الله تعالىٰ) المشار إليه في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩] أي سليم عن حب الدنيا (فتقول له النار: جُزْ يا مؤمن، فإنَّ نورك قد أطفأ لهبي) رُوي ذلك من حديث يعلىٰ بن منية: «تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جُزْ يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي». رواه الطبراني[1]

---

(١) المعجم الكبير ٢٢/ ٢٥٩.

وأبو نعيم[١] والبيهقي[٢] والخطيب[٣]، وضعَّفه البيهقي. ورواه الحكيم في النوادر[٤] بلفظ: إن النار تقول (فمهما اتفق قبضُ الروح في حالة غلبة حب الدنيا فإن الأمر مخطر؛ لأن المرء يموت علىٰ ما عاش عليه) كما أنه يُبعَث علىٰ ما مات عليه (ولا يمكن اكتساب صفة أخرىٰ للقلب بعد الموت تضادُّ الصفةَ الغالبة عليه؛ إذ لا تصرُّف في القلوب إلا بأعمال الجوارح، وقد بطلت الجوارح بالموت، فبطلت الأعمال، فلا مَطمع في عمل، ولا مَطمع في رجوع إلىٰ الدنيا ليتدارك، وعند ذلك تعظُم الحسرةُ) حيث لا تنفع (إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالىٰ إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكَّد ذلك بالأعمال الصالحة فإنه يمحق عن القلب هذه الحالةَ التي عرضت له عند الموت، فإن كان إيمانه في القوة إلىٰ حبة مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب) كما في الخبر: «أخرِجوا من النار مَن كان في قلبه مِثقال حبَّة من إيمان» (وإن كان أقل من ذلك طال مكثُه في النار، ولو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد وأن يخرجه من النار) ولو بعد حين (ولو بعد آلاف سنين) فقد رُوي من مرسَل الحسن: «يخرج من النار رجل بعد ألف عام»، وقد تقدم ذلك.

(فإن قلتَ: فما ذكرتَه يقتضي أن تسرع النارُ إليه عقيب موته، فما باله يؤخَّر إلىٰ يوم القيامة ويُمهَل طول هذه المدة؟ فاعلمْ أن كل مَن أنكر عذاب القبر فهو مبتدع، محجوب عن نور الله تعالىٰ وعن نور القرآن و) عن (نور الإيمان، بل الصحيح عند ذوي الأبصار ما صحَّت به الأخبارُ، وهو أن القبر إما حفرة من حُفَر النار أو روضة من رياض الجنة) رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال: غريب. وتقدَّم في الأذكار (وأنه قد يُفتَح إلىٰ قبر المعذَّب سبعون بابًا من الجحيم، كما وردت به

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٢٩.

(٢) شعب الإيمان ١/ ٥٧٨، قال: «تفرد به سليم بن منصور، وهو منكر».

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٤٣٠، ١٠/ ٣٢١، ١٣/ ٥٩٩.

(٤) نوادر الأصول ص ٧٥.

الأخبار) قال العراقي[١]: لم أجد له أصلًا **(فلا تفارقه روحه إلا وقد نزل البلاء به إن كان قد شقيَ بسوء الخاتمة، وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات، فيكون سؤال منكَر ونكير عند الوضع في القبر)** تقدم في قواعد العقائد **(والتعذيب بعده)** تقدم فيه أيضًا **(ثم المناقشة في الحساب)** تقدم فيه أيضًا **(والافتضاح علىٰ ملأ من الأشهاد في القيامة)** قال العراقي[٢]: روىٰ أحمد[٣] والطبراني[٤] من حديث ابن عمر بإسناد جيد: «مَن انتفَىٰ من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه الله علىٰ رؤوس الأشهاد». وفي الصحيحين[٥] من حديث ابن عمر: «وأما الكافر والمنافق فينادَىٰ بهم علىٰ رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا علىٰ ربِّهم». وللطبراني[٦] والعقيلي في الضعفاء[٧] من حديث الفضل بن عباس: «فُضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة»، وهو حديث طويل منكر.

قلت: حديث ابن عمر الذي عند أحمد والطبراني قد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية[٨]، وعند الكل بعد قوله «الأستشهاد»: «قصاص بقصاص».

وأما الحديث الأخير فقد رواه أيضًا القضاعي[٩]، كلهم من رواية القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس عن أخيه الفضل به مرفوعًا.

---

(١) المغني ٢/ ١٠٧٣.

(٢) السابق ٢/ ١٠٧٤.

(٣) مسند أحمد ٨/ ٤١٤.

(٤) المعجم الكبير ١٢/ ٤٠١.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ١٩٠، ٣/ ٢٤٢ - ٢٤٣. صحيح مسلم ٢/ ١٢٦٩.

(٦) المعجم الكبير ١٨/ ٢٨٠ - ٢٨١.

(٧) الضعفاء الكبير ٣/ ١١٦٥ - ١١٦٦.

(٨) حلية الأولياء ٩/ ٢٢٤.

(٩) مسند الشهاب ١/ ١٧١.

(ثم بعد ذلك خطر الصراط) تقدم في قواعد العقائد **(وهول الزبانية)** قال العراقي[١]: روىٰ الطبراني[٢] من حديث أنس: «الزبانية يوم القيامة أسرع إلىٰ فَسَقة حَمَلة القرآن منها إلىٰ عَبَدة الأوثان والنيران». قال صاحب الميزان: حديث منكر[٣]. وروىٰ ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلاً: «في خَزَنة جهنم ما بين منكبَي أحدهم كما بين المشرق والمغرب».

قلت: وبقية حديث أنس عند الطبراني بعد قوله «النيران»: «فيقولون: يُبدأ بنا قبل عَبَدة الأوثان؟ فيقولون: ليس من يعلم كمَن لا يعلم».

(إلىٰ آخر ما وردت به الأخبار، فلا يزال الشقيُّ مردَّدًا في جميع أحواله بين أصناف العذاب) وأنواعه **(وهو في جملة الأحوال معذَّب إلا أن يتغمَّده الله برحمته)** ويتداركه بلطفه وكرمه **(ولا تظن أن محل الإيمان يأكله التراب، بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبدِّدها)** أي يفرِّقها **(إلىٰ أن يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الأجزاء المتفرقة وتُعاد إليها الروح التي هي محل الإيمان، وقد كانت من وقت الموت إلىٰ الإعادة إما في حواصل طيور خضر معلَّقة تحت العرش إن كانت سعيدة، وإما علىٰ حالة تضادُّ هذه الحالة إن كانت - والعياذ بالله - شقية)** فقد روىٰ الطبراني[٤] من حديث كعب بن مالك وأم مبشر معًا: «أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر تعلق في شجر الجنة حتىٰ يردَّها الله إلىٰ أجسادها يوم القيامة». وروىٰ الطبراني من حديث

(١) المغني ٢/ ١٠٧٤ - ١٠٧٥.

(٢) ومن طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٨٦.

(٣) في ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٣٧٨: «جابر بن مرزوق الجدي. عن عبد الله العمري الزاهد. متهم. حدث عنه قتيبة بن سعيد وعلي بن بحر بما لا يشبه حديث الثقات؛ قاله ابن حبان. قال: وهو الذي يروي عن عبد الله بن عبد العزيز العمري عن أبي طوالة عن أنس مرفوعا: إذا كان يوم القيامة يدعىٰ بفسقة العلماء فيؤمر بهم إلىٰ النار قبل عبدة الاوثان، ثم ينادي منادٍ: ليس من علم كمن لم يعلم. قال ابن حبان: وهذا باطل».

(٤) المعجم الكبير ١٩/ ٦٤ - ٦٦.

كعب بن مالك وحده: «أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تَعلق حيث شاءت».

وروىٰ[1] ابن زنجويه في فوائده من رواية نعيم بن سالم عن أنس رفعه: «أرواح الشهداء تُجعَل في حواصل طير خضر معلَّقة في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت ...» الحديث.

(فإن قلتَ: فما السبب الذي يفضي إلىٰ سوء الخاتمة؟ فاعلمْ أن أسباب هذه الأمور لا يمكن إحصاؤها علىٰ التفصيل، ولكن يمكن الإشارة إلىٰ مَجامِعها. أما الختم علىٰ الشك والجحود فينحصر سببه في فنَّين، أحدهما يُتصوَّر مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الأعمال كالمبتدع الزاهد) دخلت عليه المشاهدة من قِبَل المواجهة بالإنصاف والعدل بمعيار العقل وإتلاف الحد [فجاوزت بهم العلمَ بأخلاقه المرجوَّة من الكرم وخفيِّ الألطاف فتعدَّت بهم الحدودَ] من قِبَل قوة النظر في الاكتساب **(فإنَّ عاقبته مخطرة جدًّا وإن كانت أعماله صالحة)** ويدلُّك علىٰ [صحة] ذلك أن أكثر هذه المخاوف كانت في البصريين وأهل عَبَّادان والعسكريين، وكان مذهبهم القدَر، فوقعوا في غاية الخطر **(ولست أعني مذهبًا فأقول إنه بدعة، فإن بيان ذلك يطول القول فيه، بل أعني بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف)** ما هو **(الحق فيعتقده علىٰ خلاف ما هو عليه إما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصم وعليه يعوِّل وبه يغترُّ)** وذلك مثل أصحاب عمرو بن عبيد وابن عطاء الغزال العطوية والفوطية وأصحاب المنزلة بين المنزلتين **(وإما أخذًا بالتقليد ممَّن هذا حاله، فإذا قرُب الموت وظهرت له ناصية ملَك الموت واضطرب القلب بما فيه فربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلانُ ما اعتقده جهلاً)** فيتمنىٰ أنه لم يُعْطَ عقلاً **(إذ حال الموتِ حالُ كشف الغطاء ومبادئ سكراته منه، فقد ينكشف به بعض الأمور، فمهما بطل عنده ما كان**

---

(١) كنز العمال ٤/ ٤١٣. وتمامه: «فيقول جل جلاله: لكم حاجة؟ فيقولون: ربنا ردنا إلىٰ أجسادنا حتىٰ نستشهد في سبيلك».

اعتقده وقد كان قاطعًا به) وجازمًا **(متيقِّنًا له عند نفسه لم يظنَّ بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد خاصةً؛ لالتجائه فيه إلىٰ رأيه الفاسد وعقله الناقص، بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له؛ إذ لم يكن عنده فرق بين إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد، فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببًا لبطلان بقية اعتقاداته أو)** سببًا **(لشكِّه فيها، فإن اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن يتثبَّت ويعود إلىٰ أصل الإيمان فقد خُتم له بالسوء، وخرجت روحه علىٰ الشرك والعياذ بالله منه، فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالىٰ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾)** [الزمر: ٤٧] وبقوله تعالىٰ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٤٨، الجاثية: ٣٣] **(وبقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾)** [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤] فكم من مغبوط في أحواله تقلَّبت عليه الحال ومُنِيَ بمقارفة قبيح الأعمال، فبدَّل بالأنس وحشةً، وبالحضور غيبةً **(وكما أنه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفَّة اشتغال الدنيا عن القلب، فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الأمور)** ممَّا كان محجوبًا عنه **(إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من أن ينظر إلىٰ الملكوت فيطالع)** عجائب هذا العالَم، ويطالع **(ما في اللوح المحفوظ لتنكشف له الأمور علىٰ ما هي عليه**[1]**، فيكون مثل هذه الحال سبب الكشف، ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات، وكل مَن اعتقد في الله تعالىٰ وفي صفاته وأفعاله شيئًا علىٰ خلاف ما هو به إما تقليدًا)** لآبائه ومشايخه **(وإما نظرًا بالرأي والمعقول فهو في هذا الخطر، والزهد والصلاح لا يكفي)** أعني لا يكفي **(لدفع هذا الخطر، بل لا ينجي منه إلا الاعتقاد الحق، والبُلْه)** الغافلون **(بمعزل عن هذا الخطر، أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانًا مجملاً راسخًا)** قويًّا **(كالأعراب)** سكان البادية **(والسوادية)** ساكني الريف **(وسائر**

---

(١) انظر: العواصم من القواصم لابن العربي ص٦٧ - ٨٦.

العوامِّ الذين لم يخوضوا في البحث والنظر، ولم يشرعوا في الكلام استقلالاً، ولا أصغوا إلىٰ أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم المختلفة، ولذلك قال ﷺ: أكثر أهل الجنة البُلْه) رواه[١] البيهقي في الشعب[٢] والبزار[٣] والديلمي[٤] والخلعي في فوائده، كلهم من طريق سلامة بن روح بن خالد قال: قال عقيل: حدثني ابن شهاب عن أنس مرفوعًا، وسلامة فيه لين، ولم يسمع من جد أبيه عقيل، إنما أخذ من كتبه، وعُدَّ هذا الحديث في أفراده، لكن هو عند القضاعي[٥] من طريق يحيىٰ بن أيوب حدثنا عقيل به. وهو في الكنجروذيات من طريق محمد بن العلاء الأيلي عن يونس بن يزيد عن الزهري، وقال العسكري: إنه غريب من حديث الزهري، وهو من حديث يونس عنه أغرب، لا أعلمه إلا من هذا الوجه. وله شاهد عند البيهقي[٦] أيضًا من حديث مصعب بن ماهان عن الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر، وقال عقبه: إنه بهذا الإسناد منكر. وجاء عن سهل التستري في تفسيره قال: هم الذين ولهت قلوبُهم وشُغلت بالله عَزَّوَجَلَّ. وعن أبي عثمان: هو الأبله في دنياه، الفقيه في دينه. وعن الأوزاعي قال: هو الأعمىٰ عن الشر، البصير بالخير. أخرجها البيهقي في الشعب[٧]. وقد تقدم هذا الحديث[٨].

(ولذلك منع السلفُ من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الأمور، وأمروا الخلق أن يقتصروا علىٰ أن يؤمنوا بما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ جميعًا

---

(١) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٧٤.

(٢) شعب الإيمان ٢/ ٤٩٨ - ٤٩٩.

(٣) مسند البزار ١٣/ ٣٢.

(٤) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٣٦٢.

(٥) مسند الشهاب ٢/ ١١٠ - ١١١.

(٦) شعب الإيمان ٢/ ٤٩٧.

(٧) السابق ٢/ ٤٩٩.

(٨) في كتاب عجائب القلب.

وبكل ما جاء من الظواهر) في الكتاب والسنَّة (مع اعتقاد نفي التشبيه) وإثبات التنزيه والتقديس (ومنعوهم من الخوض في التأويل) وفتحِ هذا الباب رأسًا (لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم، وعقباته كَؤدة) أي متعبة (ومسالكه وَعِرة) أي صعبة (والعقول عن درك جلال الله تعالىٰ) وعظمته (قاصرة، وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جُبِلت عليه من حب الدنيا محجوبة) فلا تهتدي إليها (وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم) وآرائهم (مضطرب) ومنتقض (ومتعارض، والقلوب لِما أُلقيَ إليها في مبدأ النشأة آلفة، وبه متعلقة) وآنسة (والتعصُّبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكِّدة للعقائد الموروثة) عن الآباء (أو المأخوذة بحسن الظن من المعلِّمين في أول الأمر، ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة، وعليها مقبلة، وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة، وعن تمام الفكر صارفةٌ، فإذا فُتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طبائعهم وحرصِ كل جاهل منهم علىٰ أن يدَّعي الكمالَ والإحاطة بكُنْه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم، وتعلَّق ذلك بقلوب المصغين إليهم) المستمعين لهم (وتأكَّد ذلك بطول الإلف فيهم، فانسدَّ بالكلِّية طريق الخلاص عليهم، فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة) من العبادة من صلاة وصيام وقراءة وأذكار (ولا يتعرَّضوا لِما هو خارج عن حدِّ طاقتهم، ولكن الآن قد استرخَىٰ العنانُ، وفشا الهَذَيان) وثارت التعصُّبات (ونزل كل جاهل علىٰ ما وافق طبعه بظن وحُسبان، وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان، وأنه صفو الإيمان، ويظن أن ما قنع به من حَدْس وتخمين) هو (علم اليقين وحق اليقين) كلاً (ولتعلمُنَّ نبأه بعد حين. وينبغي أن يُنشَد في هؤلاء عند كشف الغطاء) هذان البيتان:

(أحسنتَ ظنَّك بالأيام إذ حسنتْ ولم تخفْ سوءَ ما يأتي به القدَرُ
وسالمَتْك الليالي فاغتررتَ بها وعندصفو الليالي يحدُث الكدرُ)[1]

---

(١) ينسب هذان البيتان للإمام الشافعي، وهما في ديوانه ص ٧٨ (ط - دار الكتاب العربي). وذكر=

وقال القشيري في الرسالة: سمعت الأستاذ أبا علي الدَّقَّاق ينشدهما كثيرًا ا.هـ. أنشدني إيَّاهما الشيخ الأديب عبد الله بن عبد الله بن سلامة المؤذِّن قال: أنشدني إياهما شيخنا أبو المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحنفي قُدِّس سره قبل موته بيسير، فكان آخر ما سمعته منه.

(واعلمْ يقينًا أن كل مَن فارق الإيمانَ الساذج بالله ورسله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرَّض لهذا الخطر، ومثاله مثال مَن انكسرت سفينته وهو في ملتطم الأمواج، يرميه موج إلىٰ موج، فربما يتفق أن يلقيه إلىٰ الساحل) فينجو (وذلك بعيد، والهلاك عليه أغلبُ، وكل نازل علىٰ عقيدة تلقَّفها من الباحثين ببضاعة عقولهم إما مع الأدلة التي حرَّروها في تعصُّباتهم أو دون الأدلة، فإنه إن كان شاكًّا فيه فهو فاسد الدين، وإن كان واثقًا به فهو آمِن من مكر الله، مغترٌّ بعقله الناقص، وكل خائض في البحث فلا ينفكُّ عن هاتين الحالتين) لا محالة **(إلا إذا جاوز حدودَ المعقول إلىٰ نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالَم النبوَّة والولاية، وذلك هو الكبريت الأحمر)** في عزة وجوده **(وأنَّىٰ يتيسَّر)** ذلك؟ **(وإنما يَسلم عن هذا الخطرِ البُلْهُ من العوامِّ والذين شغلهم خوفُ النار بطاعة الله تعالىٰ فلم يخوضوا في هذا الفضول. فهذا أحد الأسباب المخطرة في سوء الخاتمة. وأما السبب الثاني فهو ضعف الإيمان في الأصل، ثم استيلاء حب الدنيا علىٰ القلب)** وغلبته عليه **(ومهما ضعُفَ الإيمانُ ضعُفَ حب الله تعالىٰ وقويَ حبُّ الدنيا)** لأنهما ضدَّانِ **(فيصير بحيث لا يبقىٰ في القلب موضعٌ لحب الله تعالىٰ إلا من حيث حديث نفس، ولا يظهر له أثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان، فيورث ذلك الانهماكَ في اتِّباع الشهوات حتىٰ يظلم القلبُ ويقسو ويسودَّ وتتراكم ظلمة الذنوب علىٰ القلب، ولا يزال يُطفَأ ما فيه من نور الإيمان علىٰ ضعفه حتىٰ يصير طبعًا ورَيْنًا)** وإليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿فَطُبِعَ

= المسعودي في مروج الذهب ٣/ ٢٣٩ أن أبا جعفر المنصور كان جالسا في مجلسه إذ سقط بين يديه سهم فذعر منه ذعرا شديدا، ثم أخذه فإذا هو مكتوب علىٰ إحدىٰ ريشتيه هذان البيتان.

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون: ٣] وقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ [المطففين: ١٤] **(فإذا جاءت سكرات الموت)** وشداته **(ازداد ذلك الحب - أعني حب الله تعالىٰ - ضعفًا لِما يبدو من استشعار فراق الدنيا، وهي**[1] **المحبوب الغالب علىٰ القلب، فيتألَّم القلب باستشعار فراق الدنيا، ويرىٰ ذلك من الله فيختلج ضميرُه)** أي يتحرك **(بإنكار ما قُدِّر عليه من الموت وكراهته ذلك من حيث إنه من الله، فيخشىٰ أن يثور في باطنه بغضُ الله تعالىٰ بدل الحب، كما أن الذي يحب ولده حبًّا ضعيفًا إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها)** وأتلفها **(انقلب ذلك الحب الضعيف بغضًا، فإن اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرةُ فقد خُتم له بالسوء وهلك هلاكًا مؤبَّدًا، والسبب الذي يفضي إلىٰ مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجِب لضعف حب الله تعالىٰ، فمَن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضًا فهو أبعد عن هذا الخطر)** لأن العبرة بالغالب **(وحب الدنيا رأس كل خطيئة)** كما ورد **(وهو الداء العضال)** أي الصعب **(وقد عمَّ أصنافَ الخلق)** واستغرقهم **(وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالىٰ؛ إذ لا يحبه إلا مَن عرفه)** فالمحبة ثمرة المعرفة **(ولهذا قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ الآية)** [التوبة: ٢٤] أي إلىٰ آخرها **(فإذًا كل مَن فارقته روحُه في حالةِ خطرةِ الإنكارِ علىٰ الله تعالىٰ بباله وظهور بغضِ فعلِ الله بقلبه في تفريقه بينه وبين أهله وماله وسائر مَحابِّه)** الدنيوية **(فيكون موته قدومًا علىٰ ما أبغضه وفراقًا لِما أحبه، فيُقدِم علىٰ الله قدوم العبد المبغَض)** الممقوت **(الآبق إذا قُدِمَ به علىٰ مولاه قهرًا)** وجبرًا **(فلا يخفىٰ ما**

---

(١) في نسخة: وبقي. ذكره محقق المنهاج ٧/ ٥٨٠.

يستحقُّه من الخِزي والنَّكال) وأنواع الهوان (وأما الذي يتوفى على الحب فإنه يقدُم على الله قدومَ العبد المحسن) المطيع (المشتاق إلى مولاه، الذي تحمَّل مشاقَّ الأعمال ووَعْثاء الأسفار) أي شدائدها (طمعًا في لقائه) ورجاءَ مشاهدته (فلا يخفَىٰ ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرَّد القدوم، فضلاً عمَّا يستحقُّه من لطائف الإكرام وبدائع الإنعام.

وأما الخاتمة الثانية التي هي دون الأولىٰ وليست مقتضية للخلود في النار فلها أيضًا سببان، أحدهما: كثرة المعاصي وإن قويَ الإيمانُ، والآخَر: ضعفُ الإيمان وإن قلَّت المعاصي. وذلك لأن مقارفة المعاصي) أي ملابستها (سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الإلف والعادة، وجميع ما ألَفَه الإنسان في عمره يعود ذِكرُه إلىٰ قلبه عند موته، فإن كان ميله الأكثر إلىٰ الطاعات كان أكثر ما يحضره ذِكر طاعة الله، وإن كان ميله الأكثر إلىٰ المعاصي غلب ذِكرُها علىٰ قلبه عند موته، فربما تُقبَض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيَّد بها قلبُه ويصير محجوبًا عن الله تعالىٰ) لاشتغاله بما تقيَّد به قلبُه (والذي لا يقارف الذنبَ إلا الفينة بعد الفينة) أي المرة بعد المرة (فهو أبعد عن هذا الخطر، والذي لم يقارف ذنبًا أصلاً فهو بعيد جدًّا عن هذا الخطر، والذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته وقلبُه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقِّه جدًّا، ويُعرَف هذا بمثال وهو أنه لا يخفَىٰ عليك أن الإنسان يرىٰ في منامه جملةً من الأحوال التي عهدَها طول عمره، حتىٰ إنه لا يرىٰ إلا ما يماثل مشاهداته) أو يقاربها (في اليقظة، وحتىٰ إن المراهق) وهو مَن قارب الاحتلامَ (الذي يحتلم لا يرىٰ صورة الوقاع إذا لم يكن قد واقع في اليقظة، ولو بقي كذلك مدةً لَما رأىٰ عند الاحتلام صورة الوقاع) لأنه لم يعهده قبل ذلك (ثم لا يخفَىٰ أن الذي قضىٰ عمره في الفقه يرىٰ من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر ممَّا يراه التاجر[1] الذي

---

(١) في أ، وب، وط المنهاج ٧/ ٥٨٢، ٥٨٣: النجار. في المثال كله.

قضىٰ عمره في التجارة، والتاجر يرىٰ من الأحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر ممَّا يراه الطبيب والفقيه؛ لأنه إنما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبةٌ مع القلب بطول الإلف أو بسبب آخر من الأسباب، والموت شبه النوم) ولذلك قيل إنه أخوه (ولكنه فوقه) بمراتب (ولكن سكرات الموت وما يتقدَّمه من الغشية قريب من النوم، فيقتضي ذلك تذكُّرَ المألوف وعَوده إلىٰ القلب، وأحد الأسباب المرجِّحة لحصول ذِكره في القلب طولُ الإلف، وطول الإلف بالمعاصي والطاعات أيضًا مرجِّح، ولذلك تخالف ماناماتُ الصالحين منامات الفُسَّاق، فتكون غلبة الإلف سببًا لأن تتمثَّل في قلبه صورة فاحشة وتميل إليها نفسه، فربما تُقبَض عليها روحُه فيكون ذلك سبب سوء الخاتمة وإن كان أصل الإيمان باقيًا بحيث يُرجَىٰ له الخلاص منها) بسببه (وكما أن ما يخطر في اليقظة إنما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالىٰ فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالىٰ يعرف بعضها) بتعريف الله إياه (ولا يعرف بعضها، كما أنَّا نعلم أن الخاطر ينتقل من الشيء إلىٰ ما يناسبه إمَّا بالمشابهة أو بالمضادَّة أو بالمقارنة بأن يكون قد ورد علىٰ الحس منه. أما بالمشابهة فبأن ينظر إلىٰ جميل فيتذكَّر جميلاً آخر) سواه وهو مشابه له في جماله (وأما بالمضادَّة فبأن ينظر إلىٰ جميل فيتذكَّر قبيحًا ويتأمَّل في شدة التفاوت بينهما) في الجمال والقبح (وأما بالمقارنة فبأن ينظر إلىٰ فرس) كان (قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكَّر ذلك الإنسانَ) بانتقال الخاطر إليه (وقد ينتقل الخاطر من شيء إلىٰ شيء ولا يدري وجه مناسبته له، وإنما يكون ذلك بواسطة وبواسطتين) وأكثر (مثل أن ينتقل من شيء إلىٰ شيء ثانٍ، ومنه إلىٰ شيء ثالث، ثم ينسىٰ الثاني ولا يكون بين الثالث والأول مناسبة) ظاهرة توجب انتقالَ الخاطر إليه (ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة، وبين الثاني والأول مناسبة) إما قريبة أو بعيدة (فكذلك لانتقالات الخواطر في المنامات أسباب من هذا الجنس، وكذلك عند سكرات الموت، [فإن الخواطر تنتقل فيها في أمور بعضها مرتبط بالبعض بأسباب مختلفة][1]، [فعلىٰ هذا - والعلم عند الله- مَن

(١) سقط من أ، وب، وط الشعب.

كانت الخياطة أكثر اشتغاله فإنك تراه يومئ إلىٰ رأسه كأنَّه يأخذ إبرته ليخيط بها ويبلُّ أصبعه التي لها عادة بالكشتبان، ويأخذ الإزار من فوقه ويقدِّره ويشبره كأنَّه يتعاطَىٰ تفصيلَه، ثم يمد يده إلىٰ المِقْراض][1].

ومَن أراد أن يكفَّ خاطره عن الانتقالات إلىٰ المعاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر في فطامه نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب، فهذا هو القدْر الذي يدخل تحت الاختيار) والمراد بطول العمر هنا معظمه وهو أيام السلوك حتىٰ يتمرَّن علىٰ الفطام والقمع، وإلا فإن شغل عمره كلَّه فيه فمتىٰ يتفرَّغ لمعرفة الله تعالىٰ؟ (ويكون طول المواظبة علىٰ الخير وتخلية الفكر عن الشر عدَّة وذخيرة لحالة سكرات الموت، فإنه يموت المرء علىٰ ما عاش عليه، ويُحشَر علىٰ ما مات عليه) كما في الخبر (ولذلك نُقل عن بقَّال) وهو من يبيع الفواكه اليابسة وغيرها فقيل: (إنه كان يلقَّن عند الموت كلمتَي الشهادة فيقول: خمسة ستة أربعة. فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال إلفه به قبل الموت) فغلب علىٰ لسانه، ولم يوفَّق للشهادتين (وقال بعض العارفين من السلف: إن العرش جوهرة تتلألأ نورًا، فلا يكون العبد علىٰ حال) من أحواله (إلا انطبع مثاله في العرش علىٰ الصورة التي كان عليها، فإذا كان في سكرات الموت كُشفت له صورته من العرش، فربما يرىٰ نفسه علىٰ صورة معصية، وكذلك يُكشَف له يوم القيامة فيرىٰ أحوال نفسه، فيأخذه من الحياء والخوف ما يجلُّ عن الوصف) نقله صاحب القوت (وما ذكره صحيح، وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك، فإن النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ، وهو جزء من أجزاء النبوَّة) كما ورد ذلك في الخبر (فإذا يرجع سوء الخاتمة إلىٰ أحوال القلب واختلاج الخواطر، ومقلِّب القلوب هو الله تعالىٰ، والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولاً كلِّيًا، وإن كان لطول الإلف فيه تأثير، فلهذا عظُم خوفُ العارفين من سوء الخاتمة؛ لأنه لو

---

(١) زيادة من ط المنهاج ٧/ ٥٨٤، والشعب ١٣/ ٢٣٧٠.

أراد الإنسان أن لا يرىٰ في المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسُرَ عليه ذلك) ولم يمكنه **(وإن كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه ممَّا يؤثِّر فيه، ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلِّية تحت الضبط، وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لِما غلب في اليقظة، حتىٰ سمعتُ الشيخ أبا علي)** الفضل[1] بن محمد بن علي **(الفارَمَذي)** بفاء وألف وراء وميم وذال معجمة، نسبة إلىٰ فارَمَذ: قرية بطوس، وهو لسان خراسان وشيخها وصاحب الطريقة والحقيقة بها، حسن الوعظ، روىٰ عن محمد بن عبد الله بن باكويه الشيرازي وأبي منصور [التميمي] وعنه عبد الغافر الفارسي وأبو الخير جامع الشفاء، وتوفي بطوس سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وأولاده أبو المحاسن علي وأبو الفضل محمد وأبو بكر عبد الواحد كلهم علماء فضلاء زهَّاد **(رحمه الله تعالىٰ يصف لي وجوبَ حسن أدب المريد لشيخه، وأن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله، ولا في لسانه مجادلة عليه، فقال: حكيت لشيخي أبي القاسم)** عبد الرحمن بن علي **(الكُرْكاني)** الطوسي، وكركان تعريب جرجان، قال ياقوت في المشترك[2]: جميع العجم لا يقولونها إلا بالكاف، وهي بين طبرستان وخراسان. ا.هـ. وقيل: من خراسان، وقيل: من طبرستان. والله أعلم. وكان أبو علي الفارمذي قد صاهر أبا القاسم الكركاني هذا، والمصنف رحمه الله تعالىٰ قد أخذ عن كلٍّ من الفارمذي ويوسف النسَّاج، وهما جميعًا عن أبي القاسم الكركاني هذا، وقد دُفن الكركاني والنسَّاج كلاهما في قبر واحد بطوس، وكل هؤلاء الثلاثة من كبار مشايخ السلسلة النقشبندية، وللكركاني في الأخذ طريقان، أحدهما عن أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي عن أبي علي الحسين بن أحمد الكاتب المصري عن أبي علي الروذباري عن الجنيد بسنده، والثاني - وعليه المدار في سند السلسلة - أنه أخذ عن روحانية أبي يزيد البسطامي عن روحانية

---

(١) الأنساب للسمعاني ٤/ ٣٣٤ - ٣٣٥. لباب الأنساب لابن الأثير ٢/ ٤٠٥. طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ٥/ ٣٠٤ - ٣٠٦.

(٢) المشترك وضعا المفترق صقعا ص ٣٧٤ (ط - عالم الكتب).

جعفر الصادق بسنده[1] (منامًا لي وقلت: رأيتك) كأنَّك (قلتَ لي كذا، فقلتُ: لِمَ ذلك؟ قال: فهجرني شهرًا ولـم يكلمني وقال: لولا أنه كان في باطنك تجويز المطالبة وإنكار ما أقوله لك وإلا ما جرىٰ ذلك علىٰ لسانك في النوم. وهو كما قال؛ إذ قلَّما يرىٰ الإنسان في منامه خلافَ ما يغلب في اليقظة علىٰ قلبه.

فهذا هو القدْر الذي نسمح بذكره في علم المعاملة من أسرار أمر الخاتمة، وما وراء ذلك فهو داخل في علـم المكاشفة) ولا يليق ذِكرُه هنا (وقد ظهر لك بهذا أن الأمن من سوء الخاتمة بأن يرىٰ الأشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجٍّ) أي تسويق (جميع العمر في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ من غير معصية، فإن كنت تعلم أن ذلك مُحال أو عسير فلا بد وأن يغلب عليك من الخوف كما غلب علىٰ العارفين) من عباده (حتىٰ يطول بسببه بكاؤك ونياحتك، ويدوم به حزنك وقلقك) وانزعاجك (كما سنحكيه) فيما بعد (من أحوال الأنبياء) عليهم السلام والأولياء (والسلف الصالحين؛ ليكون ذلك أحد الأسباب المهيِّجة لنار الخوف من قلبك، وقد عرفتَ بهذا أن أعمال العمر كلها ضائعة إن لم تَسلم في النفَس الأخير الذي عليه خروج الروح، وأن سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكل جدًّا، ولذلك كان مطرِّف بن عبد الله) بن الشِّخِّير العامري البصري التابعي رحمه الله تعالىٰ (يقول: إني لا أعجب ممَّن هلك كيف هلك، ولكن أعجب ممَّن نجا كيف نجا) نقله صاحب القوت. وهو في الحلية[2] في ترجمة يحيىٰ بن أبي كثير أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لابنه: لا تعجبْ ممَّن هلك كيف هلك، ولكن اعجبْ ممَّن نجا كيف نجا.

(ولذلك قال حامد اللفَّاف) له ذِكرٌ في الحلية في ترجمة حاتم الأصم: (إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقد مات علىٰ الخير والإسلام تعجَّبت

---

(١) انظر: مفتاح المعية في دستور الطريقة النقشبندية لعبد الغني النابلسي ص ٤٩ - ٦٠.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٧٢.

الملائكة منه وقالوا: كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا)؟! يشيرون بذلك إلىٰ إبليس وهاروت وماروت.

(وكان) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالىٰ (**يومًا يبكي، فقيل له: علامَ تبكي؟ فقال: بكينا علىٰ الذنوب زمانًا، فالآن نبكي علىٰ الإسلام**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وبالجملة، مَن وقعت سفينته في لجَّة البحر**) أي وسطه (**وهجمت عليه الرياح العاصفة**) المختلفة (**واضطربت الأمواج**) من سائر النواحي (**كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك، وقلب المؤمن أشد اضطرابًا من السفينة، وأمواج الخواطر أعظم التطامًا من أمواج البحر، وإنما المخوِّف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: إن الرجل لَيعملُ بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتىٰ لا يبقىٰ بينه وبين الجنة إلا فواق ناقة فيُختَم له بما سبق من الكتاب**) تقدم الكلام عليه قريبًا (**ولا يتَّسع فواق ناقة لأعمال توجب الشقاوةَ**) إذ الروح تكون قريبة من الصدر (**بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطورَ البرق الخاطف**) وفي القوت: ولا يتأتَّىٰ في هذا المقدار من الوقت شيء من عمل الجسم بالجوارح، إنما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول، وفُواق الناقة هو ما بين الحلبتين، وهذا من تقلُّبات القلوب عن حقيقة وجهة التوحيد إلىٰ وجهة الضلال والشرك عندما يبدو له من زوال العقل وذهاب علم المعقول فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب.

(وقال) أبو محمد (**سهل**) التستري رحمه الله تعالىٰ: (**رأيت كأني أُدخِلت الجنة، فرأيت**) ولفظ القوت: فلقيت فيها (**ثلاثمائة نبيٍّ، فسألتهم: ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا؟ قالوا: سوء الخاتمة**) أي فالخاتمة من مكر الله عَزَّوَجَلَّ الذي لا يوصَف، ولا يُفطَن له، ولا عليه يوقَف، ولا نهاية لمكره؛ لأن مشيئته وأحكامه لا غاية لها (**ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطًا عليها، وكان موت**

الفجأة مكروهًا، أما الموت فجأة فلأنه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه علىٰ القلب، والقلب لا يخلو عن أمثاله إلا أن يُدفَع بالكراهة أو بنور المعرفة) وقد لا يصادف ذلك في تلك الساعة **(وأما الشهادة فلأنها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبقَ في القلب سوىٰ حب الله تعالىٰ وخرج حب الدنيا والأهل والمال والولد وجميع الشهوات من القلب؛ إذ لا يهجم علىٰ صف القتال موطِّنًا نفسه علىٰ الموت إلا حبًّا لله وطلبًا لمرضاته وبائعًا دنياه بآخرته وراضيًا بالبيع الذي بايعه الله به؛ إذ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾)** [التوبة: ١١١] إلىٰ آخر الآية **(والبائع راغب عن المبيع)** الذي هو النفس والمال **(لا محالة ومُخرِج حبه من القلب، ومجرَّد حب العوض المطلوب في قلبه)** وهو الجنة **(ومثل هذه الحالة قد تغلب علىٰ القلب في بعض الأحوال، ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها، فصف القتال سببٌ لزهوق الروح علىٰ مثل هذه الحالة. هذا فيمَن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحُسن الصيت بالشجاعة)** أي ليقال: فلان شجاع لا يُطاق **(فإنَّ مَن هذا حالُه وإن قُتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة)** أي رتبة الشهادة **(كما دلَّت عليه الأخبار)** قال العراقي[1]: في المتفق عليه من حديث أبي موسىٰ الأشعري أن رجلاً قال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذِّكر، والرجل يقاتل ليُرَىٰ مكانه، فمَن في سبيل الله؟ فقال: «مَن قاتَل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». وفي رواية: الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حميَّة ويقاتل رياء. وفي رواية: يقاتل غضبًا.

قلت: ورواه كذلك أحمد وأصحاب السنن[2].

(وإذ بانَ لك معنىٰ سوء الخاتمة وما هو مخوِّف فيها فاشتغِلْ بالاستعداد لها، فواظِبْ علىٰ ذِكر الله تعالىٰ، وأخرِجْ من قلبك حب الدنيا، واحرسْ عن

---

(١) المغني ٢/ ١٠٧٥.

(٢) تقدم هذا الحديث في كتاب الأذكار والدعوات.

فعل المعاصي جوارحَك) الظاهرة (وعن الفكر فيها قلبَك، واحترزْ من مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهدك) وطاقتك (فإنَّ ذلك أيضًا يؤثِّر في قلبك) تأثيرًا يحول بينك وبين ذكر الله (ويصرف إليه فكرك وخواطرك) فيشغلك عن الله (وإيَّاك أن تسوِّف وتقول: سأستعدُّ لها إذا جاءت الخاتمة) عند زهوق الروح (فإنَّ كل نفَس من أنفاسك) هو (خاتمتك؛ إذ يمكن أن تُختطَف فيها روحك) بغتةً (فراقِبْ قلبَك في كل تطريفة، وإيَّاك أن تهمله لحظةً، فلعل تلك اللحظة خاتمتك؛ إذ يمكن أن تُختطَف فيها روحك. هذا ما دمتَ في يقظتك، وأما إذا نمتَ فإيَّاك أن تنام إلا علىٰ طهارة الظاهر والباطن وأن يغلبك النومُ إلا بعد غلبة ذِكر الله علىٰ قلبك) إما نفيًا وإثباتًا وإما اقتصارًا علىٰ لفظة «الله»، مع كمال المراقبة (لستُ أقول: علىٰ لسانك، فإن حركة اللسان بمجرَّدها ضعيفة الأثر) بل ولا تأثير لها في تجلية القلب أصلاً (واعلمْ قطعًا أنه لا يغلب عند النوم علىٰ قلبك إلا ما كان غالبًا عليه قبل النوم، وأنه لا يغلب في النوم إلا ما كان غالبًا قبل النوم، ولا تُبعَث من نومك إلا علىٰ ما غلب علىٰ قلبك في نومك، والموت والبعث يشبه النوم واليقظة، فكما لا ينام العبد إلا علىٰ ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا علىٰ ما كان عليه في نومه، فكذلك لا يموت المرء إلا علىٰ ما عاش عليه، ولا يُحشَر إلا علىٰ ما مات عليه) وقد وردت بذلك الأخبار، وتقدم ذِكرُها (وتحقَّقْ يقينًا وقطعًا أن الموت والبعث حالتان من أحوالك، كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك، وآمِنْ بهذا تصديقًا باعتقاد القلب إن لم تكن أهلاً لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة، وراقِبْ أنفاسك ولحظاتك) كلَّها أن تمر في غير ذِكر الله (وإيَّاك أن تغفل عن الله لحظة عين) وفي نسخة: طرفة عين (فإنك إذا فعلتَ ذلك كلَّه) أي من الإيمان القلبي ومراقبة الأنفاس واللحظات (كنتَ مع ذلك في خطر عظيم، فكيف إذا لم تفعل؟ فالناس كلهم هلكىٰ إلا العالِمون، والعالِمون كلهم هلكىٰ إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكىٰ إلا المخلصون، والمخلصون علىٰ خطر عظيم) هذا من قول أبي محمد سهل التستري رحمه الله تعالىٰ، وقد تقدم مرارًا (واعلمْ أن ذلك لا يتيسَّر لك ما

لم تَقنع من الدنيا بقدْر ضرورتك) فقط (وضرورتك) إنما هي (مطعم وملبس ومسكن) والمشرب داخل في المطعم (والباقي كله فضول) ولكل من الثلاثة حدٌّ محدود (والضرورة من المطعم ما يقيم صلبَك) في طاعة الله (ويسد رمقك، فينبغي أن يكون تناولك) لِما تأكله (تناوُل مضطر كارهٍ له، ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك؛ إذ لا فرق بين إدخال الطعام في البطن وإخراجه، فهما ضرورتان في الجِبِلَّة، وكما لا يكون قضاء الحاجة من همَّتك التي يشتغل بها قلبُك فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همَّتك. واعلمْ أنه إن كانت همَّتك ما يدخل بطنَك فقيمتك ما يخرج من بطنك) هكذا قرَّره الحكماء (وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوِّي علىٰ عبادة الله) وطاعته (كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك تظهر في ثلاثة أمور من مأكولك: في وقته وقدْره وجنسه. أما الوقت فأقلُّه أن يكتفي في اليوم والليلة) وهما أربع وعشرون ساعة (بمرة واحدة) ويكون ذلك وقت غروب الشمس (فيواظب علىٰ الصوم. وأما قدْره فبأن لا يزيد علىٰ ثلث البطن) كما ورد ذلك في الخبر (وأما جنسه فأن لا يطلب اللذائذ من الأطعمة، بل يَقنع بما يتفق) ويتيسَّر (فإن قدرتَ علىٰ هذه الثلاث وسقطت عنك مؤنة الشهوات اللذائذ قدرتَ بعد ذلك علىٰ ترك الشبهات) والمحرَّمات (وأمكنك أن لا تأكل إلا من حِلِّه، فإن الحلال يعزُّ) أي يقلُّ وجدانُه (و) إذا وُجِد فإنه (لا يفي بجميع الشهوات) واللذَّات (وأما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة، فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدانق) فقد حصَّل المقصودَ، وحينئذٍ (فطلبك غيره فضول منك يضيع فيه زمانك، ويلزمك الشغلُ الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرةً، والطمع) فيما في أيدي الناس (أخرىٰ) سواء كان (من) الحلال أو من (الحرام والشبهة، وقِسْ بهذا ما تدفع به الحرَّ والبرد عن بدنك، فكل ما حصَّل مقصودَ اللباس إن لم تكتفِ به في خساسة قدْره وجنسه لم يكن لك موقف ومَرَدٌّ بعده، بل كنت ممَّن لا يملأ بطنَه إلا التراب) وفي الخبر: «ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا التراب» (وكذلك المسكن إن اكتفيتَ بمقصوده كفتْك السماءُ سقفًا والأرضُ مستقرًّا،

فإن غلبك حرٌّ أو برد فعليك بالمساجد) فإنها مأوىٰ المساكين **(فإن طلبتَ مسكنًا خاصًّا)** لا يشاركك فيه أحد **(طال عليك)** أمرُه **(وانصرف إليه أكثرُ عمرك)** في تحصيله وإحضاره **(وعمرك هو بضاعتك)** التي بها تربح في معاملاتك **(ثم إن تيسَّر لك فقصدتَ من الحائط سوىٰ كونه حائلاً بينك وبين الإبصار)** أي من الأجنبي **(ومن السقف سوىٰ كونه دافعًا للأمطار فأخذتَ ترفع الحيطان وتزيِّن السقوف فقد تورَّطت في مهواة يبعُد رقيُّك)** أي صعودك **(منها، وهكذا جميع ضرورات أمورك إن اقتصرت عليها تفرَّغت لله وقدرتَ علىٰ التزوُّد لآخرتك والاستعداد لخاتمتك، وإن جاوزتَ حدَّ الضرورة إلىٰ أودية الأماني)** والآمال الكاذبة **(تشعَّبت همومك)** أي كثرت واختلفت **(ولم يبالِ الله في أيِّ وادٍ أهلكك)** وقد روىٰ ابن ماجه والحكيم والشاشي والبيهقي من حديث ابن مسعود: «مَن جعل الهموم همًّا واحدًا هم المعاد كفاه الله سائرَ همومه، ومَن تشعَّبت به الهمومُ من أحوال الدنيا لم يبالِ الله في أيِّ أوديتها هلك»[1] **(فاقبلْ هذه النصيحة ممَّن هو أحوج إلىٰ النصيحة منك، واعلمْ أن متسع التدبير والتزوُّد والاحتياط)** هو **(هذا العمر القصير، فإذا دفعتَه يومًا بيوم في تسويفك)** وإعلالك **(وغفلتك اختُطِفتَ فجأةً في غير وقت إرادتك ولم تفارقك حسرتُك وندامتك)** حيث لا ينفعك ذلك **(فإن كنتَ لا تقدر علىٰ ملازمة ما أُرشِدتَ إليه لضعف خوفك إذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية في تخويفك فإنَّا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو أن يزيل بعض القساوة من قلبك، فإنك تتحقق أن عقل الأنبياء)** عليهم السلام **(والأولياء والعلماء وعلمهم ومكانتهم عند الله تعالىٰ لم يكن دون عقلك وعلمك ومكانتك، فتأملْ مع كلال بصيرتك)** أي ضعفها **(وعمش عين قلبك في)** جملة من **(أحوالهم)** وسِيَرهم **(لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتىٰ كان بعضهم يصعق، وبعضهم يدهش، وبعضهم يسقط مغشيًّا عليه، وبعضهم يخرُّ ميتًا إلىٰ الأرض، ولا غَرْو إن كان ذلك لا يؤثِّر في قلبك، فإنَّ قلوب**

---

(١) تقدم هذا الحديث في كتاب الزكاة.

الغافلين مثل الحجارة) في شدتها وصلابتها **(أو أشد قسوة)** منها (﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾) [البقرة: ٧٤].

بيان أحوال الملائكة والأنبياء(١) عليهم السلام في الخوف

(روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا تغيَّر الهواء وهبَّت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردَّد في الحجرة ويدخل ويخرج، كل ذلك خوفًا من عذاب الله) قال العراقي[٢]: متفق عليه[٣] من حديثها.

(وقرأ ﷺ آية في سورة الحاقة فصعق) رواه حمزة الزيَّات عن حمران بن أعين. كذا في القوت.

قال العراقي[٤]: المعروف فيما رُوي من هذه القصة أنه قُرِئَ عليه: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾ [المزمل: ١٢ - ١٣] فصعق. كما رواه ابن عدي والبيهقي في الشعب مرسلاً، وهكذا ذكره المصنف على الصواب في كتاب السماع، وقد تقدم.

(وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

---

(١) في الجميع: الأنبياء والملائكة.

(٢) المغني ٢/ ١٠٧٥.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٤٢٢، ٣/ ٢٩١. صحيح مسلم ١/ ٣٩٨ - ٣٩٩. ولفظ الحديث: «ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم، وكان إذا عصفت الريح قال: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به. وكان إذا رأى غيما أو ريحا تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سري عنه، فعرفت ذلك في وجهه، فقلت: يا رسول الله، أرى الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية. فقال: يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا».

(٤) المغني ٢/ ١٠٧٥ - ١٠٧٦.

ورأىٰ رسول الله ﷺ صورة جبريل عليه السلام بالأبطح فصعقَ) قال العراقي[١]: روىٰ البزار[٢] من حديث ابن عباس بسند جيد: سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته، فقال: ادْعُ ربَّك. فدعا ربَّه، فطلع عليه من قِبَل المشرق، فجعل يرتفع وينتشر، فلما رآه صعق. ورواه ابن المبارك عن الحسن مرسلاً بلفظ: فغشي عليه[٣]. وفي الصحيحين[٤] من حديث عائشة: رأىٰ جبريل في صورته مرتين. ولهما[٥] عن ابن مسعود: رأىٰ جبريل له ستمائة جناح.

(ورُوي أنه ﷺ كان إذا دخل في الصلاة سُمع لصدره أزيز كأزيز المِرْجَل) رواه[٦] أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث عبد الله بن الشخير، وتقدم في كتاب السماع.

(وقال ﷺ: ما جاءني جبريل قط إلا وهو يرعد فرقًا من الجبار) وفي بعض النسخ: إلا وهو ترعد فرائصه من الجبار. قال العراقي[٧]: لم أجده بهذا اللفظ، وروىٰ أبو الشيخ في كتاب العظمة[٨] عن ابن عباس قال: إن جبريل عليه السلام يوم القيامة لَقائمٌ بين يدي الجبَّار تبارك وتعالىٰ ترعد فرائصه فرقًا من عذاب الله ... الحديث، وفيه زميل بن سماك الحنفي، يُحتاج إلىٰ معرفته.

قلت: بخط الشمس الداودي: لعله أبو زميل سماك بن الوليد الراوي عن

---

(١) السابق ٢/ ١٠٧٦.

(٢) مسند البزار ١١/ ٣٦، وهو عند أحمد في مسنده ٢٩٦٥.

(٣) الزهد ص٧٤ عن ابن شهاب الزهري مرسلا.

(٤) صحيح البخاري ٣/ ٢٩٨. صحيح مسلم ١/ ٩٥.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٤٢٩، ٣/ ٢٩٨. صحيح مسلم ١/ ٩٤.

(٦) المغني للعراقي ٢/ ١٠٧٦.

(٧) السابق ٢/ ١٠٧٦ - ١٠٧٧.

(٨) العظمة ٢/ ٧٩٠.

ابن عباس عند مسلم وغيره[١].

(وقيل: لمَّا ظهر علىٰ إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان، فأوحىٰ الله إليهما: ما لكما تبكيان كلَّ هذا البكاء؟ قالا: يا رب، ما نأمن مكرك. فقال الله عَزَّوَجَلَّ: هكذا كونا، لا تأمنا مكري)[٢] وتقدم قريبًا أن النبي ﷺ وجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بكيا خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ، فأوحىٰ الله إليهما: لِمَ تبكيان؟ وقد أمنتكما؟ فقالا: ومَن يأمن مكرك. وتقدم أنه من حديث عمر عند الطبراني في الأوسط.

(وعن) أبي بكر (محمد بن المنكدر) بن الهُدَير التيمي التابعي (قال: لمَّا خُلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها، فلما خُلِق بنو آدم عادت)[٣] أخرجه أبو نعيم في الحلية[٤] في ترجمة طاووس من كلامه بلفظ: فلما خُلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ سكنت [أفئدتهم].

(وعن أنس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أنه ﷺ سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما لي لا أرىٰ ميكائيل يضحك؟

---

(١) هذا كلام الحافظ في لسان الميزان ٢/ ٤٩٠ (ط الهندية)، والذي أشار إليه الحافظ هو: أبوه سماك ابن الوليد، الراوي عن ابن عباس، وابن عمر، ومالك بن مرثد، وترجمته في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٢٨٠، أما زميل، فقد ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣/ ٦٢٠ وقال: روىٰ عن أبيه، وروىٰ عنه عبد ربه بن بارق بن سماك الحنفي، وزميل خاله، سمعت أبي يقول ذلك. فلم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً. والله أعلم.

(٢) الرسالة للقشيري ص ٣٥٠، ورواه أبو الشيخ في العظمة ٣/ ٨١٤ عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: نظر الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ جبريل وميكائيل وهما يبكيان، فقال الله عَزَّوَجَلَّ وهو أعلم: ما يبكيكما وقد علمتما أني لا أجور؟ فقالا: يا رب، إنا لا نأمن مكرك. فقال الله تبارك وتعالىٰ: هكذا فافعلا، فإنه لا يأمن مكري إلا كل خاسر.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في صفة النار ص ٤٨٤ (ط - دار أطلس الخضراء) وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ١٥٠ بلفظ: لما خلقت النار فزعت لذلك الملائكة فزعا شديدا طارت له أفئدتهم، فلم يزالوا كذلك حتىٰ خلق آدم، فرجعت إليهم أفئدتهم وسكن عنهم الذي كانوا يجدون.

(٤) حلية الأولياء ٤/ ٥.

فقال جبريل) عَلَيْهِ السَّلَامُ: **(ما ضحك ميكائيل منذ خُلقت النار)** قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين[٣] من رواية ثابت عن أنس بإسناد جيد. ورواه ابن شاهين في السنَّة من حديث ثابت مرسلاً. وورد ذلك أيضًا في حق إسرافيل، رواه البيهقي في الشعب[٤]. وفي حق جبريل، رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين[٥].

(ويقال: إن لله تعالىٰ ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خُلقت النار مخافةَ أن يغضب الله عليهم فيعذِّبهم بها) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين[٦].

(وقال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**: خرجت مع رسول الله** ﷺ **حتىٰ دخل بعض حيطان الأنصار)** جمع حائط وهو حش النخل **(فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال: يا ابن عمر، ما لك لا تأكل؟ فقلت: يا رسول الله، لا أشتهيه. فقال)** ﷺ: **(ولكني أشتهيه، وهذا صبح رابعة لم أذق طعامًا ولم أجده، ولو سألت ربي لأعطاني مُلك قيصر وكسرىٰ، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيتَ في قوم يخبِّئون رزق سنتهم ويضعُف اليقين في قلوبهم. قال: فوالله ما برحنا)** من مكاننا **(ولا قمنا حتىٰ نزلت)** هذه الآية:

---

(١) المغني ٢/ ١٠٧٧.

(٢) مسند أحمد ٢١/ ٥٥.

(٣) ورواه أيضا في صفة النار ص ٤٨٥.

(٤) شعب الإيمان ٢/ ٢٧٩ عن المطلب بن حنطب أن رسول الله ﷺ قال لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا جبريل، ما لي لا أرىٰ إسرافيل يضحك ولم يأتني أحد من الملائكة إلا رأيته يضحك؟ قال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما رأينا ذلك الملك ضاحكا منذ خلقت النار.

(٥) ورواه أيضا في الرقة والبكاء ص ٢٦٩ بلفظ: قال النبي ﷺ لجبريل: لا تأتيني إلا وأنت صارٌّ بين عينيك؟ قال: إني لم أضحك منذ خلقت النار. وروىٰ في صفة النار ص ٤٨٤ عن أبي عمران الجوني أن جبريل أتىٰ إلىٰ النبي ﷺ وهو يبكي، فقال النبي ﷺ: «ما يبكيك يا جبريل»؟ قال: أما تبكي يا محمد؟ ما جفت لي عين منذ خلق الله جهنم مخافة أن أعصي الله فيجعلني في جهنم.

(٦) ورواه أيضا في صفة النار ص ٤٨٤ عن بكر بن محمد العابد قال: قلت لجليس لابن أبي ليلىٰ يكنىٰ أبا الحسن: أتضحك الملائكة؟ قال: ما ضحك ما دون العرش منذ خلقت جهنم.

(﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠﴾ [العنكبوت: ٦٠] **فقال رسول الله ﷺ: إن الله لم يأمركم بكنز المال ولا باتِّباع الشهوات من كنز دنانير يريد بها حياة فانية، فإن الحياة بيد الله، ألا وإني لا أكنز دينارًا ولا درهمًا، ولا أخبأ رزقًا لغد**) قال العراقي[١]: رواه ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسمَّ عن ابن عمر، قال البيهقي: هذا إسناد مجهول، والجرَّاح بن مِنْهال ضعيف.

قلت: ورواه كذلك عبد بن حميد[٢] وابن أبي حاتم في تفسيرهما وابن عساكر في التاريخ[٣]، كلهم من هذا الطريق.

(**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه: (**كان يُسمَع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن** عليه السلام **إذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفًا من ربِّه**)[٤] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

(**وقال مجاهد**) رحمه الله تعالىٰ: (**بكىٰ داود** عليه السلام **أربعين يومًا ساجدًا لا يرفع رأسه حتىٰ نبت المرعىٰ من دموعه، وحتىٰ غطىٰ رأسه، فنودي: يا داود، أجائع أنت فتطعَم أم ظمآن فتسقَىٰ أم عارٍ فتُكسَىٰ؟ فنحب نحبة**) أي صرخ صرخة (**هاج**) أي يبسَ منها (**العودُ فاحترق من [حرِّ]**[٥] **خوفه**[٦]، **ثم أنزل الله عليه التوبة والمغفرة، فقال: يا رب، اجعلْ خطيئتي في كفِّي. فصارت خطيئته في كفِّه مكتوبة، فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره إلا رآها فأبكته. قال: وكان يؤتَىٰ بالقدح ثلثاه**

(١) المغني ٢/ ١٠٧٧.
(٢) ورواه أيضا في مسنده ٢/ ٤٤.
(٣) تاريخ دمشق ٤/ ١٢٧ - ١٢٨.
(٤) رواه محمد بن نصر في مختصر قيام الليل ص ١٤٢.
(٥) زيادة من الجميع.
(٦) في الجميع: جوفه.

ماء، فإذا تناوله أبصر خطيئته، فما يضعه على شفته حتى يفيض القدحُ من دموعه) رواه ابن أبي شيبة[١] وعبد بن حميد وابن المنذر بلفظ: لمَّا أصاب داود الخطيئةَ خرَّ لله ساجدًا أربعين يومًا وأربعين ليلة، وكانت خطيئته [مكتوبة] في يده ينظر إليها لكيلا يغفل، حتى نبت البقل حوله من دموعه ما غطى رأسه، فنودي: أجائع فتطعَم أم عريان فتُكسَى أم مظلوم فتُنصَر؟ قال: فنحب نحبة هاج ما يليه من البقل حين لم يذكر ذنبه، فعند ذلك غفر الله له.

ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير[٢] بلفظ: لما أصاب داود الخطيئةَ خرَّ لله ساجدًا أربعين يومًا حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى رأسه، ثم نادى: ربِّ، قَرِحَ الجبينُ وجمدت الأعين، وداود لم يرجع إليه في خطيئته شيءٌ. فنودي: أجائع فتُطعَم أو مريض فتُشفَى أو مظلوم فيُنتصَر لك؟ فنَحَبَ نحبًا هاج كلُّ شيء نبتَ، فعند ذلك غُفر له، وكان يؤتَى بالإناء فيشرب فيذكر خطيئته فينتحب فتكاد مفاصله يزول بعضها من بعض، فما يشرب بعضَ الإناء حتى يملأه من دموعه.

وروى أحمد في الزهد[٣] عن أبي عمران الجَوْني قال: سجد داود أربعين ليلة ويومًا لا يرفع رأسه إلا إلى صلاة فريضة، حتى يبس وقَرِحت جبهته وكفَّاه وركبتاه.

وروى الحاكم وابن جرير[٤] عن السُّدِّي قال: مكث داود ساجدًا أربعين يومًا يبكي، لا يرفع رأسه إلا لحاجة ثم يقع ساجدًا يبكي [ثم يدعو] حتى نبت العشب من دموع عينيه، فأوحى الله إليه بعد أربعين يومًا: يا داود، ارفع رأسك فقد غفرتُ لك.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٤٣٧ - ٤٣٨، ١٢/ ١١ - ١٢.

(٢) جامع البيان ٢٠/ ٧٣ - ٧٤.

(٣) الزهد ص ٦١.

(٤) جامع البيان ٢٠/ ٦٨.

وروى أحمد وعبد بن حميد[١] عن يونس بن خَبَّاب أن داود بكى أربعين ليلة حتى نبت العشبُ حوله من دموعه، ثم قال: [يا رب] قَرِح الجبينُ ورقأ الدمعُ وخطيئتي عليَّ كما هي. فنودي أن: يا داود، أجائع فتُطعَم أم ظمآن فتُسقَى أم مظلوم فيُنتصَر لك؟ فنَحَبَ نحبةً هاج ما هنالك من الخضرة، فغُفر له عند ذلك.

وروى ابن أبي شيبة[٢] وعبد بن حميد عن عبيد بن عمير الليثي: أن داود سجد حتى نبت ما حوله خضرًا من دموعه، فأوحى الله إليه أن: يا داود، أتريد أن أزيدك في مالك [وولدك] وعمرك؟ فقال: يا رب، أهذا تردُّ عليَّ؟ أريد أن تغفر لي.

وروى عبد بن حميد عن كعب قال: سجد داود نبي الله أربعين يومًا وأربعين ليلة، لا يرفع رأسه حتى رقأ دمعُه ويبسَ، فكان من آخر دعائه وهو ساجد أن قال: يا رب، رزقتني العافية فسألتك البلاءَ، فلمَّا ابتليتني لم أصبر، فإن تعذِّبني فأنا أهل ذلك، وإن تغفر لي فأنت أهل ذلك.

وروى الحكيم[٣] وابن جرير[٤] وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أنس رفعه قال: «سجد داود أربعين ليلة حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، وأكلت الأرض جبينه، وهو يقول في سجوده: ربِّ، زلَّ داودُ زلَّةً أبعد ممَّا بين المشرق والمغرب، ربِّ إن لم ترحم ضعف داودَ وتغفر ذنبه جعلتَ ذنبه حديثًا في الخُلوف من بعده ... الحديث.

وروى أحمد والحكيم[٥] وابن جرير[٦] عن عطاء الخراساني أن داود عليه السلام

---

(١) وكذلك ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٨.

(٣) نوادر الأصول ص ٥٨٩.

(٤) جامع البيان ٢٠/ ٧٤ - ٧٥.

(٥) نوادر الأصول ص ٥٩٣.

(٦) جامع البيان ٢٠/ ٦٩.

نقش خطيئتَه منقوشة في كفِّه[١].

(ويُروَىٰ عنه ﷺ أنه ما رفع رأسه) بعد الخطيئة (إلىٰ السماء حتىٰ مات حياءً من الله ﷻ) رواه ابن أبي شيبة[٢] وأحمد في الزهد وعبد بن حميد من طريق عطاء بن السائب عن أبي عبد الله الجَدَلي.

وروىٰ ابن جرير والحاكم عن السُّدِّي أنه ما استطاع بعد الخطيئة أن يملأ عينيه من السماء حياءً من ربِّه ﷻ حتىٰ قُبض.

(وكان) ﷺ (يقول في مناجاته:) سبحانك (إلهي، إذا ذكرتُ خطيئتي ضاقت عليَّ الأرض برحبها، وإذا ذكرتُ رحمتك ارتدَّت إليَّ روحي. سبحانك إلهي، أتيتُ أطباء عبادك ليداووا خطيئتي، فكلهم عليك يدلُّني، فبؤسًا للقانطين من رحمتك) رواه أحمد[٣] في الزهد عن عثمان بن أبي العاتكة قال: كان من دعاء داود ﷺ ... فذكره.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: (بلغني أن داود ﷺ ذكر ذنبه ذات يوم، فوثب صارخًا واضعًا يده علىٰ رأسه حتىٰ لحق بالجبال، فاجتمعت إليه السباع، فقال: ارجعوا، لا أريدكم، إنما أريدَ كل بَكَّاء علىٰ خطيئته، فلا يستقبلني إلا بالبكاء، ومَن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخَطَّاء)؟ رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

(وكان) ﷺ (يعاتَب في كثرة البكاء فيقول: دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء، قبل تخريق العظام واشتعال الحشا، وقبل أن يؤمَر بي ملائكة غِلاظ شِداد

(١) تمام الأثر: لكيلا ينساها، وكان إذا رآها اضطربت يده.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٤٣٨، ١٢/ ١١.

(٣) ومن طريقه رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٢٣/ ٥١٠ (ط - دار التفسير). ورواه أيضا: الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ١٦٦، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص ٢٤٥.

لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمَرون) رواه أحمد في الزهد[١] فقال: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جابر، عن إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر أن داود النبي عليه السلام كان يعاتَب في كثرة البكاء ... فذكره، إلا أنه قال: واشتعال اللحىٰ، بدل: الحشا. ورواه أبو نعيم في الحلية[٢] من طريقه.

(**وقال عبد العزيز بن عمر)** بن[٣] عبد العزيز بن مروان الأموي، أبو محمد المدني، نزيل الكوفة، صدوق، مات في حدود الخمسين [ومائة] روىٰ له الجماعة (**لمَّا أصاب داود الخطيئة نقص صوتُه، فقال: إلهي، بحَّ صوتي عن[٤] صفاء أصوات الصدِّيقين)**[٥].

(**ورُوي أنه عليه السلام لمَّا طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعُه واشتد غمُّه، فقال: يا رب، أما ترحم بكائي؟ فأوحىٰ الله إليه: يا داود، نسيتَ ذنبك وذكرتَ بكاءك. فقال: إلهي وسيدي، كيف أنسىٰ ذنبي وكنت إذا تلوتُ الزبور كفَّ الماءُ الجاري عن جريه، وسكن هبوب الريح، وأظلَّني الطير علىٰ رأسي، وأنست الوحوشُ إلىٰ محرابي. إلهي وسيدي، فما هذه الوحشة التي بيني وبينك؟ فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: يا داود، ذاك أنس الطاعة، وهذه وحشة المعصية. يا داود، آدم خلقٌ من خلقي، خلقته بيدي، ونفخت فيه من روحي، وأسجدت له ملائكتي، وألبسته ثوب كرامتي، وتوجَّته بتاج وقاري، وشكا إليَّ الوحدةَ فزوجَّته حواء أمتي، وأسكنته جنَّتي، عصاني فطردته عن جواري عريانًا ذليلاً. يا داود، اسمع مني والحق أقول، أطعتنا فأطعناك، وسألتنا فأعطيناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإن عدتَ إلينا علىٰ ما كان منك قبلناك)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

---

(١) الزهد ص ٦٠.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٨٥.

(٣) تقريب التهذيب ص ٦١٤.

(٤) في الجميع: في.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص ٢٥٧.

(وقال يحيىٰ بن أبي كثير) الطائي[1] مولاهم، أبو نصر اليمامي، ثقة، ثبت، كثير الإرسال، مات سنة اثنتين وثلاثين [ومائة] روىٰ له الجماعة (بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعًا لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب، ولا يقرب النساء، فإذا كان قبل ذلك بيوم أُخرِج له المنبر) وهو الكرسي الذي يقعد عليه (إلىٰ البرِّيَّة) أي الصحراء (فأمر سليمان أن ينادي بصوت يستقري البلادَ وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبَراري والصوامع والبِيَع فينادي فيها: ألا مَن أراد أن يسمع نوح داود) عليه السلام (علىٰ نفسه فليأتِ. قال: فتأتي الوحوش من البراري والآكام، وتأتي السباع من الغياض، وتأتي الهوامُّ من الجبال، وتأتىٰ الطير من الأوكار، وتأتي العذارَىٰ من خدورهنَّ، ويجتمع الناس لذلك اليوم، ويأتي داود حتىٰ يرقىٰ المنبر، وتحيط به بنو إسرائيل، وكل صنف علىٰ حِدَته يحيطون به، وسليمان عليه السلام قائم علىٰ رأسه، فيأخذ في الثناء علىٰ ربِّه، فيضجُّون بالبكاء والصراخ، ثم يأخذ في ذِكر الجنة والنار، فتموت الهوامُّ وطائفة من الوحوش والسباع والناس، ثم يأخذ في) ذِكر (أهوال القيامة) وشدائدها (وفي النياحة علىٰ نفسه، فيموت من كل نوع طائفةٌ، فإذا رأىٰ سليمان) عليه السلام (كثرة الموتىٰ قال: يا أبتاه، قد مزَّقتَ المستمعين كل ممزَّق، وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهَوامِّ، فيأخذ في الدعاء) لنفسه (فبينما هو كذلك إذ ناداه بعض عُبَّاد بني إسرائيل: يا داود، عجلتَ بطلب الجزاء علىٰ ربِّك. قال: فيخرُّ داود مغشيًّا عليه، فإذا نظر سليمان إلىٰ ما أصابه أتىٰ بسرير فحمله عليه، ثم أمر مناديًا ينادي: ألا مَن كان له مع داود حميم أو قريب فليأتِ بسرير فليحمله، فإنَّ الذين كانوا معه قد قتلهم ذِكرُ الله والجنة والنار. فكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمل قريبها) عليه (وتقول: يا مَن قتله ذِكرُ النار، يا مَن قتله خوف الله. ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده علىٰ رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه، ويقول: يا إله داود، أغضبان أنت علىٰ داود؟ ولا يزال يناجي ربَّه، فيأتي سليمان ويقعد علىٰ الباب

---

(١) تقريب التهذيب ص ١٠٦٥.

ويستأذن، ثم يدخل ومعه قرص من شعير، فيقول: يا أبتاه، تَقَوَّ بهذا علىٰ ما تريد. فيأكل من ذلك القرص ما شاء الله، ثم يخرج إلىٰ بني إسرائيل فيكون بينهم) [١] أخرجه بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

وروىٰ ابن أبي شيبة[٢] وأحمد وعبد بن حميد عن صفوان مُحرِز قال: كان لداود عليه السلام يوم يتأوَّه فيه فيقول: أَوْهِ من عذاب الله، أوه من عذاب الله، أوه من عذاب الله [قبل لا أوه].

(وقال) أبو[٣] عمرو **(يزيد)** بن أبان **(الرَّقاشي)** بالتخفيف، البصري، القاصُّ بالتشديد، زاهد ضعيف، روىٰ له البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه **(خرج داود)** عليه السلام **(ذات يوم بالناس يعظهم ويخوِّفهم، فخرج في أربعين ألفًا، فمات منهم ثلاثون ألفًا، وما رجع إلا في عشرة آلاف)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

(قال) يزيد: **(وكان له)** عليه السلام **(جاريتان اتَّخذهما حتىٰ إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا علىٰ صدره وعلىٰ رجليه مخافةَ أن تتفرَّق أعضاؤه ومفاصله فيموت)** وروىٰ ابن أبي شيبة[٤] وأحمد في الزهد وعبد بن حميد من طريق ثابت عن صفوان بن عروة قال: كان داود عليه السلام إذا ذكر عقاب الله تخلَّعت أوصاله، لا يشدُّها إلا الأسر، فإذا ذكر رحمته تراجعت.

(وقال ابن عمر رضي الله عنهما: دخل يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثماني حِجَج، فنظر إلىٰ عُبَّادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف) وهي الجبب

---

(١) رواه السراج في مصارع العشاق ١/ ٢٧٢.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٣.

(٣) تقريب التهذيب ص ١٠٧١.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٣ عن ثابت البناني، وليس فيه صفوان بن عروة. وكذا هو في حلية الأولياء ٢/ ٣٢٨، والرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ص ٢٤٦.

منها ضيقة الكُمَّين (ونظر إلىٰ مجتهديهم قد خرقوا التَّراقي) جمع ترقوة، وهي عظم الرقبة (وسلكوا فيها السلاسل، وشدُّوا أنفسهم إلىٰ أطراف بيت المقدس، فهالَه ذلك) لأنه لم يكن رأىٰ قبل ذلك مثله (فرجع إلىٰ أبويه، فمر بصبيان يلعبون، فقالوا له: يا يحيىٰ، هلمَّ بنا لنلعب. فقال: إني لم أُخلَق للعب. قال: فأتىٰ أبويه فسألهما أن يدرعاه الشعرَ، ففعلا، فرجع إلىٰ بيت المقدس، وكان يخدمه نهارًا ويصبح فيه ليلا) أي يسرج السُّرُجَ (حتىٰ أتت عليه خمس عشرة سنة، فخرج) هائمًا (ولزم أطواد الأرض) أي جبالها (وغيران الشِّعاب) جمع غَوْر وهي المنخفضة من الأراضي، والشِّعاب: الثَّنايا بين الجبلين (فخرج أبواه في طلبه، فأدركاه علىٰ بحيرة الأردن) وهي علىٰ أميال من بيت المقدس (وقد أنقع رجليه في الماء حتىٰ كاد العطش يذبحه، وهو يقول: وعزَّتك وجلالك لا أذوق بارد الشراب حتىٰ أعلم أين مكاني منك. فسأله أبواه أن يفطر علىٰ قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء، ففعل وكفَّر عن يمينه، فمُدح بالبِر) يعني في قوله تعالىٰ: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [مريم: ١٤] أي كان لا يعصيهما (فردَّه أبواه إلىٰ بيت المقدس، فكان إذا قام يصلي بكىٰ حتىٰ يبكي معه الشجر والمَدَر، ويبكي زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ لبكائه حتىٰ يغمىٰ عليه، فلم يزل يبكي حتىٰ خرقت دموعه لحم خدَّيه) أي شقَّته (وبدت أضراسُه للناظرين، فقالت له أمُّه: يا بني، لو أذنتَ لي أن أتَّخذ لك شيئًا يواري أضراسَك عن الناظرين. فأذنَ لها، فعمدتْ إلىٰ قطعتَي لبود فألصقتهما علىٰ خدَّيه، فكان إذا قام يصلي بكىٰ، فإذا استنقعت دموعه في القطعتين أتت إليه أمُّه فعصرتهما، فإذا رأىٰ دموعه تسيل علىٰ ذراعَي أمِّه قال: اللهم هذه دموعي، وهذه أمي، وأنا عبدك، وأنت أرحم الراحمين. فقال له زكريا يومًا: يا بني، إنَّما سألتُ ربي أن يهبك لي لتقرَّ عيناي بك. فقال يحيىٰ: يا أبت، إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بَكَّاء. فقال زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا بني، فابْكِ)(١)

---

(١) رواه ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٤٢٨ - ٤٣٠ (ط - المكتب الإسلامي) عن عبد الله بن عمرو بن العاص حتىٰ قوله: (وأنت أرحم الراحمين). ورواه ابن عساكر في =

روىٰ[١] أحمد في الزهد[٢] وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي[٣] وابن عساكر[٤] عن مَعمر بن راشد قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيىٰ بن زكريا: اذهبْ بنا نلعب. قال: ما للعب خُلقتُ. فهو قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾ [مريم: ١٢].

وروىٰ عبد الرزاق[٥] وعبد بن حميد من طريق معمر عن قتادة قال: جاء الغلمان إلىٰ يحيىٰ بن زكريا فقالوا: اخرجْ بنا نلعب. فقال: ما للعب خُلقتُ. قال: فأنزل الله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾.

وروىٰ الحاكم في التاريخ من طريق نهشل بن سعيد عن الضحَّاك عن ابن عباس رفعه: «قال الغلمان ليحيىٰ بن زكريا: اذهبْ بنا نلعبْ. فقال يحيىٰ: ما للعب خُلقنا، اذهبوا نصلي».

وروىٰ إسحاق بن بشر في المبتدأ وابن عساكر[٦] عن ابن عباس قال: مر يحيىٰ ابن زكريا علىٰ صِبية أتراب له يلعبون علىٰ شاطئ نهر بطين وبماء، فقالوا: يا يحيىٰ، تعالَ حتىٰ نلعب؟ فقال: سبحان الله، أوَ للعب خُلقنا؟!

وروىٰ ابن أبي حاتم من طريق عبد الرحمن بن القاسم قال: قال مالك: بلغني أنه لم يكن ليحيىٰ عيشة إلا عشب الأرض، وإن كان لَيبكي من خشية الله حتىٰ لو كان علىٰ خدِّه القار لأذابه، ولقد كان الدمع اتَّخذ في وجهه مجرًىٰ.

= تاريخ دمشق ١٩/ ٥٤ عن يزيد بن أبي منصور. أما آخر القصة فرواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ١٤٩ وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص ٢٦٣ عن وهيب بن الورد.

(١) الدر المنثور ١٠/ ٢٢ - ٣٤.

(٢) الزهد ص ٧٦.

(٣) مساوئ الأخلاق ص ٣٣٣.

(٤) تاريخ دمشق ٦٤/ ١٨٣.

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٠، ٢/ ٤ من قول معمر، وليس قتادة.

(٦) تاريخ دمشق ٦٤/ ١٧١.

وروىٰ ابن أبي شيبة[١] وأحمد في الزهد وابن عساكر[٢] عن أبي إدريس الخَوْلاني قال: كان يحيىٰ بن زكريا يأكل [مع الوحش كراهية أن يخالط الناس في معايشهم.

وروىٰ مالك وابن المبارك[٣] وأحمد في الزهد[٤] وأبو نعيم[٥] عن مجاهد قال: كان طعام يحيىٰ بن زكريا] العشب، وإن كان لَيبكي من خشية الله تعالىٰ، حتىٰ لو كان القار علىٰ عينه لحرقه، ولقد كانت الدموع اتَّخذت مجرًىٰ في وجهه.

(وقال المسيح ﷺ: معاشر الحواريين، خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر علىٰ المشقَّة ويباعدان عن الدنيا) قال أبو نعيم في الحلية[٦]: حدثنا محمد ابن أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبيد الله بن أحمد بن عُقبة، حدثنا حماد بن الحسن، حدثنا سيَّار، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا مالك بن دينار قال: قال عيسىٰ ﷺ: خشية الله وحب الفردوس يباعدان من زهرة الدنيا، ويورثان الصبرَ علىٰ المشقَّة. حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا حاجب بن أبي بكر، حدثنا حمَّاد ابن الحسن، حدثنا سَيَّار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك قال: قال عيسىٰ ﷺ: **(بحقٍّ أقول لكم، إن أكل الشعير والنوم علىٰ المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل)** ولفظ الحلية: لَقليلٌ في طلب الفردوس. وأخرجه ابن عساكر[٧] في ترجمة مالك بلفظ: أكلُ الشعير مع الرماد والنوم علىٰ المزابل مع الكلاب لَقليلٌ في طلب الفردوس.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢١، ٢٢٧.

(٢) تاريخ دمشق ٦٤/ ١٩٨.

(٣) الزهد والرقائق ص ٤٧١.

(٤) الزهد ص ٧٦.

(٥) حلية الأولياء ٣/ ٢٩٠.

(٦) السابق ٢/ ٣٦٩.

(٧) تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٤٤ في ترجمة عيسىٰ ﷺ.

(وقيل: كان الخليل صلوات الله وسلامه عليه إذا ذكر خطيئته يغشىٰ عليه ويُسمع اضطراب قلبه ميلاً في ميل، فيأتيه جبريل عليه السلام فيقول له: ربك يقرئك السلامَ ويقول: هل رأيتَ خليلاً يخاف خليلَه؟ فيقول: يا جبريل، إني إذا ذكرتُ خطيئتي نسيت خلَّتي) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

(فهذه أحوال الأنبياء عليهم السلام، فدونك والتأمُّل فيها، فإنهم أعرَفُ خلقِ الله بالله وصفاته) وقِسْ نفسَك، وتأملْ في القصور عن لحوق درجاتهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وعلىٰ كل عبد مصطفىٰ (وعلىٰ عِباد الله المقرَّبين، وحسبنا الله ونِعم الوكيل).

بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف

(رُوي أن أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه قال) يومًا (لطائر: ليتني مثلك يا طائر ولم أُخلَق بشرًا)[١] نقله صاحب القوت.

(وقال أبو ذر رضي الله عنه: وددتُ لو أني شجرة تُعضَد) كذا في القوت. وقال أبو نعيم في الحلية[٢]: حدثنا أبو محمد ابن حيان، حدثنا أبو يحيىٰ الرازي، حدثنا هنَّاد بن السري، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن أبي ذر قال: واللهِ لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلىٰ نسائكم، ولا تقاررتم علىٰ فُرُشكم، واللهِ لَوددتُ أن الله خلقني يومَ خلقني شجرة تُعضَد ويؤكل ثمرها.

(وكذا قال طلحة) بن عبيد الله التيمي رضي الله عنه أحد العشرة، ولفظ القوت: وقول طلحة: وددتُ أني لم أُخلَق.

(وقال عثمان رضي الله عنه: وددتُ أني إذا متُّ لم أُبعَث) كذا في القوت.

ورُوي ذلك عن ابن مسعود، قال صاحب الحلية[٣] بسنده عن مسروق قال: قال رجل عند عبد الله: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقرَّبين أحب إليَّ. قال: فقال عبد الله: لكن ههنا رجلاً ودَّ أنه إذا مات لم يُبعَث. يعني نفسه.

(١) رواه بألفاظ مختلفة: ابن أبي الدنيا في كتاب المتمنين ص ٢٨، ٧٤، وابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٠٦، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٥١، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٨، وهناد في الزهد ١/ ٢٥٨.

(٢) حلية الأولياء ١/ ١٦٤.

(٣) السابق ١/ ١٣٣.

وفي الزهد[١] لأحمد من طريق عبد الله ابن الرومي قال: بلغني أن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لو أني بين الجنة والنار ولا أدري إلىٰ أيَّتهما يؤمَر بي لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلىٰ أيَّتهما أصير.

وفي الحلية[٢] من طريق السري بن يحيىٰ عن الحسن قال: قال ابن مسعود: لو وقفتُ بين الجنة والنار فقيل لي: اخترْ نخيِّرك من أيَّتهما تكون أحب إليك أم تكون رمادًا؟ لأحببت أن أكون رمادًا.

(**وقالت عائشة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: **وددتُ أني كنت**) حيضة (**نسيًا منسيًّا**)[٣] كذا في القوت.

(**ورُوي أن عمر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشيًّا عليه، فكان يُعاد أيامًا**) رواه هشام عن الحسن بلفظ: أن عمر كان يمر بالآية من وِرْده بالليل فيبكي حتىٰ يسقط ويُعاد. رواه أبو بكر ابن أبي شيبة[٤] عن عفَّان عن جعفر بن سليمان عن هشام عن الحسن قال: كان عمر يمر بالآية في وِرْده فتخنقه العَبرةُ فيبكي حتىٰ يسقط، ثم يَلزم بيتَه حتىٰ يُعاد، يحسبونه مريضًا.

(**وأخذ يومًا تبنة من الأرض فقال: يا ليتني كنت هذه التبنة، يا ليتني لم أكُ شيئًا مذكورًا، يا ليتني كنت نسيًّا منسيًّا، يا ليتني لم تلدني أمي**) رواه شعبة عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة بلفظ: أخذ عمر تبنة فقال: ليتني كنت هذه [التبنة]، ليتني لم أُخلَق، ليتني لم أكُ شيئًا. وفي لفظ: رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني هذه التبنة، ليتني لم أكُ شيئًا، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسيًا منسيًّا[٥].

---

(١) الزهد ص ١٠٦.

(٢) حلية الأولياء ١/ ١٣٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٣/ ٢٦٨.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٥٧.

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٠٥، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٦٢، وابن أبي =

(وكان في وجه عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خطَّان أسودان من آثار الدموع) رواه صاحب الحلية[١] من طريق عبد الله بن عيسىٰ قال: كان في وجه عمر خطَّان أسودان من البكاء.

(وقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَن خاف الله لم يشفِ غيظَه، ومَن اتَّقىٰ الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون) رواه صاحب الحلية[٢] عن محمد ابن علي بن حبيش، حدثنا عبد الله بن محمد البغوي، حدثنا أبو نصر التمَّار، حدثنا بقية، عن إبراهيم بن أدهم، عن أبي عبد الله [الخراساني] قال: قال عمر: مَن اتَّقىٰ الله لم يشفِ غيظَه، ومَن خاف الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون. ومن طريق أحمد بن علي الأبَّار، حدثنا عبيد بن هشام الحلبي، حدثنا بقية فقال في حديثه: عن أبي عبد الله الخراساني، وفيه: مَن اتَّقىٰ الله لم يقلْ كلَّ ما علمَ.

قلت: وقد روىٰ سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «مَن اتقىٰ الله كلَّ لسانَه ولم يشفِ غيظَه»، وقد تقدم[٣].

(ولما قرأ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا الشمس كُوِّرت وانتهىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠﴾ [التكوير: ١٠] **خرَّ مغشيًّا عليه.**

ومر يومًا بدار إنسان وهو يصلي ويقرأ سورة والطور، فوقف يستمع، فلما بلغ قولَه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨﴾ [الطور: ٧ - ٨] **نزل عن حماره واستند إلىٰ حائط ومكث زمانًا)** يتأمَّل فيه **(ورجع إلىٰ منزله فمرض شهرًا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه)**[٤] ومثل هذا من أحوال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معروف، روىٰ ابن

= الدنيا في كتاب المتمنين ص ٢٦ - ٢٧، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٣٣٤.

(١) حلية الأولياء ١/ ٥١.

(٢) السابق ٨/ ٥٨.

(٣) في كتاب آفات اللسان [الغيبة].

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٣٠٨ عن جعفر بن زيد: أن عمر خرج يعس بالمدينة =

جريج عن ابن أبي مُلَيكة أخبرني علقمة بن وقَّاص قال: كان عمر يقرأ في العشاء الآخرة سورة يوسف، وأنا في مؤخَّر الصف، حتىٰ إذا ذكر يوسف سمعت نشيجه[١].

وعن عبد الله بن شداد قال: سمعت عمر يقرأ في الصبح بسورة يوسف، فسمعت نشيجه وإني لفي آخر الصفوف وهو يقرأ ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦][٢].

وعن ابن عمر قال: سمعت خنين عمر من وراء ثلاثة صفوف[٣].

(**وقال علي كرَّم الله وجهه وقد سلَّم من صلاة الفجر وقد علتْه كآبةٌ**) أي تغيُّر لونٍ من غمٍّ (**وهو يقلِّب يده**) ظهرًا لبطن (**لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فلم أرَ اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثًا صفرًا غبرًا، بين أعينهم أمثال رُكَب المعزَىٰ**) أي من أثر السجود (**قد باتوا لله سجَّدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله، يراوحون بين جِباهم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله فمادوا**) أي اهتزُّوا (**كما تميد الشجرةُ في يوم الريح**) أي تهتز يمينًا وشمالاً (**وهملت أعينُهم بالدموع حتىٰ تبلَّ ثيابهم، واللهِ كأنِّي بالقوم باتوا غافلين**) أي عن ذكر الله تعالىٰ (**ثم قام**) من موضعه (**فما رُؤي بعد ذلك ضاحكًا حتىٰ ضربه ابن مُلجِم**) عبد الرحمن المرادي. رواه أبو نعيم في الحلية[٤] فقال: حدثنا محمد بن جعفر وعلي ابن أحمد قالا: حدثنا إسحاق بن

= ليلة ومعه غلام له وعبد الرحمن بن عوف، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه وهو قائم يصلي، فوقف يسمع لقراءته، فقرأ والطور، حتىٰ بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ فقال عمر: قسم ورب الكعبة حق، امضِ لحاجتك. فاستسند إلىٰ حائط، فمكث مليا، فقال له عبد الرحمن: امضِ لحاجتك. فقال: ما أنا بفاعل الليلة إذ سمعت ما سمعت. فرجع إلىٰ منزله، فمرض شهرا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه.

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٢/ ١١١، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٢/ ٣٥٧.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٢/ ١١٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٤١٤، وسعيد بن منصور في تفسيره ٥/ ٤٠٥، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٢٥٢. وذكره البخاري في صحيحه ١/ ٢٣٦ معلقا.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٥٢، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص ٢٧٥.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٧٦.

إبراهيم، حدثنا محمد بن يزيد أبو هشام، حدثنا المحاربي، عن مالك بن مِغول، عن رجل من جعفي، عن السُّدِّي، عن أبي أراكة قال: صلىٰ عليٌّ الغَداة، ثم لبث في مجلسه حتىٰ ارتفعت الشمس قيد رمح كأنَّ عليه كآبة، ثم قال: لقد رأيت أثرًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فما أرىٰ أحدًا يشبههم، واللهِ إن كانوا لَيصبحون شعثًا غبرًا صفرًا، بين أعينهم مثل رُكَب المعزىٰ، قد باتوا يتلون كتاب الله، يراوحون بين أقدامهم وجِباههم، إذا ذُكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح فانهملت أعينهم حتىٰ تبلَّ واللهِ ثيابهم، والله لكأنَّ القوم باتوا غافلين.

(وقال عمران بن الحصين) رضي الله عنه: **(وددت أني أكون رمادًا تنسفني الرياح في يوم عاصف)**[1] وقد رُوي مثل ذلك عن ابن مسعود، قال: ليتني أني أكون رمادًا. وفي رواية عنه: ليتني كنت بعرة، ليتني لم أكُ شيئًا. وقد تقدم قريبًا.

(وقال أبو عبيدة) عامر **(بن الجَرَّاح** رضي الله عنه: **وددت أني كبش فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويحسون مَرَقي)** هذا قد رُوي عن عمر رضي الله عنه، رواه هنَّاد في الزهد[2] من طريق الضحَّاك قال: قال عمر: ليتني كنت كبش أهلي، سمَّنوني ما بدا لهم، حتىٰ إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض مَن يحبون، فجعلوا بعضي شواء، وبعضي قديدًا، ثم أكلوني فأخرجوني عَذِرةً، ولم أكُ بشرًا.

(وكان) زين العابدين **(علي بن الحسين)** بن علي بن أبي طالب **(**رضي الله عنه **إذا توضأ اصفرَّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي مَن أريد أن أقوم)** رواه أبو نعيم في الحلية[3] فقال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا

---

(١) هذا الأثر وأثر أبي عبيدة بن الجراح بعده رواهما بسياق واحد: ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٠٦، وعبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٣٠٧، وابن أبي الدنيا في كتاب المتمنين ص ٣٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٥/ ٤٨٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٢٩.

(٢) الزهد ص ١/ ٢٥٨.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ١٣٣.

محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا العتبي، حدثنا أبي قال: كان علي بن الحسين إذا فرغ من وضوئه وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة ونفضة، فقيل له في ذلك، فقال: ويحكم! أتدرون إلىٰ مَن أقوم ومَن أريد أن أناجي؟

وقد رُوي مثل ذلك عن عطاء السليمي، أخرجه أبو نعيم في الحلية[١].

(وقال موسىٰ بن مسعود) أبو[٢] حذيفة النَّهْدي البصري، قال العِجلي[٣]: ثقة، صدوق. وقال ابن أبي حاتم[٤]: سألت أبي عنه، فقال: صدوق، معروف بالثوري. وقيل: إن الثوري تزوج أمه لمَّا قدم البصرةَ. مات سنة عشرين ومائتين وله اثنتان وتسعون سنة. روىٰ عنه البخاري، وروىٰ له أبو داود والترمذي وابن ماجه **(كنا إذا جلسنا إلىٰ)** سفيان **(الثوري كأنَّ النار قد أحاطت بنا؛ لِما نرىٰ من خوفه وجزعه)**[٥] أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقرأ مُضَر القارئ يومًا) قوله تعالىٰ: (﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩﴾ [الجاثية: ٢٩] **فبكىٰ عبد الواحد بن زيد حتىٰ غشي عليه، فلما أفاق قال: وعزَّتك لا عصيتك جهدي أبدًا، فأعِنِّي بتوفيقك علىٰ عبادتك)**[٦] قال أبو نعيم في الحلية[٧]: حدثنا أبو محمد ابن حيَّان، حدثنا علي بن سعيد، حدثنا محمد بن إدريس، حدثنا عبد الله بن عبيد، عن مُضَر القارئ قال:

---

(١) السابق ٦/ ٢١٨ عن نعيم بن مورع بن توبة العنبري قال: كان عطاء السليمي إذا فرغ من وضوئه انتفض وارتعد وبكىٰ بكاء شديدا، فيقال له في ذلك، فيقول: إني أريد أن أقدم علىٰ أمر عظيم، أريد أن أقوم بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ.

(٢) تهذيب الكمال ٢٩/ ١٤٥ - ١٤٩.

(٣) معرفة الثقات ٢/ ٣٠٥.

(٤) الجرح والتعديل ٨/ ١٦٣.

(٥) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ١٨٣.

(٦) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٧/ ٢٣٠.

(٧) حلية الأولياء ٦/ ١٥٦.

سمعت عبد الواحد بن زيد يقول: وعزَّتك، ما أعلم لمحبَّتك فرحًا دون لقائك والاشتفاء من النظر إلىٰ جلال وجهك في دار كرامتك، فيا مَن أحلَّ الصادقين محلَّ الكرامة وأورث البطَّالين منازل الندامة اجعلني ومَن حضرني من أفضل أوليائك زلفىٰ وأعظمهم منزلة وقربة تفضُّلاً منك عليَّ وعلىٰ إخواني يوم تجزي الصادقين بصدقهم جنَّات قطوفها دانية متدلِّية عليهم ثمرها.

(**وكان المِسْوَر بن مَخرمة**) بن[1] نوفل القرشي، أبو عبد الرحمن الزُّهري، له ولأبيه صحبة، وأمه الشفاء بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف، توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين، ومات بمكة في فتنة ابن الزبير سنة أربع وستين وهو يومئذٍ ابن ثلاث وستين، روىٰ له الجماعة (**لا يقوىٰ أن يسمع شيئًا من القرآن لشدة خوفه، ولقد كان يُقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أيامًا، حتىٰ أتىٰ عليه رجل من خثعم**) بن أنمار (**فقرأ عليه**) قوله تعالىٰ: (﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾ [مريم: ٨٥ - ٨٦] **فقال: أنا من المجرمين ولست من المتقين، أَعِدْ عليَّ القولَ أيها القارئ. فأعاده عليه، فشهق شهقة فلحق بالآخرة**) هكذا ذكره المصنف في سبب موته، والذي ثبت من قول عمرو بن علي الفَلاَّس أنه أصابه المنجنيق في فتنة ابن الزبير وهو يصلي في الحِجْر، فمكث خمسة أيام ثم مات[2]. فلعل هذه القصة إن صحَّت كانت في أثناء هذه الأيام الخمسة، أو حصل التصحيف من النسَّاخ في صاحب القصة.

(**وقُرئ عند يحيىٰ البَكَّاء**) هو[3] يحيىٰ بن مسلم - أو ابن سُلَيم، مصغَّر-

---

(١) تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٨١ - ٥٨٣.

(٢) رواه عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٨/ ١٧٧. وذكر مثله ابن حبان في الثقات ٣/ ٣٩٤، وابن عبد البر في الاستيعاب ٢/ ٢٣٢، وذكره الحافظ في الإصابة ٦/ ١١٩، وعزاه ليحيىٰ بن بكير، ونقل عن الطبري أنهم اتفقوا علىٰ هذا.

(٣) تقريب التهذيب ص ١٠٦٦.

وهو ابن أبي خليد البصري، المعروف بالبَكَّاء لكثرة بكائه، الحُدَّاني مولاهم، ضعيف، مات سنة ثلاثين ومائة، روىٰ له الترمذي وابن ماجه. وله ذِكرٌ في الحلية[1] في ترجمة محمد بن واسع، أخرج من طريق حماد بن زيد قال: دخلنا علىٰ محمد ابن واسع نعوده في مرضه، فجاء يحيىٰ البكَّاء يستأذن عليه، فقالوا: يا أبا عبد الله، هذا أخوك أبو سلمة علىٰ الباب. قال: مَن أبو سلمة؟ قالوا: يحيىٰ. قال: مَن يحيىٰ؟ قالوا: يحيىٰ البكاء. قال حماد: وقد علمَ أنه يحيىٰ البكاء، فقال: إن شر أيامكم يوم نسبتم فيه إليَّ البكاءَ (﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾) الآية [الأنعام: ٣٠] **(فصاح صيحة، ومكث منها مريضًا أربعة أشهر يُعاد من أطراف البصرة)**[2] أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

(وقال) أبو محمد **(مالك بن دينار)** البصري رحمه الله تعالىٰ: **(بينما أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجويرية)** أي صبيَّة **(متعبِّدة)** وهي **(متعلقة بأستار الكعبة، وهي تقول: يا رب، كم شهوة ذهبت لذَّاتها وبقيت تَبِعاتها. يا رب، أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار؟ وتبكي، فما زال ذلك مقامها حتىٰ طلع الفجر. قال مالك: فلما رأيتُ ذلك وضعت يدي علىٰ رأسي صارخًا أقول: ثكلت مالكًا أمُّه)**[3] أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

(ورُوي أن الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ **(رُؤي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكىٰ بكاء الثكلَىٰ المحترقة، حتىٰ إذا كادت الشمس تغرب قبض علىٰ لحيته ثم رفع رأسه إلىٰ السماء وقال: واسوأتاه منك إن غفرتَ. ثم انقلب**

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٤٧.

(٢) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٦٦، ٥/ ٤٠٣.

(٣) رواه الخرائطي في اعتلال القلوب ص ٧١ - ٧٢، وزاد في آخره: وعدمته جويرية من الليلة قد بطلته. ورواه أيضا الفاكهي في أخبار مكة ١/ ٣١٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/ ٤٣٢. وأورده الزمخشري في ربيع الأبرار ١/ ١٤٧ حتىٰ قوله (إلا النار) وذكر أن هذه الجويرية اسمها رابعة القيسية.

مع الناس) أخرجه أبو نعيم في الحلية[1] فقال: حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا المفضل بن محمد الجندي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: وقفت مع الفضيل ابن عياض بعرفات، فلم أسمع من دعائه شيئًا إلا أنه واضع يده اليمنىٰ علىٰ خدِّه، وواضع رأسه يبكي بكاء خفيًّا، فلم يزل كذلك حتىٰ أفاض الإمامُ، فرفع رأسه إلىٰ السماء وقال: واسوأتاه واللهِ منك إن عفوتَ. ثلاث مرات.

(وسُئل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن الخائفين)** أي عن وصفهم **(فقال)**: هم الذين **(قلوبهم بالخوف قَرِحة، وأعينهم)** منه **(باكية، يقولون: كيف نفرح والموت من ورائنا، والقبر أمامنا، والقيامة موعدنا، وعلىٰ جهنم طريقنا، وبين يدي الله ربِّنا موقفنا)**[2] وهذا منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيان عن الخائفين من صفاته.

(ومرَّ الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ **(بشاب وهو مستغرق في ضحكه، وهو جالس مع قوم في مجلس، فقال له الحسن: يا فتىٰ، هل مررتَ بالصراط؟ قال: لا. قال: فهل تدري إلىٰ الجنة تصير أم إلىٰ النار؟ قال: لا. قال: فما هذا الضحك؟ قال: فما رُؤي ذلك الفتىٰ بعدها ضاحكًا)**[3] نقله صاحب القوت.

(وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس جلس مستوفزًا علىٰ قدميه، فيقال له: لو

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٨٨.

(٢) أورده ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣/ ١٢٥، وأوله: «هم الذين صدقوا الله في مخافة وعيده، قلوبهم بالخوف قرحة ...» الخ. ورواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٣٨٥ عن الضحاك بن مزاحم بلفظ: «الخائفون الذين صدقوا المخافة من الله، قلوبهم من الخوف قرحة، وأعينهم علىٰ أنفسهم باكية، ودموعهم علىٰ خدودهم جارية، يقولون: لا نفرح والموت وراءنا، والقبور أمامنا، والقيامة محشرنا، وعلىٰ جهنم طريقنا، وعلىٰ الله تعالىٰ عرضنا، وعلىٰ الصراط جوازنا بأعمالنا».

(٣) ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين ص ١٤٨ - ١٤٩ (ط - مكتبة الإيمان). ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٢٤ من طريق سفيان بن عيينة عن رجل عن الحسن قال: قال رجل لأخيه: يا أخي، هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا. قال: ففيم الضحك؟ فما رؤي ضاحكا حتىٰ مات.

اطمأننت. فيقول: تلك جلسة الآمن، وأنا غير آمِن إذ عصيتُ الله تعالىٰ.

وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالىٰ: (إنما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العِباد رحمةً كيلا يموتوا من خشية الله تعالىٰ) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال) أبو يحيىٰ (مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالىٰ: (لقد هممتُ إذا أنا متُّ آمرهم أن يقيِّدوني ويغلُّوني ثم ينطلقوا بي إلىٰ ربي كما يُنطلَق بالعبد الآبق إلىٰ سيده) ولفظ الحلية[1]: لقد هممتُ أن آمُر إذا مت فأُغَلَّ وأُدفَع إلىٰ ربي مغلولاً كما يُدفَع العبد الآبق إلىٰ مولاه. رواه عن أبي بكر بن مالك، عن عبد الله بن أحمد، حدثني عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا جعفر بن سليمان قال: قال مالك بن دينار ... فساقه.

(وقال حاتم) بن علوان (الأصم) رحمه الله تعالىٰ: (لا تغترَّ بموضع صالح، فلا مكان أصلح من الجنة، وقد لقي آدمُ عليه السلام فيها ما لقي) أي من الهبوط منها والبعد عن حظيرتها بسبب المخالفة (ولا تغترَّ بكثرة العبادة، فإن إبليس بعد طول تعبُّده) حتىٰ كان يلقَّب بطاووس الملائكة (لقي ما لقي) من اللعن والطرد بسبب الكبر (ولا تغترَّ بكثرة العلم، فإن بَلْعام) بن باعوراء، من علماء بني إسرائيل (كان يُحسِن اسمَ الله الأعظم) هذا هو المشهور، وقال بعضهم: بل كان أوتي النبوَّة (فانظر ماذا لقي) من الانسلاخ عن الآيات، فكان علمُه سبب هلاكه، كما قال تعالىٰ: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] (ولا تغترَّ برؤية الصالحين، فلا شخص أكبر منزلة عند الله تعالىٰ من المصطفىٰ ﷺ، و) مع ذلك (لم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه) مع كمال قربهم إليه. نقله القشيري في الرسالة.

(وقال السري) بن المغلِّس السَّقَطي رحمه الله تعالىٰ: (إني لأنظرُ إلىٰ أنفي كل يوم مرات مخافة أن يكون قد اسودَّ وجهي)[2] نقله القشيري في الرسالة بلفظ:

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٦١.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ١١٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٨٢.

كذا وكذا مرة مخافةَ أن يكون قد اسودَّ؛ لِما أخافه من العقوبة. هكذا أورده في باب الخوف، وذكره في ترجمته من أول الكتاب[١] بلفظ: مخافة أن يكون قد اسودَّ خوفًا من الله أن يسوِّد صورتي لِما أتعاطاه. وإنما[٢] خصَّ الأنف لأن الشخص لا يرىٰ من وجهه غير أنفه.

(وقال أبو حفص) عمر بن مسلمة الحدَّاد رحمه الله تعالىٰ، نيسابوري، من كبار الأئمَّة، ترجم له القشيري في الرسالة[٣] وقال: مات سنة نيِّف وستين ومائتين **(منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله ينظر إليَّ نظر السخط)** والمقت **(وأعمالي تدل علىٰ ذلك)** أي لكثرة الغفلات، أو لسوء الأدب في المعاملة مع الله تعالىٰ ومع الخلق. نقله القشيري في الرسالة.

(وخرج) عبد الله **(ابن المبارك)** رحمه الله تعالىٰ **(يومًا علىٰ أصحابه فقال)** لهم: **(إني قد اجترأت البارحة علىٰ الله)** حيث **(سألتُه الجنة)** وأنا حقير في نفسي، ولا تصلُح أحوالي لسؤالها، وكان حقي أن أستعيذ به من النار. نقله القشيري في الرسالة.

(وقالت أم محمد بن كعب) ابن[٤] سُلَيم بن عمرو بن إياس بن حيَّان بن قَرَظة **(القُرَظي)** المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه من سبي قريظة، سكن الكوفة، ثم تحوَّل إلىٰ المدينة فسكنها. قال ابن سعد[٥]: كان ثقة، عالمًا، كثير الحديث، ورعًا. مات سنة ثماني [عشرة] ومائة، روىٰ له الجماعة **(لابنها)** المذكور: **(يا بني، إني أعرفك صغيرًا طيبًا وكبيرًا طيبًا، وكأنَّك أحدثت حدثًا موبِقًا)** أي أذنبت ذنبًا مهلكًا **(لِما أراك تصنع في ليلك ونهارك)** أي من الاجتهاد في العبادة والبكاء من

(١) الرسالة القشيرية ص ٥٣.
(٢) إحكام الدلالة ١/ ٩٣.
(٣) الرسالة القشيرية ص ٧٣.
(٤) تهذيب الكمال ٢٦/ ٣٤٠ - ٣٤٨.
(٥) الطبقات الكبرىٰ ٧/ ٤٢٠.

الخوف (فقال) محمد: (**يا أمَّاه، ما يؤمِّنني أن يكون الله تعالىٰ قد اطَّلع عليَّ وأنا علىٰ بعض ذنوبي فمقتني وقال: وعزَّتي وجلالي لا غفرتُ لك**) رواه أبو نعيم في الحلية[1] من طريق أبي كثير البصري قال: قالت أم محمد بن كعب لمحمد: يا بني، لولا أني أعرفك صغيرًا طيبًا وكبيرًا طيبًا لظننت أنك أذنبت ذنبًا موبِقًا لِما أراك تصنع بنفسك بالليل والنهار. قال: يا أمَّاه، وما يؤمِّنني أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ اطَّلع عليَّ وأنا في بعض ذنوبي فمقتني وقال: اذهبْ لا أغفر لك، مع أن عجائب القرآن تَرِدُ بي علىٰ أمور، حتىٰ إنه لَينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي.

(**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: (**إني لا أغبط نبيًّا مرسلاً ولا ملَكًا مقرَّبًا ولا عبدًا صالحًا، أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة**)؟ أي يشاهدون أهوالها (**إنما أغبط مَن لم يُخلَق**) قال أبو نعيم في الحلية[2]: حدثنا أبو محمد ابن حيَّان، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد بن عيسىٰ، عن فضيل بن عياض قال: ما أغبط ملَكًا مقرَّبًا ولا نبيًّا مرسلاً يعاين القيامةَ وأهوالها، ما أغبط إلا مَن لم يكن شيئًا.

(**ورُوي أن فتىٰ من الأنصار دخلته خشية النار، فكان يبكي، حتىٰ حبسه ذلك في البيت**) أي عن حضوره الجماعة مع رسول الله ﷺ (**فجاء النبي ﷺ فدخل عليه واعتنقه**) فكشف له عن الحجاب الذي كان بينه وبين الله تعالىٰ فلم يحتمله (**فخرَّ ميتًا، فقال ﷺ: جهِّزوا صاحبكم، فإن الفَرَق من النار**) أي الخوف منها (**فتَّت كبده**) قال العراقي[3]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من حديث حذيفة[4] والبيهقي

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢١٤.

(٢) السابق ٨/ ٩٠.

(٣) المغني ٢/ ١٠٧٧ - ١٠٧٨.

(٤) وأخرجه أيضا من حديث حذيفة: قوام السنة في الترغيب والترهيب ١/ ٣٠٦، وزاد في آخره: «والذي نفسي بيده أعاذه الله منها، من رجا شيئا طلبه، ومن خاف شيئا هرب منه».

في الشعب[١] من حديث سهل بن سعد بإسنادين فيهما نظرٌ.

(ورُوي عن) ميسرة (ابن أبي ميسرة) عمرو بن شرحبيل الهَمْداني الكوفي (أنه كان إذا آوي إلىٰ فراشه يقول: يا ليت أمي لم تلدني. فقالت له أمه) حين سمعت منه ذلك مرارًا: (يا ميسرة، إن الله تعالىٰ قد أحسن إليك حيث هداك للإسلام. قال: أجل، ولكن الله قد بيَّن لنا أنَّا واردو النار) وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١] (ولم يبيِّن لنا أنَّا صادرون عنها)[٢] أي فهذا سبب خوفي منها.

(وقيل لفرقد) بن[٣] يعقوب (السَّبَخي) بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة، بصري، صدوق، في حديثه لينٌ، مات سنة إحدىٰ وثلاثين [ومائة] روىٰ له الترمذي وابن ماجه (أخبِرْنا) يا أبا يعقوب (بأعجب شيء بلغك عن بني إسرائيل. قال: بلغني أنه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح) يتعبَّدن الله عَزَّوَجَلَّ (فتذاكرنَ ثواب الله وعقابه فمتنَ جميعًا في يوم واحد) أي غلب عليهن الخوفُ ففتَّت كبدهن فمتنَ، وهكذا شأن الخوف إذا فاض من القلب إلىٰ الكبد.

(وكان عطاء السَّليمي) بفتح المهملة وكسر اللام نسبة إلىٰ سليمة بن مالك بن فَهْم: بطن من الأزد[٤]، زاهد مشهور، ويقال له العبدي أيضًا (من

---

(١) شعب الإيمان ٢/ ٢٩١، وهو عند الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٤ من طريق ابن المبارك عن سهل بن سعد، وهو في الزهد (زيادات نعيم بن حماد) ٣٢٠ قال: أنا مطرف عن الثقة. فذكره.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ١٥/ ٥٩٤، وابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٢٤، والنسائي في السنن الكبرىٰ ١٠/ ٤٠١، وأحمد في الزهد ص ٢٩٤. وصاحب القصة هو أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل وليس ابنه. وفي جميع المصادر: (فقالت له امرأته).

(٣) تقريب التهذيب ص ٧٨٠.

(٤) انظر: معجم قبائل العرب ٢/ ٥٥٠.

الخائفين) المشهورين بالخوف، حتىٰ يقال: إنه نسي القرآن من الخوف، وكان إذا رأىٰ تنُّورًا يُسجَر يسقط مغشيًّا عليه من الخوف، وإذا فرغ من وضوئه ارتعد وبكىٰ [بكاء] شديدًا، وكان لدموعه حوله أثر البلل كأنه أثر الوضوء(١) **(ولم يكن يسأل الله الجنة أبدًا، إنما كان يسأل الله العفو)** رواه صاحب الحلية(٢) من طريق أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان يقول: كان عطاء السليمي قد اشتد خوفه، وكان لا يسأل الله أبدًا الجنة، فإذا ذُكرت عنده قال: نسأل الله العفوَ.

(وقيل له في مرضه: ألا تشتهي شيئًا؟ فقال: إن خوف جهنم لم يَدَعْ في قلبي موضعًا للشهوة) نقله صاحب القوت. وروىٰ صاحب الحلية(٣) من طريق مسكين أبي فاطمة عن صالح المرِّي قال: قلت لعطاء السليمي: إنك قد ضعفتَ، فلو صنعنا لك سويقًا [وتكلَّفناه. قال: فصنعت له سويقًا، فشرب منه شيئًا، ثم مكث أيامًا لا يشرب، فقلت: صنعنا لك سويقًا] وتكلَّفناه. فقال: يا أبا بشر، إني إذا ذكرتُ النار لم أسغْه. وفي رواية: إذا أردت أن أشربه ذكرتُ هذه الآية: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ [إبراهيم: ١٧]. وفي رواية: قال له صالح: يا شيخ، قد خدعك إبليس. قال: فقال لي: ويحك يا صالح! إني واللهِ إذا ذكرت جهنم ما يسيغني طعام ولا شراب. قال: قلت: أنت واللهِ في وادٍ [وأنا في وادٍ] لا عاتبتك في هذا أبدًا.

(ويقال: إنه ما رفع رأسه إلىٰ السماء ولا ضحك أربعين سنة، وإنه رفع رأسه يومًا ففزع فسقط فانفتق في بطنه فتقٌ) رواه أبو نعيم في الحلية(٤) من طريق أبي عبد الله ابن عبيدة قال: سمعت عفيرة – وكانت متعبِّدة قد ذهب بصرها من البكاء– تقول:

---

(١) كل ذلك ذكره أبو نعيم في ترجمته من الحلية ٦/ ٢١٧ - ٢١٨ بأسانيده.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٢١٧.

(٣) السابق ٦/ ٢١٨ـ ٢١٩.

(٤) السابق ٦/ ٢٢١.

لم يرفع عطاء رأسه إلىٰ السماء ولم يضحك أربعين سنة، فرفع رأسه مرةً [ففزع] فسقط ففتق فتقًا في بطنه.

(**وكان يمس جسده في بعض الليل مخافةَ أن يكون قد مُسخ**) رواه[١] كذلك من الطريق المذكورة عن خزيمة بن زرعة، حدثنا محمد بن كثير، عن إبراهيم ابن أدهم قال: كان عطاء يمس جسده بالليل خوفًا من ذنوبه مخافةَ أن يكون قد مُسخ.

(**وكان إذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال: هذا من أجلي يصيبهم، لو مات عطاء لاستراح الناس**) رواه عبد الله بن أحمد[٢] في زوائد الزهد من الطريق المذكورة عن يحيىٰ بن راشد، حدثنا مرجًّا بن وادع الراسبي قال: كان عطاء إذا هبَّت ريح وبرق ورعد قال: هذا من أجلي يصيبكم، لو مات عطاء استراح الناس. قال: وكنا ندخل علىٰ عطاء، فإذا قلنا له: زاد الطعامُ، قال: هذا من أجلي يصيبكم [غلاء الطعام] لو مت أنا لاستراح الناس. ورواه صاحب الحلية[٣] من طريق أحمد بن إسحاق الحضرمي، حدثنا إبراهيم بن يعقوب قال: كان عطاء السليمي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ ببطنه كأنَّه امرأة ماخض، ويقول: قد كنت أرجو أن أموت قبل أن يجيء الشتاء.

(**وقال عطاء**) السليمي: (**خرجنا مع عُتبة**) بن أبان (**الغلام**) نسير (**وفينا كهول وشبَّان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء، قد تورَّمت أقدامهم من طول القيام، وغارت أعينهم في رؤوسهم، ولصقت جلودهم علىٰ عظامهم، وبقيت العروق كأنَّها الأوتار، يصبحون كأنَّ جلودهم قشور البطيخ، وكأنَّهم قد أُخرِجوا من القبور، يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين، فبينما هم يمشون إذ مر عتبة بمكان**) هناك (**فخرَّ مغشيًّا عليه، فجلس أصحابه حوله يبكون**

---

(١) السابق ٦/ ٢٢٢.

(٢) ومن طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢٢١.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٢٢٥.

في يوم شديد البرد، وجبينه يرشح عرقًا، فجيء بماء فمسحوا وجهه فأفاق، وسألوه عن أمره فقال: إني ذكرت أني كنت عصيت الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك المكان) رواه أبو نعيم في الحلية[1] أخصر منه قال: حدثنا أحمد بن بُندار، حدثنا جعفر بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن عبد الله الخُتَّلي، حدثني محمد بن الحسين، حدثنا عبيد الله بن محمد ابن حفص التيمي، حدثني أبو حسن ابن اليسع قال: لقي عبدُ الواحد بن زيد عتبةَ الغلام في رحبة القَصَّابين في يوم شاتٍ شديد البرد، فإذا هو يرفض عرقًا، فقال له عبد الواحد: عتبة؟ قال: نعم. قال: فما شأنك؟ ما لك تعرق في مثل هذا اليوم؟ قال: خير. قال: لتخبرني. قال: خير. قال: فقال: للأنس الذي بيني وبينك والإخاء إلا ما أخبرتني. قال: إني واللهِ ذكرتُ ذنبًا أصبتُه في هذا المكان، فهذا الذي رأيتَ من أجل ذلك.

(وقال) أبو بشر **(صالح)** بن بِشر **(المري)** رحمه الله تعالىٰ: **(قرأت علىٰ رجل من المتعبِّدين)** يومًا قوله تعالىٰ: (﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ إلىٰ آخره [الأحزاب: ٦٦] **(فصعق، ثم أفاق فقال: زدني يا صالح، فإني أجد غمًّا. فقرأت)** عليه قوله تعالىٰ: (﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾) الآية [السجدة: ٢٠] **(فخرَّ ميتًا)** وهذا من شدة الخوف الذي غلب علىٰ القلب ففاض منه إلىٰ المرارة فانشقَّت ومات.

(ورُوي أن) أبا[2] حاجب **(زُرارة بن أوفَىٰ)** العامري الحَرَشي البصري، قاضيها، ثقة، عابد، روىٰ له الجماعة **(صلىٰ بالناس الغَداة، فلمَّا قرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾** [المدثر: ٨] **خرَّ مغشيًّا عليه فحُمل ميتًا)** روىٰ المزي في التهذيب[3] من طريق أبي جناب القَصَّاب قال: صلىٰ بنا زرارة الفجر، فلما بلغ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي

(١) السابق ٦/ ٢٢٨.

(٢) تقريب التهذيب ص ٣٣٦.

(٣) تهذيب الكمال ٩/ ٣٤١.

﴿ٱلنَّاقُورِ﴾ شهق شهقة فمات. ومن طريق بَهْز: أمَّنا زُرارة في [الفجر في] مسجد بني قُشَير، فقرأ، حتىٰ إذا بلغ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝﴾ خرَّ ميتًا. قال: فكنت فيمَن حمله. وقد تقدم في تلاوة القرآن.

(ودخل يزيد) بن أبان **(الرقاشي)** القاصُّ **(علىٰ عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالىٰ **(فقال)** له: **(عِظْني يا يزيد. فقال: يا أمير المؤمنين، اعلمْ أنك لست أول خليفة يموت. فبكىٰ، ثم قال: زدني. قال: يا أمير المؤمنين، ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت. فبكىٰ، ثم قال: زدني يا يزيد. فقال: يا أمير المؤمنين، ليس بينك وبين الجنة والنار منزل)** ألا فاعلمْ **(فخرَّ مغشيًّا عليه)**[١] أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال ميمون بن مِهْران) الجَزَري كاتب عمر بن عبد العزيز: **(لمَّا نزلت هذه الآية:** ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝﴾ [الحجر: ٤٣] **صاح سلمان الفارسي)** رضي الله عنه **(ووضع يده علىٰ رأسه وخرج هاربًا ثلاثة أيام لا يقدرون عليه)** قال العراقي[٢]: لم أقف له علىٰ أصل[٣].

قلت: روىٰ أبو نعيم في الحلية[٤] من طريق عمرو بن ميمون قال: خرجت

---

(١) رواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٢١٦ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٥/ ٧٤ عن أبي القاسم المذكر قال: دخل يزيد الرقاشي علىٰ عمر بن عبد العزيز، فقال له: عظني. فقال: أنت أول خليفة يموت يا أمير المؤمنين. قال: زدني. قال: لم يبق أحد من آبائك من لدن آدم إلىٰ أن بلغت النوبة إليك إلا وقد ذاق الموت. قال: زدني. قال: ليس بين الجنة والنار منزل، والله إن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم، وأنت أبصر ببرك وفجورك. فبكىٰ عمر حتىٰ سقط عن سريره.

(٢) المغني ٢/ ١٠٧٨.

(٣) بل رواه السمرقندي في تنبيه الغافلين ص ٤٦ (ط - مكتبة الإيمان). وقال السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول ص ١٥٤ (ط - مؤسسة الكتب الثقافية): «أخرج الثعلبي عن سلمان الفارسي أنه لما سمع قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝﴾ فر ثلاثة أيام هاربا من الخوف لا يعقل، فجيء به إلىٰ النبي ﷺ فسأله فقال: يا رسول الله، أنزلت هذه الآية، فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي. فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝﴾».

(٤) حلية الأولياء ٤/ ٨٢.

بأبي أقوده في بعض سكك البصرة ... الحديث، وفيه: ثم دفعنا إلىٰ منزل الحسن، فطرقت الباب، فخرجت إلينا جارية سداسية، فقالت: مَن هذا؟ فقلت: هذا ميمون بن مهران، أراد لقاء الحسن. فقالت: كاتب عمر بن عبد العزيز؟ فقلت لها: نعم. فقالت: يا شقي، ما بقاؤك إلىٰ هذا الزمان السوء. قال: فبكىٰ الشيخ، فسمع الحسن بكاءه، فخرج إليه، فاعتنقا، فدخلنا، فقال ميمون: يا أبا سعيد، إني قد آنست من قلبي غلظة [فاستلِنْ لي منه] فقرأ الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٢٠٦ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ۝٢٠٧﴾ [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧] قال: فسقط الشيخ، فرأيته يفحص برجليه كما تفحص الشاة المذبوحة، فأقام طويلاً، ثم أفاق، فجاءت الجارية فقالت: قد أتعبتم الشيخ، قوموا تفرَّقوا. فأخذت بيد أبي فخرجت به(١).

(**ورأىٰ داود**) بن نصير (**الطائي**) رحمه الله تعالىٰ (**امرأة تبكي علىٰ رأس قبر ولدها وهي تقول: يا ابناه، ليت شِعري أيُّ خدَّيك بدأ به الدود أولاً؟ فصعق داود وسقط مكانه**)(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وقيل: مرض سفيان الثوري**) مرضة (**فعُرض دليله**) أي ما يُستدَل به علىٰ مرضه وهي القارورة (**علىٰ طبيب ذمِّي، فقال**): صاحب (**هذا رجل قطع الخوف كبده. ثم جاء**) إليه (**وجسَّ نبضه، ثم قال: ما علمتُ أن في الملَّة الحنيفية مثله**) في كمال خوفه. هذا لفظ القشيري في الرسالة. ولفظ القوت: ولقد كان سفيان أحد

---

(١) بعده في الحلية: «ثم قلت: يا أبتاه، هذا الحسن قد كنت أحسب أنه أكبر من هذا. فوكزني في صدري وكزة ثم قال: يا بني، لقد قرأ علينا آية لو فهمتها بقلبك لأبقىٰ لها فيك كلوم».

(٢) في كتاب العاقبة في ذكر الموت لعبد الحق الإشبيلي ص ١٩٥: «مر داود الطائي بامرأة تبكي علىٰ قبر وهي تقول:

عدمت الحياة فلا نلتها ... إذا أنت في القبر قد وسدوكا

وكيف ألذ بطعم الكرىٰ ... وها أنت في القبر قد أفردوكا

ثم قالت: يا ابناه، بأي خديك بدأ الدود أولا؟ فخر داود مغشيا عليه».

الخائفين، كان يبول الدم من شدة الخوف، وكان يمرض المرضات من المخافة، وعُرض بوله علىٰ بعض أطباء الكتابيين فقال: هذا بول راهب من الرهبان(١).

وروىٰ أبو نعيم في الحلية(٢) من طريق علي بن عثام قال: مرض سفيان الثوري بالكوفة، فبُعث بمائه إلىٰ متطبِّب بالكوفة، فلما نظر إليه قال: ويلك! بول مَن هذا؟ فقالوا: ما تسأل، انظر ما ترىٰ فيه. قال: أرىٰ بول رجل قد أحرق الحزن والخوف جوفه(٣).

(وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالىٰ: سألت الله عَزَّوَجَلَّ أن يفتح عليَّ بابَ الخوف، ففتح) عليَّ بابه **(فخِفتُ علىٰ عقلي فقلت: يا رب)** أعطِني **(علىٰ قدْر ما أطيق)** وأقدر عليه **(فسكن قلبي)** نقله القشيري في الرسالة، إلا أنه قال: فسكن ذلك.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية(٤) في ترجمة الفضيل قال: سأل داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه أن يلقي الخوف في قلبه [ففعل] فلم يحتمله قلبُه، وطاش عقلُه حتىٰ ما كان يعقل صلاةً ولا ينتفع بشيء، فقال له: تحب أن ندعك كما أنت أو نردُّك إلىٰ ما كنتَ عليه؟ قال: رُدَّني. فردَّ الله إليه عقله.

(وقال عبد الله بن عمرو بن العاص) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلمَ أحدُكم لصرخ حتىٰ ينقطع صوته، وصلىٰ حتىٰ**

---

(١) روىٰ ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١/ ٩٢ والخطيب في تاريخ بغداد ١٠/ ٢٢٦ عن أبي أسامة قال: اشتكىٰ سفيان، فذهبت بمائه في قارورة فأريته الديراني - يعني المتطبب - فنظر إليه وقال لي: بول من هذا؟ ينبغي أن يكون هذا بول راهب، هذا بول رجل قد فرث الحزن كبده، ما أرىٰ لهذا دواء. ورواه ابن المقرئ في معجمه ص ١٣١ عن المبارك بن سعيد أخو سفيان بلفظ: أول ما بدأ سفيان في الزهد ظننا أنه مريض، فأخذنا بوله في قارورة وذهبنا إلىٰ الطبيب بالأكيراخ نصراني، فقال: ما صاحبكم بمريض، وما به إلا الخوف، وما هو إلا بول راهب.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ١٤.

(٣) في الحلية: قد أحرق الخوف كبده والحزن جوفه.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٨٥.

ينكسر صُلبُه) رواه أحمد في الزهد عن وكيع حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مُلَيكة عنه قال: لو تعلمون ... فذكره، وفيه: ولو تعلمون حق العلم لصرخ أحدكم حتىٰ ينقطع صوته، ولسجد حتىٰ ينقطع صلبه. ورواه أبو نعيم في الحلية(١) من هذا الطريق، وقد تقدم قريبًا.

(وكأنَّه أشار إلىٰ معنىٰ قوله ﷺ: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا) تقدَّم مِرارًا.

(وقال العنبري) هو(٢) عبيد الله بن الحسن بن حُصَين بن أبي الحُر، من بني العنبر بن عمرو بن تميم التميمي البصري القاضي، قال النسائي: فقيه بصري ثقة. وقال ابن حبان(٣): من سادات أهل البصرة فقهًا وعلمًا. ولي القضاءَ سنة سبع وخمسين [ومائة] ومات سنة ثمان وستين ومائة، روىٰ له مسلم حديثًا واحدًا والبخاري في الأدب المفرد **(اجتمع أصحاب الحديث علىٰ باب الفضيل ابن عياض)** رحمه الله تعالىٰ **(فاطَّلع عليهم من كُوَّة وهو يبكي ولحيته ترجف)** أي تضطرب **(فقال: عليكم بالقرآن)** أي بتلاوته **(عليكم بالصلاة، ويحكم! ليس هذا زمان حديث، إنما هذا زمان بكاء وتضرُّع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق، إنما هذا زمان احفظ لسانك، واخْفِ مكانك، وعالِجْ قلبك، وخذْ ما تعرف، ودَعْ ما تنكر)**(٤) وروىٰ أبو نعيم في الحلية(٥) من طريق الحسين بن زياد قال: سمعت الفضيل يقول:

---

(١) السابق ١/ ٢٨٩.

(٢) تهذيب الكمال ١٩/ ٢٣ - ٢٦.

(٣) الثقات ٧/ ١٤٣.

(٤) رواه ابن حبان في الثقات ٨/ ٣٧٨ عن عبد الرحمن بن أبي عباد مختصرا. ورواه ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٣٤ عن الفيض بن إسحاق قال: سألت فضيل بن عياض عن الأمر والنهي، فقال: ليس هذا زمان كلام، هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء لجميع أمة محمد ﷺ.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ٩٤.

احفظ لسانك، وأقبِلْ علىٰ شأنك، واعرفْ زمانك، واخْفِ مكانك.

ومن[1] طريق يزيد بن خنيس قال: قال رجل: مررت ذات يوم بفضيل بن عياض، فقلت له: أوصِني بوصيَّة ينفعني الله بها. قال: يا عبد الله، اخْفِ مكانك، واحفظ لسانك، واستغفِرْ لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات كما أمرك.

(**ورُؤي الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالىٰ (**يومًا وهو يمشي، فقيل له: إلىٰ أين؟ قال: لا أدري. وكان يمشي والهًا من الخوف**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال ذر بن عمر لأبيه عمر بن ذر**) بن[2] عبد الله بن زُرارة الهَمْداني المُرْهِبي الكوفي، وكان عمر يكنىٰ أبا ذر، وهو ثقة في الحديث، وقال العِجْلي: عمر بن ذر القاصُّ كان ثقة بليغًا. وقال سفيان بن عيينة لمَّا مات ذر بن عمر قعد عمر علىٰ شفير قبره وهو يقول: يا بني، شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، فليت شِعري ما قلتَ وما قيل لك؟ اللهم إنك أمرتَه بطاعتك وأمرتَه ببرِّي، فقد وهبتُ له ما قصَّر فيه من حقي، فهَبْ له ما قصَّر فيه من حقك. وعن ابن السَّمَّاك قال: لمَّا دفن عمر ابنه وقف علىٰ قبره فبكىٰ وقال: اللهم إني أُشهِدك أني قد تصدَّقت بما تثيبني عليه من مصيبتي فيه عليه. فأبكىٰ مَن حضر، ثم قال: شغلنا الحزنُ لك عن الحزن عليك. ثم ولَّىٰ وهو يقول: انطلقنا وتركناك، ولو أقمنا ما نفعناك، ولكن نستودعك أرحم الراحمين. مات عمر سنة ثلاث وخمسين ومائة[3]، روىٰ له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في كتاب التفسير له. ووالده ذر بن عبد الله يكني أبا عمر، ثقة، من أقران النخعي وسعيد بن جبير، روىٰ له الجماعة (**ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد، فإذا تكلَّمت أنت سمعتُ البكاء من كل**

---

(١) السابق ٨/ ٩٧.

(٢) تهذيب الكمال للمزي ٢١/ ٣٣٤ – ٣٤٠. معرفة الثقات للعجلي ٢/ ١٦٥ – ١٦٦. تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٥/ ١٣ – ٣٥.

(٣) اختلف في سنة وفاته، وهي بين سنة خمسين ومائة وسنة سبع وخمسين ومائة.

جانب؟ فقال: يا بني، ليست النائحة الثكلىٰ كالنائحة المستأجَرة) رواه أبو نعيم في الحلية[1] فقال: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد قال: أُخبِرتُ عن ابن السَّمَّاك قال: قال ذر لأبيه: ما بال ... فذكره.

(**وحُكي أن قومًا وقفوا بعابد**) في صومعته (**وهو يبكي، فقالوا: ما الذي يبكيك يرحمك الله؟ قال: روعة يجدها الخائفون في قلوبهم. قالوا: وما هي؟ قال: روعة النداء بالعرض علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ**) نقله صاحب القوت. (**وكان**) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد (**الخَوَّاص**[2]) رحمه الله تعالىٰ (**يبكي ويقول في مناجاته**): إلهي (**قد كبرتُ**) سنًّا (**وضعُفَ جسمي عن خدمتك، فأعتِقْني**) فهذا منه يدل علىٰ شدة خوفه من التقصير في الطاعات.

(**وقال**) أبو بشر (**صالح**) بن بشر (**المُرِّي**) رحمه الله تعالىٰ: (**قدمَ علينا**) البصرةَ (**ابن السَّمَّاك**) محمد بن صبيح البغدادي القاصُّ (**مرةً، فقال**) لي: (**أرِني شيئًا من بعض عجائب عُبَّادكم. فذهبت به إلىٰ رجل في بعض الأحياء**) وهو (**في خُصٍّ له**) وهو بيت من قصب (**فاستأذنَّا عليه**) فأذنَ لنا (**فإذا**) هو (**رجل يعمل خوصًا**) له (**فقرأت عليه**) قوله تعالىٰ: (﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٢﴾ [غافر: ٧١ - ٧٢] **فشهق الرجل شهقة**) فإذا هو قد يبسَ (**وخرَّ مغشيًّا عليه، فخرجنا من عنده وتركناه علىٰ حاله، وذهبنا إلىٰ آخر**) فاستأذنا عليه، فأذنَ لنا (**فدخلنا عليه فقرأت**) عليه (**هذه الآية**) يعني المذكورة آنفًا (**فشهق شهقة وخرَّ مغشيًّا عليه**) فخرجنا من عنده وتركناه علىٰ حاله (**واستأذنا علىٰ ثالث، فقال: ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربِّنا**) فدخلنا، فإذا رجل جالس في مصلىً له

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ١١٠.

(٢) بل هو أبو عبيدة عباد بن عباد الخواص، كما رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ص ٢٠٢ وقوام السنة في الترغيب والترهيب ١/ ٣٠٨ عن عقيبة بن فضالة قال: سمعت أبا عبيدة الخواص بعدما كبر وهو آخذ بلحيته ويبكي ويقول: قد كبرتُ، فأعتقني يا مولاي.

(فقرأت) عليه هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٤] فشهق شهقة فبدر الدمُ من منخريه، وجعل يتشحَّط في دمه حتىٰ يبسَ، فتركناه علىٰ حاله وخرجنا) من عنده (فأدرتُه علىٰ ستة أنفُس، كل) واحد منهم (نخرج من عنده ونتركه) علىٰ حاله (مغشيًّا عليه، ثم أتيت به إلىٰ السابع، فاستأذنا، فإذا امرأة) له (من داخل الخُص) أي من ورائه، كما هو نص الحلية (تقول) لنا: (ادخلوا. فدخلنا، فإذا شيخ فانٍ جالس في مصلاًه، فسلَّمنا عليه، فلم يشعر بسلامنا) ولفظ الحلية: فلم يعقل سلامَنا (فقلت بصوت عالٍ: ألا إن للخلق غدًا مقامًا. فقال الشيخ: بين يدي مَن ويحك؟ ثم بقي مبهوتًا، فاتحًا فاه، شاخصًا بصره) إلىٰ السماء (يصيح بصوت له ضعيف: أوه أوه، حتىٰ انقطع ذلك الصوت، فقالت امرأته: اخرجوا) عنه (فإنكم لا تنتفعون به الساعة. فلمَّا كان بعد ذلك سألتُ عن القوم، فإذا ثلاثة) منهم (قد أفاقوا) من غشيتهم فيما بعد (وثلاثة) منهم (قد لحقوا بالله عَزَّوَجَلَّ، وأما الشيخ) وهو السابع (فإنه مكث ثلاثة أيام علىٰ حالته مبهوتًا متحيِّرًا لا يؤدي فرضًا، فلما كان بعد ثلاث) ولفظ الحلية: بعد ثالثة (عقلَ) أي رجع إلىٰ عقله. رواه صاحب الحلية[١] عن محمد بن أحمد بن عمر، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد، حدثنا عبد الرحمن بن يحيىٰ الدبيلي، عن عثمان بن عمارة، عن صالح المري قال: قدمَ علينا ابن السَّمَّاك مرةً فقال ... فساقه سواء.

(وكان يزيد بن الأسود) هكذا في النسخ، والصواب: الأسود بن يزيد[٢]، وهو ابن قيس النَّخَعي الكوفي، خال إبراهيم النخعي وابن أخي علقمة بن قيس الذي روىٰ عن ابن مسعود، وكان أسن من علقمة (يُرىٰ أنه من الأبدال) قال أحمد ويحيىٰ: ثقة، زاد أحمد: من أهل الخير[٣]. وقال ابن سعد[٤]: ثقة، وله أحاديث

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ١٦٩.

(٢) تهذيب الكمال للمزي ٣/ ٢٣٣ - ٢٣٥.

(٣) رواه عنهما ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/ ٢٩٢.

(٤) الطبقات الكبرىٰ ٨/ ١٩١ - ١٩٧.

صالحة. وقال ميمون أبو حمزة: سافر ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهما، وسافر ابنه عبد الرحمن أيضًا كذلك[1]. وقال غيره: وكان عبد الرحمن بن الأسود يصلي كل يوم سبعمائة ركعة، وكانوا يقولون: إنه أقل أهل بيته اجتهادًا. قال: وكانوا يسمُّون آل الأسود من أهل الجنة[2] (**وكان قد حلف أنه لا يضحك أبدًا ولا ينام مضطجعًا ولا يأكل سمينًا أبدًا، فما رُؤي ضاحكًا ولا مضطجعًا ولا أكل سمينًا حتىٰ مات رحمه الله تعالىٰ**) بالكوفة سنة خمس وسبعين، روىٰ له الجماعة.

(**وقال الحجاج**) بن يوسف الثقفي (**لسعيد بن جبير**) بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي التابعي الشهير حين أُتي به إليه فسأله عن اسمه، فقال: سعيد بن جبير. قال: أنت شقيُّ بن كُسَير. قال: بل أمي كانت أعلم باسمي منك. قال: شقيتَ أنت وشقيت أمُّك. قال: الغيب يعلمه غيرُك ... في قصة طويلة في آخرها: قال الحجاج: يا غلام، السيف والنِّطع. فلما ولَّىٰ ضحك، فقال الحجاج: أليس (**قد بلغني أنك لم تضحك قط. قال: كيف أضحك وجهنم قد سُعِّرت، والأغلال قد نُصبت، والزبانية قد أُعِدَّت**) قال: فما أضحكك عند القتل؟ قال: من جرأتك علىٰ الله تعالىٰ ومن حِلمِ الله عنك. رواه المزِّي في التهذيب[3] من طريق عون بن أبي شداد العبدي قال: بلغني أن الحجاج لمَّا ذُكر له سعيد ... فساق القصة مطوَّلة.

(**وقال رجل للحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**يا أبا سعيد، كيف أصبحتَ؟ قال: بخير. قال: كيف حالك؟ فتبسَّم الحسن وقال: تسألني عن حالي؟ ما ظنُّك بناس ركبوا السفينة حتىٰ توسَّطوا البحرَ فانكسرت**) بهم (**سفينتهم فتعلَّق كل إنسان منهم بخشبة؟ علىٰ أيِّ حال يكون؟ قال الرجل: علىٰ حالة شديدة. قال**

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥/ ٣٨٢.

(٢) رواه أحمد في الزهد ص ٢٩١.

(٣) تهذيب الكمال ١٠/ ٣٦٩ - ٣٧٣ نقلا عن حلية الأولياء ٤/ ٢٩١ - ٢٩٤.

الحسن: حالي أشد من حالهم)[١] نقله صاحب القوت.

(و) يُروَىٰ أنه (دخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز) الأموي (علىٰ عمر) رحمه الله تعالىٰ (فسلَّمت عليه، ثم قامت إلىٰ مسجد في بيته فصلَّت فيه ركعتين، وغلبتها عيناها فرقدت فاستبكت في منامها، ثم انتبهت) باكية مذعورة، فسُئلت عن ذلك (فقالت: يا أمير المؤمنين، إني واللهِ رأيت عجبًا. قال: وما ذاك؟ قالت: رأيت النار وهي تزفر علىٰ أهلها) أي تلتهب وتصوِّت (ثم جيء بالصراط فوُضع علىٰ متنها) أي ظهرها (فقال: هِيه) بالكسر، كلمة استزادة (قالت: فجيء بعبد الملك بن مروان فحُمل عليه، فما مضىٰ عليه إلا يسير حتىٰ انكفأ به الصراطُ فهوىٰ إلىٰ جهنم) أي سقط فيها (فقال عمر: هيه) أي زِيدي (قالت: ثم جيءَ بالوليد بن عبد الملك فحُمل عليه، فما مضىٰ إلا يسير حتىٰ انكفأ به الصراط فهوىٰ إلىٰ جهنم. فقال عمر: هيه. قالت: ثم جيء بسليمان بن عبد الملك، فما مضىٰ عليه إلا يسير حتىٰ انكفأ به الصراط فهوىٰ كذلك. فقال عمر: هيه. قالت: ثم جيء بك واللهِ يا أمير المؤمنين. فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة خرَّ) منها (مغشيًّا عليه، فقامت إليه فجعلت تنادي في أذنه: يا أمير المؤمنين، إني رأيتك واللهِ قد نجوتَ، إني رأيتك واللهِ قد نجوتَ. قال: وهي تنادي، وهو يصيح ويفحص برجليه) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(ويُحكَىٰ أن أُوَيس) بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو (القَرَني رحمه الله تعالىٰ كان يحضر عند القاصِّ) فيسمعه (فيبكي من كلامه، فإذا ذكر النار صرخ أويس) من شدة خوفه (ثم يقوم منطلقًا، فيتَّبعه الناس فيقولون: مجنون مجنون) وما به جنون، وإنما هو الخوف من النار. وقد تقدم هذا وما يتعلَّق بأويس رحمه الله تعالىٰ مطوَّلاً.

(وقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن المؤمن لا تسكن روعتُه حتىٰ يترك جسر جهنم وراءه) نقله صاحب القوت.

---

(١) رواه أبو بكر المروزي في أخبار الشيوخ وأخلاقهم ص ١٨٣ (ط - دار البشائر الإسلامية).

(وكان طاووس) بن كَيْسان اليماني التابعي (يُفرَش له الفراش، فيضطجع ويتقلَّىٰ كما تتقلَّىٰ الحبة في المِقْلَىٰ) كناية عن كثرة التقلُّب والاضطراب (ثم يثِب) عنه قائمًا (فيدرجه) أي يطويه (ويستقبل القبلة) راكعًا ساجدًا تاليًا (حتىٰ الصباح، ويقول: طيَّرَ ذِكرُ جهنم نومَ الخائفين)(١) عن أعينهم.

(وقال الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ: يخرج من النار رجل بعد ألف عام، ويا ليتني كنت ذلك الرجل)(٢) يقول هذا وهو إمام العلماء (وإنما قال ذلك لخوفه) الشديد (من الخلود) في الأبدية (وسوء الخاتمة) قال: فبعد أن أُخرِجَ منها بوقت لا أبالي. كذا في القوت.

(و) عن مشاهدة معنىٰ ما تقدَّم كان خوف الحسن وحزنه، حتىٰ (رُوي أنه ما ضحك أربعين سنة. قال) الراوي: (وكنت إذا رأيتَه قاعدًا كأنَّه أسير قد قُدِّم لتُضرَب عنقه، وإذا تكلم كأنَّه يعاين الآخرةَ) أي يشاهدها رأي العين (فيخبر عن مشاهدتها، فإذا سكت كأنَّ النار تسعَّر بين عينيه، وعوتِبَ في شدة حزنه وخوفه فقال: ما يؤمِّنني أن يكون الله تعالىٰ قد اطَّلع عليَّ في بعض ما يكره فمقتني فقال: اذهبْ فلا غفرتُ لك، فأنا أعمل في غير معتمل) كذا في القوت.

(وعن) أبي العباس محمد بن صبيح (ابن السَّمَّاك) البغدادي الواعظ (قال: وعظتُ يومًا في مجلس، فقام شاب من القوم فقال: يا أبا العباس، لقد وعظتَ اليوم بكلمة ما كنا نبالي أن لا نسمع غيرها. قلت: وما هي رحمك الله؟ قال: قولك: لقد قطع قلوبَ الخائفين طول الخلودينِ إما في الجنة أو في النار، ثم غاب عني، فتفقَّدته في المجلس الآخَر فلم أرَه، فسألتُ عنه، فأُخبِرتُ أنه مريض يُعاد، فأتيته أعوده، فقلت) له: (يا أخي، ما الذي أرىٰ بك؟ فقال: يا أبا العباس، ذلك من قولك:

---

(١) رواه محمد بن نصر في مختصر قيام الليل ص ٧٠.

(٢) تقدم هذا الأثر في كتاب التوبة بلفظ: «ولما روىٰ الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادي: يا حنان يا منان، قال الحسن: يا ليتني كنت ذلك الرجل».

لقد قطع قلوبَ الخائفين طولُ الخلودينِ إما في الجنة أو في النار. قال: ثم مات رحمه الله، فرأيتُه في المنام، فقلت: يا أخي، ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة. قلت: بماذا؟ قال: بالكلمة) أي التي ذكرتَ.

وقد بُشِّر العلاء بن زياد العَدَوي بالجنة، وكان من العُبَّاد، فغلَّق عليه بابه سبعًا، ولم يذق طعامًا، وجعل يبكي ويقول: أنا؟! في قصة طويلة(١)، حتىٰ دخل عليه الحسن، فجعل يعذله في شدة خوفه وكثرة بكائه، وقال: يا أخي، من أهل الجنة إن شاء الله تعالىٰ، أقاتِلُ نفسك؟ فما ظنُّك برجل يعذله الحسن في الخوف، وقد كان مَن فوقهم من علية الصحابة يتمنَّون أنهم لم يُخلَقوا بشرًا، وكانوا قد بُشِّروا بالجنة يقينًا في غير خبر، كما تقدم قريبًا من أقوالهم الدالَّة علىٰ ذلك.

(فهذه مخاوف الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين، ونحن أجدر بالخوف منهم، ولكن ليس الخوف) يكون **(بكثرة الذنوب)** ولو كان كذلك لكنا أكثر خوفًا منهم **(بل)** إنما يكون **(بصفاء القلوب وكمال المعرفة)** وشدة التعظيم لله ﷿ **(وإلا فليس أمننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا، بل قادتنا شهوتُنا، وغلبت علينا شِقوتُنا، وصدَّتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتُنا وقسوتنا)** فعميت بصائرُنا **(فلا قُرب الرحيل ينبِّهنا، ولا كثرة الذنوب تحركنا، ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوِّفنا، ولا خطر الخاتمة يزعجنا)** ولا وعظ الواعظين يؤثِّر فينا **(فنسأل الله تعالىٰ أن يتدارك بفضله وجوده أحوالَنا)** ممَّا فرَّطنا فيه **(فيصلحنا إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد)** والتزوُّد للمعاد **(ينفعنا. ومن العجائب أنَّا إذا أردنا المال في الدنيا زرعنا، وغرسنا، واتَّجرنا، وركبنا البحار والبراري)** والقِفار **(وخاطرنا)** بأنفسنا وأموالنا **(وإن أردنا طلب رتبة العلم تفقَّهنا، وتعبنا في حفظه وتكراره، وسهرنا)** في تحصيله **(ونجتهد في طلب أرزاقنا)** بكل ممكن **(ولا نثق بضمان الله لنا)** يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

---

(١) هذه القصة رواها أحمد في الزهد ص ٢٠٤ - ٢٠٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٢٤٥.

[الذاريات: ٢٣] وقوله تعالىٰ: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ١٣٢﴾ [طه: ١٣٢] (ولا نجلس في بيوتنا فنقول: اللهم ارزقنا، ثم إذا طمحت أعيننا نحو المُلك الدائم المقيم) الذي لا يحول ولا يزول (قنعنا بأن نقول بألسنتنا: اللهم اغفر لنا وارحمنا، والذي إليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ٤٠﴾ [النجم: ٣٩ - ٤٠] ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان: ٣٣، فاطر: ٥] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ٦﴾ [الانفطار: ٦] ثم كل ذلك لا ينبِّهنا) من غفلتنا (ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا) الكاذبة (فما هذه إلا محنة هائلة) مخوِّفة (إن لم يتفضَّل الله علينا بتوبة نصوح) أي خالصة (يتداركنا بها ويجبرنا، فنسأل الله تعالىٰ أن يتوب علينا) توبة نصوحًا (بل نسأله أن يشوِّق إلىٰ التوبة سرائرَ قلوبنا، وأن لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظِّنا فنكون ممَّن يقول) بلسانه (ولا يعمل) بجوارحه (ويسمع) بأذنه (ولا يقبل) بقلبه (إذا سمعنا الوعظ بكينا، وإذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا، فلا علامة للخذلان أعظم من هذا، فنسأل الله تعالىٰ أن يمنَّ بالتوفيق والرشد) والهداية (علينا بمَنِّه وفضله) وكرمه وجوده (ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين علىٰ ما أوردناه، فإنَّ القليل من هذا يصادف القلبَ القابل) لِما يُلقَىٰ إليه (فيكفي) ويغني (والكثير منه وإن أُفيضَ منه علىٰ القلب الغافل فلا يغني) ولا يكفي (ولقد صدق الراهب) أي العابد من الكتابيِّين (الذي حكىٰ عنه عيسىٰ بن مالك الخَوْلاني) منسوب إلىٰ خَوْلان بالفتح، واسمه أنكل: قبيلة من قضاعة نزلت الشام (وكان من خيار العباد أنه رآه علىٰ باب بيت المقدس واقفًا) علىٰ قدميه (كهيئة المحزون من شدة الوَلَه، ما يكاد يرقأ دمعُه من كثرة البكاء، فقال عيسىٰ: لمَّا رأيته) علىٰ الوصف المذكور (هالني منظرُه) أي أفزعني (فقلت: أيها الراهب، أوصِني بوصية أحفظها عنك. فقال: يا أخي، بماذا أوصيك؟ إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوامُّ) أي تناولته من كل طرف (فهو خائف حذِر، يخاف أن يغفل فتفترسه السباع، أو يسهو

فتنهشه الهوامُّ، فهو مذعور القلب وجِلٌ، فهو في المخافة في ليله وإن أمنَ المغترُّون، وفي الحزن نهاره وإن فرحَ البَطَّالون. ثم ولَّىٰ) ذاهبًا (وتركني، فقلت) له: (لو زدتني شيئًا) من هذا الجنس (عسىٰ ينفعني. فقال: الظمآن تجزئه من الماء شربة ولو قليلة.

وقد صدق) الراهب فيما قاله (فإنَّ القلب الصافي) الواعي لِما يُلقَىٰ إليه (يحركه أدنىٰ مخافة) ويكفيه (والقلب الجامد) الكدِر (ينبو[1] عنه كلُّ المواعظ) فلا يقبلها (وما ذكره من تقديره أنه احتوشته السباع والهوامُّ فلا ينبغي أن يُظَن أنه تقدير، بل هو تحقيق، فإنك لو شاهدتَ بنور البصيرة باطنَك لرأيتَه مشحونًا بأصناف السباع وأنواع الهوامِّ) المختلفة الأوصاف والأشكال (مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعُجب والرياء وغيرها، وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك إن غفلت عنها لحظةً، إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها) فلا تدركها (فإذا انكشف الغطاء) وارتفع الحجاب (ووُضعتَ في قبرك عاينتَها، وقد تمثَّلتْ لك بصورها وأشكالها الموافِقة لمعانيها، فترىٰ بعينك العقارب والحيَّات وقد أحدقت بك) أي أحاطت (في قبرك، وإنما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها، فإن أردتَ أن تقتلها وتقهرها وأنت قادر عليها) في الدنيا (قبل الموت فافعلْ، وإلا فوطِّنْ نفسَك علىٰ لدغها ونهشها لصميم قلبك) أي باطنه (فضلاً عن ظاهر بشرتك) وجسمك (والسلام) وبه تم كتاب الرجاء والخوف.

ولنذكر بعض ما يتعلق بمقام الخوف ممَّا ذكره أبو طالب المكي في القوت، قال: الخوف: اسم جامع لحقيقة الإيمان، وهو عَلَمٌ لوجود الإيقان، وهو سبب اجتناب كل نهي، ومفتاح كل أمر، وليس [شيء] يحرق شهوات النفوس ويزيل آثار آفاتها إلا مقام الخوف، وقد قال ذو النون المصري: لا يُسقَىٰ المحب كأس المحبة إلا من بعد أن ينضج الخوف قلبه. وقال سهل: كمال الإيمان بالعلم، وكمال العلم بالخوف. وقال مرةً: العلم كسبُ الإيمان، والخوف كسب المعرفة. وكل مؤمن بالله

---

(١) في الجميع: تنبو.

خائف منه، ولكنَّ خوفه علىٰ قدْر قربه. وشكا واعظ إلىٰ بعض الحكماء [فقال]: ألا ترىٰ إلىٰ هؤلاء أعِظهم وأذكِّرهم فلا يرقُّون؟ فقال: كيف ينتفع بالموعظة مَن لم يكن في قلبه من الله مخافة؟ وقد قال الله تعالىٰ في تصديق ذلك: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝﴾ [الأعلىٰ: ١٠ - ١١] أي يتجنَّب التذكرةَ الشقيُّ، فجعل مَن عدمَ الخوفَ شقيًّا وحرمه التذكرةَ، فخوف عموم المؤمنين بظاهر القلب عن ظاهر العلم بالعقد، وخوف خصوصهم - وهم الموقنون - بباطن القلب عن باطن العلم بالوجد، فأما خوف اليقين فهو للصدِّيقين من شهداء العارفين عن مشاهدة ما أُمِر به من الصفات المخوِّفة، وقد جاء في الخبر: «إن العبد إذا أُدخِل في قبره لم يبقَ شيءٌ كان يخافه دون الله تعالىٰ إلا مُثِّل له يفزعه ويرعبه إلىٰ يوم القيامة». فأول خوف اليقين المحاسبةُ للنفس في كل وقت، والمراقبة للرقيب في كل حين، والورع عن الإقدام علىٰ الشُّبهات من كل شيء من العلوم بغير يقين بها، ومن الأعمال بغير فقه فيها، ثم سجنُ اللسان وخزنُ الكلام أن لا يُدخِل في دين الله ولا في العلم ما لم يشرعه الله في كتابه أو لم يذكره الرسول في سنَّته أو لم ينطق به الأئمة من السلف في سِيَرهم ممَّا لم يكن أصله موجودًا في الكتاب والسنَّة وتسميته واضحة في العلم، فيجتنب ذلك كلَّه ولا يَقْفُ ما ليس له به علمٌ خوفًا من المُساءلة عنه، ولا يُدخِل فيه لدقيق هوًىٰ يدخل عليه، ولا لعظيم حظ دنيا يدخل فيه. وأن ينصح نفسه لله؛ لأنها أَولىٰ الخلق، ثم ينصح الخلقَ في الله. وثمرة الخوفِ العلمُ بالله والحياء من الله، وهو أعلىٰ مثوبات أهل المزيد. وأكثر ما يقع سوء الخاتمة لثلاث طوائف: أهل البدع والزيغ في الدين؛ لأن إيمانهم مرتبط بالمعقول، فأول آية تظهر لهم من قدرة الله تعالىٰ أن يطيح عقلُه عند معاينتها، فيذهب إيمانُه ولا يثبُت لشهادتها، كما تحترق الفتيلة فيسقط المصباح. الطبقة الثانية: أهل الكبر والإنكار لآيات الله وكراماته لأوليائه في الحياة الدنيا؛ لأنهم لم يكن لهم يقين يحمل القدرةَ ويمدُّه الإيمانُ، فيعتورهم الشكُّ ويقوَىٰ عليهم لفقد اليقين. والطبقة

الثالثة: ثلاثة أصناف متفرِّقون متفاوتون في سوء الخاتمة، وجميعهم دون تَيْنك الطائفتين في سوء الخاتمة؛ لأن سوء الختم علىٰ مقامات أيضًا كمقامات اليقين والشرك في عمر الحياة، منهم المدَّعي المتظاهر الذي لم يزل إلىٰ نفسه وعمله ناظرًا. والفاسق المعلِن والمصرُّ المدمن، تتصل بهم المعاصي إلىٰ آخر العمر، ويدوم تقلُّبهم فيها إلىٰ كشف الغطاء، فإذا رأوا الآيات تابوا إلىٰ الله بقلوبهم، وقد انقطعت أعمال الجوارح، فليس يتأتَّىٰ منهم، فلا تُقبَل توبتهم، ولا تُقال عثرتهم، ولا تُرحَم عَبرتهم. وقد كان عبد الواحد بن زيد يقول: ما صدق خائفٌ قط ظن أنه لا يدخل النار، وما ظن أنه يدخل النار إلا خاف أن لا يخرج منها أبدًا. وكان سهل يقول: خوف التعظيم ميزان خوف السابقة. وقال زهير بن نعيم الباني: ما أكثر همِّي ذنوبي، إنما أخاف ما هو أعظم عليَّ من الذنوب أن أُسلَب التوحيد وأموت علىٰ غيره. وروىٰ ابن المبارك[1] عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة قال: كان رجل يعتزل الناس، إنما هو وحده، فجاءه أبو الدرداء فقال: أنشدك الله، ما يحملك علىٰ أن تعتزل الناس؟ قال: إني أخشىٰ أن يُسلَب ديني وأنا لا أشعر. قال: أترىٰ في الحي مائة يخافون ما تخاف؟ فلم يزل يُنقِص حتىٰ بلغ عشرة. قال: فحدَّثتُ بذلك رجلاً من أهل الشام، فقال: ذلك شرحبيل بن السمط، هو من أصحاب رسول الله ﷺ. وكان سفيان الثوري يلتفت إلىٰ حماد بن سلمة فيقول: يا أبا سلمة، ترجو لمثلي العفو؟ أوَ يُغفَر لمثلي؟ فيقول له حماد: نعم، أرجو لك[2]. وكان بعض السلف يقول: لو أني أعلم أنه يُختَم لي بالسعادة كان أحب إليَّ ممَّا طلعت عليه الشمس في حياتي أجعله في سبيل الله. وقال بعض العارفين: إن الله تعالىٰ إذا أعطىٰ عبدًا معرفةً ثم لم يشكره عليها ولم

(١) في الزهد والرقائق ص ٤٤٣.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢٥١ عن البخاري قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: عاد حماد ابن سلمة سفيان الثوري، فقال سفيان: يا أبا سلمة، أترىٰ يغفر الله لمثلي؟ فقال حماد: والله لو خُيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي لاخترت محاسبة الله علىٰ محاسبة أبوي، وذلك أن الله تعالىٰ أرحم بي من أبوي.

يُحسِن معاملته بها لم يسلبه إيَّاها، بل أبقاها عليه ليحاسبه علىٰ قدْرها، ولكن يرفع منه البركة ويقطع عنه المزيد، فمثل عيش هذا في الدنيا كمثل البخيل الغني يعيش عيش الفقراء ويحاسَب حساب الأغنياء، كذلك العالِم البَطَّال يحيا حياةَ الجُهَّال ويحاسَب غدًا محاسبة العلماء.

ومن أعلىٰ المخاوف خوفُ سلبِ الإيمان الذي هو عندك وديعة وفي خزانة المؤمن، يظهره كيف شاء ويبديه، ويعيده إلىٰ الغيب متىٰ شاء ويخفيه، ذلك من صفة المكر وحكم الماكر وكثافة الستر ولطف الساتر، لا تدري أهبةٌ وهبه لك فيبقيه عليك بكرمه وفضله أم وديعة وعارية أودعك إيَّاه وأعاركه فيأخذه إذًا لا محالة بحكمته وعدله، وقد أخفىٰ عنك حقيقةَ ذلك واستأثر بعاقبته. وكان يحيىٰ يقول: ينبغي أن يشغلك خوفُ قوت تأكله لا تدري أحلال هو أم حرام عن تمنِّي الفضول، وينبغي أن يشغلك خوف ذهاب الإيمان عن تمنِّي درجات الأبدال، فإذا لم تُعْطَها استقللتَ ما قد أُعطيتَ، وأنت قد أُعطيتَ خير شيء في خزائن الله: الإيمان به. ولعمري إن الخوف علىٰ فقد الإيمان علامة الغبطة بوجوده. وقال بعض العارفين: إنما قُطع بالقوم عند الوصول. وقال آخر: واخطراه[1].

ومن المخاوف: خوف قطعِ المزيد من علم الإيمان مع تبقية المعرفة المبتدأة، يكون مستدرَجًا بها، ممنوعًا من المزيد [منها] وقد لا يكون بها مدرجًا، إلا أن توقُّف المزيد عنه هو لعلة واقفة من الهوىٰ فيه، وقد يقسِّي قلبَه ويُجرِي عبثه، وذلك من النقصان الذي يعرفه أهل التمام؛ لأن عين الوجه من المُلك للدنيا، وعين القلب من الملكوت للآخرة، فيمنعه ما ينفعه عنده، ويعطيه ما يضرُّه به، ويفتتن عند الخَلق، كمَن أُعطيَ العصف المأكول. وقال مجاهد: إن الرجل لَتبكي عيناه وقلبه

(١) روىٰ أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٣١١ عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت إسحاق بن خالد يقول: ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قول ابن آدم: ليت شعري بماذا يختم لي؟ عندها ييأس إبليس ويقول: متىٰ هذا يعجب بعمله؟ فحدثت به مضاء بن عيسىٰ، فقال: يا أحمد، عند الخاتمة فظع بالقوم. فحدثت به أبا عبد الله الساجي فقال: واخطراه.

أقسىٰ من الجماد. وقال مالك بن دينار: قرأت في التوراة: إذا استكمل العبدُ النفاقَ ملك عينَه فيبكي كما شاء. وسُئل أبو محمد سهل: هل يعطي الله أحدًا من المؤمنين من الخوف زنة مثقال؟ فقال: من المؤمنين مَن يُعطَىٰ من الخوف وزن جبل أُحُد. قيل: فكيف يكون حالهم؟ يأكلون وينكحون وينامون؟ قال: نعم، يفعلون ذلك، والمشاهدة لا تفارقهم [والمأوىٰ يظلُّهم]. قيل له: فأين الخوف؟ قال: يحمله حجاب القدرة بلطيف الحكمة، ويستتر القلب تحت الحجاب في التصريف بصفات البشرية، فيكون مثل هذا العبد مثل المرسلين. وقال أيضًا: الخوف: مباينة النهي[1]، والخشية الورع، والإشفاق هو الزهد. وكان يقول: دخول الخوف علىٰ الجاهل يدعوه إلىٰ العلم، ودخوله علىٰ العالِم يدعوه إلىٰ الزهد، ودخوله علىٰ العامل يدعوه إلىٰ الإخلاص. فقد صار الخوف يصلُح للكافَّة؛ إذ دخوله علىٰ العامِّ يخرجه عن الحرام، ودخوله علىٰ الخاص يدخله في الورع والزهد. وقال أيضًا: الإخلاص فريضة لا تُنال إلا بالخوف، ولا يُنال الخوف إلا بالزهد. وقال: إنه لا يصحُّ علم الرجاء إلا للخائف. يعني لتعتدل شهادتاه بتقدمة الخوف، فيكون بشهادته قائمًا، وإخلاء قلبه من الخوف وانفراده بحال الرجاء يخرجه إلىٰ الأمن والاغترار. وكان يقول: الخوف ذكر، والمحبة أنثىٰ، ألا ترىٰ أن أكثر الناس يدَّعون المحبةَ. يريد بهذا أن فضل الخوف علىٰ الرجاء كفضل الذكر علىٰ الأنثىٰ. وهو كما قال؛ لأن الخوف حال العلماء، والرجاء وصفُ العمَّال، ففضلُه عليه كفضل العلم علىٰ العمل[2]. وكان الحسن يقول: ما عُبِد الله بشيء أفضل من طول الحزن والخوف[3]. وقال بعض السلف: حسبك من الخوف اجتناب

---

(١) في حلية الأولياء ١٠/ ١٩٩ عن سهل: «أصل اليقين مباينة النهي».

(٢) في كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص ١١٦: «قال سهل: الخوف ذكر، والرجاء أنثىٰ. معناه: منهما تتولد حقائق الإيمان».

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٧٨، ٤٢٢ وابن أبي الدنيا في الهم والحزن ص ٣٨ وأحمد في الزهد ص ٢٣٠ بلفظ: «ما عبد الله بمثل طول الحزن».

المعاصي[١]. وكان الثوري يقول: ما أحب أني عرفت الأمر حق معرفته، إذًا لطاش عقلي[٢]. وممَّا يدلُّك على أن الخوف اسم لحقيقة العلم بالله تعالى أن في إحدى القراءتين من قراءة أبيٍّ أو عبد الله في معنى قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا﴾ [الكهف: ٨٠]: «فخاف ربُّك». قال الفَرَّاء[٣]: معناه: فعلمَ ربُّك. وقال: الخوف من أسماء العلم. ومن معنى هذا أيضًا سُمِّي الحياء بمعنى الخشية وهي الخوف، فجُعل الحياء اسم الخشية، ومن ذلك فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] أي تستحييهم. وممَّا يدل على باطن الخوف كثرةُ الاستغفار في كل حال، والخوف من يسير الأعمال، ومَن نُقلت عنه المخافة من حقير الأمر الذي لعله - والله أعلم - زِنة ذرَّة من الشر أكثر من أن يُحصَى، كما رُوي أن رجلاً قال لعطاء السليمي: ما هذا الخوف كله؟ قال: لعظيم. فقلت: وما هو؟ قال: اصطدت حمامًا لجار لي منذ أربعين سنة، فأنا أبكي منذ ذلك، أما إني قد تصدَّقت بثمنه مرات[٤]. وقال ضيغم الراسبي: ذنب أذنبته أنا أبكي عليه منذ أربعين سنة، وذلك أنه زارني أخ لي، فاشتريت له سمكًا بدانق، فأراد أن يغسل يده، فأخذت قطعة طين من حائط جاري فغسلت به يده[٥].

---

(١) ذكره ابن رجب الحنبلي في كتاب التخويف من النار ص ٢٥ (ط - مكتبة المؤيد) من قول يحيى بن معاذ الرازي بلفظ: «حسبك من الخوف ما يمنع من الذنوب، ولا حسب من الحب أبدا».

(٢) هذا الأثر رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٨٥ والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٤٧ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/ ٣٩١، ٤١٩، ٤٢٠ من قول الفضيل بن عياض.

(٣) معاني القرآن ٢/ ١٥٧، ونصه: «وقوله: فخشينا: فعلمنا. وهي في قراءة أبي: (فخاف ربك أن يرهقهما) على معنى: علم ربك. وهو مثل قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ قال: إلا أن يعلما ويظنا، والخوف والظن يُذهَب بهما مذهب العلم». وقال أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ١٤٦: «في قراءة أبي: فخاف ربك. والمعنى: فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره».

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢٢٣ عن عبد الخالق بن عبد الله العبدي قال: قال رجل لعطاء يوما: ما هذا الذي تصنع بنفسك؟ قتلت نفسا؟ أي شيء صنعت؟ قال: اصطدت حماما لجار لي منذ أربعين سنة. قال: ثم؟ قال: أما إني تصدقت بثمنه. كأنه لم يعرف صاحبه.

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢١١ عن عمارة بن زاذان قال: قال لي كهمس بن الحسن: يا أبا سلمة، أذنبت ذنبا، فأنا أبكي ... فذكره.

وقال آخر: تكلمت بكلمة أنا أبكي عليها منذ كذا. قيل: وما هي؟ قال: رأيت درهمًا في يد رجل، فقلت: هذا الدرهم جرجاني، ولعله لم يُضرَب بجُرجان. وقال بعضهم: وُصفت لنا امرأة من العوابد، فأتينا منزلها، فإذا هي قد غلَّقت بابها، لا يدخل عليها أحد، فسألنا عنها، فقيل لنا: هي تبكي في جوف بيت، قد غلَّقت عليها الباب منذ ثلاثة أيام، لا ندري ما شأنها. قال: فسألناها بعد وقت، فقالت: قتلتُ نملة(١). هذا لأنه قيل: إن الأبرار لا يؤذون الذَّر، ولا يقتلون النمل(٢). وبكىٰ مُضَر ابن جرير علىٰ معصية ثلاثين سنة(٣).

وإلىٰ هنا انتهىٰ بنا الكلام علىٰ مقام الخوف. والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قال مؤلفه: نُجز من تحرير ذلك في الساعة الثالثة من ليلة الأحد سابع عشري شهر رمضان من شهور سنة ١٢٠٠، وهي ليلة القدر، علىٰ يد العبد لله أبي الفيض محمد مرتضىٰ الحسيني، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه بمَنِّه وكرمه. أقول قولي هذا،

---

(١) هذه القصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة ص ٧١٩ ببعض اختصار فقال: «عن عبد الواحد بن زيد قال: أتينا امرأة متعبدة في ناحية البصرة لنسلم عليها، فقيل لنا: لا تصلون إليها. قلنا: ولِم ذاك؟ قالوا: قد غلقت عليها الباب منذ ثلاث تبكي. قلنا: ولِم ذاك؟ قالوا: قتلت نملة».

(٢) رواه أحمد في الزهد ص ٣٠٩ عن سفيان بن عيينة والطبري في جامع البيان ٢٤/ ٢٠٦ عن رجل مجهول وعن السري بن يحيىٰ، قالوا: سئل الحسن البصري عن الأبرار، فقال: الذين لا يؤذون الذر. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ٩٥ (ط - دار إحياء التراث العربي) بلفظ: الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر ولا ينصبون الشر.

(٣) في القوت: «وقال مضر بن جرير: دخلت علىٰ أبي الحجاج الجرجاني، فكلمته فلم يكلمني، فقلت: أنت في حرج، إن كان عندك علم إلا علمتني. فقال لي: عصيتَ الله بمعصية؟ قلت: نعم. قال: كتبت ورُفعت إلىٰ الله؟ قلت: نعم. قال: علمت أن الله غفرها؟ قلت: لا. قال: فما قعودك وسكونك؟ اذهب فابك علىٰ نفسك أيام الحياة حتىٰ تعلم ما حالك عنده في هذه المعصية. فبكيت علىٰ هذه ثلاثين سنة». وقد رواه ابن الجوزي بسنده في كتاب ذم الهوىٰ ص ٢٢٣ (ط - دار الكتاب العربي).

وأنا أستغفر الله العظيم، وحسبنا الله ونِعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

فهرس موضوعات كتاب الرجاء والخوف

٣٣ - كتاب الرجاء والخوف

المقدمة ٥

بيان حقيقة الرجاء ٩

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه ١٨

بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حالُ الرجاء ويغلب ٣٠

بيان حقيقة الخوف ١٠١

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف ١١١

بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يُخاف منه ١١٧

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه ١٢٩

بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما ١٥٢

بيان الدواء الذي به يُستجلَب حال الخوف ١٦٢

بيان معنى سوء الخاتمة ١٩١

بيان أحوال الملائكة والأنبياء عليهم السلام في الخوف ٢١٢

بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف ٢٢٧

فهرس موضوعات كتاب الرجاء والخوف ٢٦٣